المنهل العذب السلسبيل في سيرة الهادي إلى خير سبيل


بسم اللّه الرحمن الرحيم

الْمَنْهَلُ الْعَذْبُ السَّلْسَبِيل

فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ الهَادِي إِلَى خَيرِ سَبِيْل

(الحبيبُ المصطفى صلى الله عليه وآله من المهد إلى اللحد)

جمع وإعداد الفقير إلى عفو الملك القدير

إبراهيم يحيى عبد الله الدرسي وفقه الله وثبته



مركز الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام

الطبعة الأولى

تم الصف والإخراج بمركز الإمام المنصور بالله عليه السلام

اليمن – صعدة - الحمزات

١٤٤٢هـ، ٢٠٢٠م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل **{لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}**[آل عمران/١٦٤]، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على سيد العرب والعجم، محمد بن عبدالله المخصوص بجوامع الكلم وعجائب الحكم، وعلى آله الطيبين الطاهرين أهل المكارم والكرم.

أما بعد: ها هو شهر ربيع الأول قد أطل على العالم الإسلامي، وها هم المسلمون في شتى بقاع الأرض - جماعات وأفراداً، حكومات ورعايا، دولاً وشعوباً- على اختلاف طرائقهم، وتعدد مذاهبهم، وتنوع عاداتهم، يستقبلون ذكرى مولد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، يتهيؤون ويستعدون للاحتفال والاحتفاء بتلك المناسبة الغالية على قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

فيعدون ويجهزون ما يرونه تعبيراً عن المحبة، وتجسيداً للولاء والاتباع، كما هي عادتهم في كل عام.

فيستعدون لإقامة الاحتفالات الحاشدة، في الجوامع والمجامع، المرصعة بالخطابات والكلمات الرنانة، الموشحة بالقصائد والمدائح، التي تتزين بذكر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ومناقبه وفضائله ومعجزاته، وصفاته وآدابه وسيرته الذاتية والنبوية، وكل ما يتعلق بشخصيته الكريمة خَلْقَاً وخُلُقَاً، إلى غير ذلك.

وتلهج ألسنتهم بالحمد والشكر لله تعالى على النعمة المهداة، والمنة المسداة.

ويستلهمون الدروس والعبر، من حياة قائدهم وفخرهم وسيدهم وسندهم.

وكل على قدره، وعلى حسب تعظيمه، وبمقدار محبته واهتمامه.

فكل إناء بالذي فيه ينضح

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

فكل مسلم - بحكم إسلامه وإيمانه وتصديقه، وبقدر تعظيمه ومحبته — له نصيب

واستمداد من ذلك البحر الفياض، والنور الوهاج.

وكما يقال: تعظيم المولد على قدر تعظيم المولود، وتعظيم المولود على حسب المعرفة بقدره في الوجود.

وفي هذه الصفحات والسطور، نقتبس ومضات من ذلك النور، نستضيء بها في حالك الديجور، ونرشف رشفة الصادي من العذب النمير، نستعيد بها النشاط في الاستمرار في العبور، نحو طريق النجاة وإن طال المسير.

فذكرى المولد النبوي الشريف تجبرنا على سلوك المفاوز والمهامه لنحصل على الربح في التجارة مع الله تعالى، لنأمن من الخسارة.

وهذا البحث نستعرض فيها قطرة من مطرة، ومجة من لجة، وثمرة من بستان، ودرة من بحور لا يدرك قعرها الغائصون، ولا يقطعها الجائزون.

تمهيد

شهر ربيع الأول جمع أحداثاً ومناسبات وذكريات تتعلق بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يكن خاصاً بمولده الشريف – وإن كان المولد النبوي هو بوابة تلك الأحداث وعليه تَرَتَّبَتْ–، بل قد وقع فيه غيره من الأحداث، فمن ذكريات مناسباته مولدُه وبعثُه وهجرتُه، ومن ذكريات أحداثه وفاتُه صلوات الله عليه وآله، فقد جمعت في يوم واحد وشهر واحد وإن اختلفت الأعوام، فهذه الذكرى من حق كل مسلم أن يعطيها حقها، ويقوم بواجبه تجاهها.

فإن أعداء الإسلام يحرصون كل الحرص على إطفاء أنوارها، فتارة يقولون ببدعية الإحتفال بالمولد النبوي، وأخرى يُحدِثُون ويفتعلون ما يعيق الناس عن التذكير بها بشتى الأساليب، وأنواع المعوقات.

ولكن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حق واجب مطوق بعنق كل مسلم، فلابد أن يستهون المسلم في سبيل أداء بعض ذلك الحق كل صعب، ويستلين كل قاس، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولاه ما اهتدينا، ولا عرفنا الله ولا صلينا، ولا صمنا ولا تصدقنا ولا زكينا، ولكنّا في عشوات الجهل عامهين، وفي غشاوات الظلم متخبطين، فبه استنقذنا الله من الضلالة، وأخرجنا من حيرة الجهالة.

فإحياء المولد النبوي يعني أن نظهر محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بين أوساطنا، في التطبيق لشريعته، والأخذ بسنته، والعمل بتعاليمه، والإقتداء به، لأنه منهجنا ودستورنا، فهو الحل الوحيد والمخرج مما وصلت إليه الأمة اليوم.

ولما كان شهر ربيع الأول فيه المولد والبعثة والهجرة والوفاة، فقد جعلت الكلام في هذه السيرة على خمسة أبواب، وكل باب يتضمن فصولاً وأبحاثاً.

وقد تضمن الكلام في هذه السيرة المباركة الأبواب والمباحث التالية:

التوطئة: وتشتمل على بحثين:

الأول: حكم الاحتفال بالمولد النبوي.

الثاني: الأدلة على جواز الاحتفال.

الباب الأول: في المولد النبوي وما يتعلق به.

المرحلة الثالثة: نشر الدعوة في أصقاع الأرض وملوكها.

الأول: مكاتبة ملك الحبشة.

الثاني: مكاتبة المقوقس ملك مصر.

الثالث: مكاتبة قيصر ملك الروم.

الرابع: مكاتبة كسرى ملك الفرس.

الخامس: مكاتبة صاحب اليمامة.

السادس: مكاتبة ملك البلقاء (دمشق).

السابع: مكاتبة ملكي عمان.

الثامن: مكاتبة حاكم البحرين.

المرحلة الرابعة: استقبال الوفود.

القسم الأول: الوفود قبل الفتح.

القسم الثاني: الوفود عام الفتح.

المرحلة الخامسة: الإكمال للدين وخاتمة التبليغ.

الباب الخامس: الانتقال إلى الرفيق الأعلى.

ويندرج تحت كل عنوان من العناوين مباحث، ليكون البحث مستكملاً، والنتائج واضحة.

وقد حاولت في هذه السيرة المباركة أن أتحرى الصواب بجهدي، وأبحث في المراجع المعتمدة الموجودة التي عندي، وأن ألخص وأختصر، وإن كنت لم أنسب من أين أخذت، ولم أذكر من أين نقلت، ولم أعدد المراجع التي عليها اعتمدت، لكثرتها ووفورها، واشتهارها وظهورها، وقد حاولت أن أسد بعض الخلل الذي يتعمده بعض أهل السير، وأكمل بعض النقص، وأنصف بعض المظلومين الذين ظلمهم بعض المصنفين، حيث جعلوا فضائلهم لغيرهم، ومناقبهم لسواهم، وأن لا أقصي من لهم المواقف الكريمة، والمشاهد العظيمة، وأن أسلك طريق الإنصاف، بعيداً عن التعصب والاعتساف، متجنباً طرائق الاختلاف، ومن الله نستمد التوفيق والألطاف، **والآن حين الشروع في المقصود، بعون الملك المعبود:**

التوطئة

قد كثر الكلام، واشتد الخصام، وتتابعت الأقلام في الكتابة والتعبير عن هذا المقام، ولكن ندلي بدلونا مع المدلين، ونقتطف من ثمار تلك البساتين، ونجمع من أقوال المتكلمين، خلاصة القول في ذلك، وننتقي منها أجودها مع الزيادة فيما استطعنا، والله الموفق للصواب.

وسيكون في بحثين:

الأول: حكم الاحتفال بالمولد النبوي.

والثاني: في الأولة على شرعيته.

الأول: حكم الاحتفال بالمولد

وهنا نبين حكم الاحتفال والاجتماع في المولد:

اعلم أخي القارئ وفقنا الله وإياك لرضاه، وهدانا لطاعته وتقواه: أن الاحتفال بالمولد النبوي، والاجتماع فيه، **جائز ومشروع، ولا مانع منه.**

بل هو من أقوى الطرق والوسائل الداعية إلى سماع سيرته وفضائله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو فرصة ثمينة في تعريف الناس بنبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، وتقوية رابط الاتصال والاقتداء به، من خلال تذكير الناس بآدابه وأخلاقه ومعاملاته وأحواله، وتعليمهم كيفية الاقتداء والتأسي به صلى الله عليه وآله وسلم في عباداته بشتى أنواعها، من صلاة وصيام وحج وزكاة وذكر ودعاء وتلاوة وصدقة ورحمة وشفقة وصلة وجهاد وغيرها.

فالمراد الأهم، والمقصود الأعظم من هذه الاجتماعات المباركة أن نحيي ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مضمون حياتنا مدة أعمارنا، ليس مجرد يوم أو يومين، أو شهر أو نحو ذلك، بل اتصال متواصل ودائم.

فعلينا أن نجعل المولد الشريف وسيلة نبيلة، إلى غاية شريفة، نستفيد منها الكثير والكثير، فمن لم يستفد ولم يقتد فهو محروم من بركات وخيرات المولد النبوي.

الثاني: الأدلة على شرعية وجواز الاحتفال

أما بالنسبة للأدلة التي تدل على جواز ذلك ومشروعيته فكثيرة جداً، عقلاً وشرعاً:

أما من جهة العقل: فالذي يقضي به العقل هو حسن الاحتفال بالمولد:

أما عند من يقول بأن العقل حجة، وأنه يدرك حسن الأشياء وقبحها، وهم أهل البيت وموافقيهم من أهل العدل:

فلأن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يرد دليل على الحظر، ولا يوجد دليل يمنع من الاحتفال، فضلاً عن الحظر، بل العقل يستحسن الاحتفال بذلك ولا يمنع منه.

وأما عند غير العدلية ممن لا يقول بأن العقل حجة، ولا يدرك الحسن والقبح إلا باعتبار كونه صفة كمال أو نقص: فلأن الاحتفال بمولد رسول الله صلى الله عليه وآله من الشكر لله على هذه النعمة الجلية، والشكر من صفات الكمال، لأن ترك الشكر النعمة صفة نقص، وصفة النقص قبيحة عقلاً بالاتفاق.

وأما الأدلة من جهة الشرع: فكثيرة العدد، نذكر منها ما يلي:

الأول: أن الاحتفال تعبير عن الفرحة، ومولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعثته من أكبر النعم، وأفضلها وأتمها، كما قال تعالى {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ}، فشرعية الفرحة بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم واضحة في هذه الآيات الكريمة، والغاية من الاحتفال بالمولد هو التعبير عن الفرح والسرور بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أمرنا الله تعالى أن نفرح بالرحمة، فقال الله تعالى {قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}[يونس/٥٨]، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضل من الله ورحمة ونعمة، كما قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}[الأنبياء/١٠٧]، ويقول تعالى حاكياً عن مؤمني أهل الكتاب {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ}[الرعد/٣٧].

الثاني: ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأخبار عن الأنبياء السابقين من التبشير بمولده، وإذا بشر به الأنبياء والمرسلون أممهم، وأظهروا الفرح والسرور به قبل وقوعه، وقبل ولادته، فنحن أولى أن نستبشر به ونفرح ونظهر الفرح والسرور، كيف لا وقد هدانا الله به من الضلالة، وأخرجنا من الجهالة.

وكذلك ما ورد من الآثار في فرحة أهل السموات وأهل الأرض واستبشارهم بمولده، وأن الملائكة نزلوا إلى الأرض في ذلك اليوم، وأحاطوا بمكة المكرمة وحرسوها ومنعوا الشياطين من دخولها، ومن الصعود إلى السماء، وتناغمت الحيوانات لمولده فرحاً واستبشاراً، فنحن أولى أن نحتفل بمولده.

الثالث: أن الفرحة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم تنفع صاحبها، كما ورد في بعض الروايات أنه يخفف عن أبي لهب في كل يوم اثنين، بسبب عتقه لمولاته ثويبة حين بشرته بولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا كان هذا في حال أبي لهب الكافر، الذي نزلت فيه سورة من القرآن الكريم، فما بالك بمن كان من المؤمنين المتبعين، أينفعه ذلك أم لا؟.

الرابع: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعظم يوم مولده، ويعبر عن ذلك التعظيم بالشكر لله تعالى، من خلال الصيام يوم الاثنين، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن صوم يوم الاثنين قال: ((ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت فيه، وهاجرت فيه))، فجعل العلة في صيامه أنه ولد فيه وبعث فيه.

حيث أتى (بإن) التي تفيد التعليل، وهو من العلة الصريحة، وقد اجتمع في الثاني عشر من ربيع الأول جميع هذه المناسبات والذكريات الغالية على قلوب المسلمين.

الخامس: أن إحياء المولد يشتمل على ذكر الممادح والمدائح في النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أذن في ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان يقرُّ أصحابه على مدحه والثناء عليه بالقصائد الشعرية التي يلقونها بين يديه بمحضر من كثير من أصحابه، وهذا تسنين وتشريع لكل احتفال يذكر فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويمدح، كما روي عن أوسٍ بن حارثة أنه قال: (هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة منصرفاً من تبوك، فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول له: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك، قال: ((قل لا يفضض اللهُ فاك)).

قال: فقال: العباس رضي الله تعالى عنه:

مـن قبلهـا طبـت فـي البـلاد وفـي مسـتودعٍ حيـث يخصـف الـورق
ثـم هبطـت البـلاد لا بشـرٌ أنـت ولا مضغـةٌ ولا علـق
بـل نطفـةٌ تركـب السـفين وقـد الجـم نسـراً وأهلـه الغـرق
تنقـل مـن صلـبٍ إلـى رحـمٍ إذا مضـى عالـمٌ بـدا طبـق
حتـى احتـوى بيتـك المهـيمن فـي خنـدفٍ عليـاء تحتهـا النطـق
وأنـت لمـا ولـدت أشـرقت الأرض وضـاءت بنـورك الأفـق
فنحن في ذلك الضياء وفي النـور وسبل الرشاد نخترق

وكذلك القصيدة التي ألقاها كعب بن زهير بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكساه رسول الله بردة، وسميت القصيدة بالبردة، وكذلك القصائد التي كان يلقيها شاعر الإسلام حسان بن ثابت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كل هذه تدل على شرعية الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

السادس: أن المولد النبوي يبعث على الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا خلاف بأن الصلاة عليه مشروعة لقوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب/٥٦]، فكل ما يدعو إلى المشروع ويبعث عليه فهو مشروع في الجملة.

السابع: أن ذكر المولد يترتب عليه ذكر البعثة وما يتعلق بها، ولا شك أن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والتصديق به واجب، والطريق إلى معرفة صدقه هي المعجزات، فمع ذكر البعثة تذكر معجزاته التي هي الدليل على صدقه، فيتوقف معرفة نبوته على معرفة بعض معجزاته، لأنه يجب على كل مسلم أن يعرف ذلك، فما بالك بأمر يكون طريقاً إلى التعريف بالواجب، أليس أقل حالاته أن يكون مشروعاً؟ إن لم يكن واجباً.

الثامن: لا شك أن محبته صلى الله عليه وآله وسلم واجبة، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه))، والمحبة لا تتم ولا تكمل إلا بعد معرفة المحبوب، ومعرفته تتوقف على معرفة فضائله وشمائله وخصائصه وغيرها من الصفات، والاحتفال بالمولد من أقوى الطرق والوسائل إلى معرفة ذلك، فما قرب إلى

الواجب فلا شك في مشروعيته وجوازه.

التاسع: لا يلزم من عدم فعل الصحابة والتابعين لذلك أنه غير مشروع، أو أنه بدعة، فكم من أمر حصل بعدهم فعله المسلمون واستحسنوه، وصار مشروعاً بينهم بلا تناكر، لأنه لا يخالف الشرع، ولا يشتمل على منكر، وما استحسنه المسلمون فهو عند الله حسن، كما دل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، لا ينقص من أجورهم شيئاً)).

العاشر: لا خلاف بين المسلمين في شرعية الاجتماع للذكر والدعاء وقرآءة القرآن وطلب العلم، وما نحن فيه من ذلك القبيل.

الحادي عاشر: أن هناك ارتباط بين الزمان والمكان الذي تقع فيه الحوادث الدينية، فإنه إذا جاء الوقت الذي وقعت فيه تلك الحادثة، أو وقف على المكان، كان ذلك داعياً إلى ذكر تلك الحادثة، وتعظيم ذلك اليوم أو المكان الذي وقعت فيه.

وقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه ذلك الارتباط في عدة أحداث زمانية ومكانية، نذكر منها بعضاً يدل على ما سواه:

فمن الحوادث الزمانية: ما مر من تعليله صيام الاثنين بولادته فيه.

ومنها: صيام يوم عاشوراء، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لما قدم المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء، سأل عن ذلك، فقيل له: إنهم يصومون لأن الله نجّى نبيهم موسى، وأغرق عدوهم فرعون فيه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((أنا أولى بأخي موسى منهم، فصامه وأمر بصيامه)).وهذا واضح.

ومنها: ما ورد في ذكر النبي صلى الله عليه وآله لمزايا يوم الجمعة، وذكر منها ((وفيه ولد آدم)).

ومنها: ما ذكر في بعض الآثار في صيام أيام العشر الأولى من ذي الحجة الحرام، كما روي عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

اليوم الأول: هو اليوم الذي غفر الله فيه لأدم، ((من صام ذلك اليوم غفر الله له كل ذنب)).

اليوم الثاني: استجاب الله فيه دعاء يونس عليه السلام فأخرجه من بطن الحوت ((من صام ذلك اليوم كان كمن عبد الله تعالى سنة لم يعص الله في عبادته طرفة عين)).

اليوم الثالث: الذي استجاب الله فيه دعاء زكريا عليه السلام ((من صام ذلك اليوم استجاب الله دعاءه)).

اليوم الرابع: اليوم الذي ولد فيه عيسى عليه السلام ((من صامه نفى عنه البأس والفقر فكان يوم القيامة مع السفر البررة الكرام)).

اليوم الخامس: اليوم الذي ولد فيه موسى عليه السلام ((من صام ذلك اليوم برئ من النفاق أو من عذاب القبر))، وهذا واضح لا إشكال فيه.

ومن الحوادث المكانية: شرعية صلاة ركعتين بعد الطواف خلف مقام إبراهيم عليه السلام، وقد قال تعالى بلفظ الأمر في قرآءة عاصم **{وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}**[البقرة/١٢٥].

ومنها: أمر جبريل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بصلاة ركعتين ليلة الإسراء ببيت لحم، ثم قال له جبريل: أتدري أين صليت؟ فقال: لا، فقال له جبريل: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى.

وغير ذلك من الشواهد، التي فيما تقدم منها كفاية لمن أنصف، فإذا تعلق المكان أو الزمان بولادة نبي من الأنبياء، أفلا يكون في يوم المولد تعلق وارتباط بسيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني عشر: إجماع أهل البيت عليهم السلام على استحبابه، وإجماعهم حجة،

وإذ قد فرغنا من التوطئة، فلنتحدث حول الأبواب السابقة:

فأقول وبالله التوفيق:

الباب الأول: في المولد النبوي

لما كان المولد النبوي أول الأحداث التي وقعت في الثاني عشر – على الخلاف الواقع في ذلك– كان الابتداء به أليق، والكلام حوله يقع في فصول:

الأول: في أحداث المولد.

الثاني: رضاعه وكفالته.

الثالث: بعض من أحوال النشأة المباركة.

الرابع: بعض صفاته وشمائله وآدابه.

وتحت كل فصل مباحث وترتيب، وفروع وتهذيب، يدرك أهميتها اللبيب، ويعرف حسن صياغتها الأديب، ويستعذب تقسيمها الفطن النجيب، ويُعجب بتنظيمها الطالب الأريب، فقد توخيت أن أصوغها في قالب بديع بلفظ قريب، وأسلوب أنيق يسهل على المستفيد، وإن كنت لم آت بجديد، لكن لكل كاتب خبرته، ولكل مطلع نظرته، ولكل قارئ فكرته، ولكل ناقد بصيرته، فالناقد البصير، يستحسن ما قد يستقبحه ذو الباع القصير، ويستهجن ما يحسبه القاصر حسناً ليس له نظير، وكما يقال من ألف وكتب، فقد عرض نفسه للانتقاد، وليس يخلو كتاب من كتب البشر من خطأ وخبط، وزيادة وسقط، وغلط وخلط، وليس الكمال إلا لذي الجلال، الكبير المتعال، فإن كنت قد أصبت فبتوفيق الحي القيوم، وإن كنت قد أخطأت فأنا محل الأخطاء والوهوم، إذ لست بمعصوم، وعسى أن يكون خطأ مغفوراً، وذنباً معفواً مستوراً، وأسأل الله أن يجعله عملاً مبروراً، وسعياً مشكوراً، أنال به حظاً موفوراً، وقرباً من الحبيب وسروراً، وغبطة وحبوراً، إن ربي كان عفواً قديراً، سميعاً بصيراً، رحيماً غفوراً، وحليماً شكوراً.

ومن وجد خطأ أصلحه، أو غلطاً وضحه، وله من الله الأجر، ومني عظيم البر والشكر، ونرجع إلى ما نحن بصدده، فهذا عارض انجر، والشيء بالشيء يذكر:

الفصل الأول: في أحداث المولد

ويندرج تحت هذا الفصل كثير من العناوين التي تتحدث عن المولد وما يتعلق به:

١- في تحقيق تاريخ المولد

اعلم وفقنا الله وإياك: أن المحققين من المؤرخين وأهل السير متفقون على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول في عام الفيل.

واختلفوا في أي يوم من شهر ربيع:

فمنهم من قال: في اليوم التاسع.

ومنهم: في اليوم الثاني عشر.

ومنهم: في اليوم السابع عشر.

فأقوى الأقول وأرجحها: هو أنه ولد في اليوم الثاني عشر.

٢- الإرهاصات التي تقدمت مولده صلى الله عليه وآله

وتفصيل الكلام حول مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحتاج إلى مجلدات واسعة، ولكن نختصر بقدر الإمكان، ونقدم قبل ذلك ذكر الإرهاصات التي تقدمت المولد المبارك، والكلام فيه يشتمل على المباحث التالية:

الأول: حفظ الله وعنايته به، ورعايته له قبل خلقه، وهو لا يزال في أصلاب الآباء والأجداد:

لقد طهر الله نبيه من عُهرِ الجاهلية وسفاحها، فلم يصبه دنس الشرك، ولا عهر الجاهلية، كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله عز وجل أخرجني من النكاح ولم يخرجني من السفاح)).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما ولدتني بغي قط منذ خرجت من صلب أبي آدم، ولم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب: هاشم وزهرة)).

وعن صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ما أصابني من سفاح الجاهلية)).

وعن ابن عباس: في قوله تعالى {وتقلبك في الساجدين}، قال: من نبي إلى نبي حتى أُخرجْتُ نبياً.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ((لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة، صفتي مهدي، لا يتشعب شعبان إلا كنت في خيرهما، قد أخذ الله تبارك وتعالى بالنبوة ميثاقي، وبالإسلام عهدي، وبشر في التوراة والإنجيل ذكري، وبيّن كلُّ نبي صفتي، تشرق الأرض بنوري، والغمام لوجهي، وعلمني كتابه، وشق لي اسماً من أسمائه: فذو العرش محمود وأنا محمد، ووعدني يَحْبُوني بالحوض والكوثر، وأن يجعلني أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجني من خير قرن لأمتي وهم الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)).

فلقد كان نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتلألأ في وجوه آبائه وأجداده، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله أنزل قطعة من نور، فأسكنها في صلب آدم فساقها حتى قسمها جزأين فجعل جزءاً في صلب عبدالله، وجزءاً في صلب أبي طالب، فأخرجني نبياً، وأخرج علياً وصياً))، فبشرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرف آباؤه قبل وجوده، وحصل لهم التعظيم والتبجيل إرهاصاً للنور الذي كان يشع ويلمع في وجوههم من نوره، وبعد وجوده زادوا إلى شرفهم شرفاً، بل شرف به العرب أجمع وافتخروا به على العجم.

الثاني: اختيار الله له من أرفع بيت في العرب:

لقد اختاره الله من أطيب أرومة، وأشرف خؤولة وعمومة، من أرفع بيت في العرب، وأشرف حسب وسبب ونسب، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم، واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار من خيار))، وفي رواية ((فأنا خيرة الخيرة، وصفوة الصفوة))، هم زرع إبراهيم الخليل، أسكنهم الله بيته المعظم، وولّاهم الحرم المحرم.

وكما قال صلى الله عليه وآله وسلم، عن جبريل أنه قال: ((يا محمد قلَّبت مشارق الأرض ومغاربها، فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم)).

وكما قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الله أنزل قطعة من نور، فأسكنها في صلب آدم فساقها حتى قسمها جزأين، فجعل جزءاً في صلب عبدالله، وجزءاً في صلب أبي طالب، فأخرجني نبياً، وأخرج علياً وصياً)).

الثالث: العناية الإلهية به مع والديه وجده

أبوه عبد الله بن عبد المطلب، الذي فداه عبد المطلب من الذبح بمائة من الإبل سوداء الحدق، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفتخر ويقول ((أنا ابن الذبيحين))، أي إسماعيل بن إبراهيم وعبد الله بن عبد المطلب.

وعن ابن عباس قال: إن عبد المطلب قدم اليمن في رحلة الشتاء فنزل على حبر من اليهود، فقال له رجل من أهل الكتاب: يا عبد المطلب أتأذن لي أن أنظر إلى بعضك، قال: نعم إذا لم يكن عورة.

قال: ففتح إحدى منخري فنظر فيه، ثم نظر في الآخَر، فقال: أشهد أن في إحدى يديك ملكاً وفي الأخرى نبوة، وإنا نجد ذلك في بني زهرة، فكيف ذلك؟!.

فقال عبد المطلب: لا أدري، فقال الرجل لعبد المطلب: هل لك من زوجة؟.

قلت: أما اليوم فلا.

قال: فإذا رجعت فتزوج في بني زهرة، فرجع عبدالمطلب فتزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فولدت حمزة وصفية، وكان عبد المطلب قد تزوج قبلها بمدة أم عبد الله وأنجبت والد رسول الله.

ثم تزوج عبدالله بن عبدالمطلب آمنة بنت وهب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت قريش حين تزوج عبدالله بآمنة: فلج عبدُالله -أي فاز وغلب-، على أبيه عبدالمطلب.

وروي أن عبد المطلب لما دخل على أبرهة الحبشي ومعه ولده عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما مر عبد الله من عند الفيل الأعظم وهو واقف على

الباب، نظر الفيل إلى وجهه فخر ساجداً، فعجب من ذلك أنيس خادم الفيل ومن على الباب، فقال قِس من النصارى: لا تعجبوا من سجوده فإنه لم يسجد له، ولكن سجد للنور الذي في وجهه، وهو نور نبي عرفناه في الإنجيل.

وروي أن أخت ورقة بن نوفل كانت تسمع من أخيها ورقة صفة نبي آخر الزمان، فكانت ترى في عبد الله بن عبد المطلب نور النبوة، فطلبته إلى نفسها أن يتزوجها مراراً وهو يرفض، فلما تزوج بآمنة بنت وهب اختفى النور من وجهه وانتقل إلى آمنة.

وروي أن عبد المطلب لما دخل على أبرهة الحبشي ومعه ولده عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما مر عبد الله من عند الفيل الأعظم وهو واقف على الباب، نظر الفيل إلى وجهه فخر ساجداً، فعجب من ذلك أنيس خادم الفيل ومن على الباب، فقال قِس من النصارى: لا تعجبوا من سجوده فإنه لم يسجد له، ولكن سجد للنور الذي في وجهه، وهو نور نبي عرفناه في الإنجيل.

وكذلك ما روي أن الفيل لما وصل إلى مشارف مكة برك وأبى أن يتحرك، فضربوه بالسياط فلم تنفع، فوجهوه إلى جهة أخرى فقام ومشى، فردوه إلى جهة مكة فبرك، وكانت هذه من آيات الله البينة.

وروي أن عبد المطلب نام يوماً في الحجر فانتبه فزعاً مذعوراً.

قال العباس: فاتبعته نحو داره، وأنا يومئذٍ غلام أعقل.

فقالوا: يا أبا الحارث مالك اليوم كالخائف؟.

قال: رأيت وأنا نائم عند الحجر كأنما أخرج من ظهري سلسلة بيضاء لها أربعة أطراف طرف بلغ مشارق الأرض، وطرف بلغ مغاربها، وطرف بلغ أعنان السماء، وطرف قد جاوز الثرى، فبينا أنا أنظر إليها إذ صارت أسرع من طرفة عين شجرة خضراء، لم يرَ الرّاؤون أنور منها، وإذا بشخصين بَهِيَّين قد وقفا عليّ، فقلت لأحدهما:من أنت؟

قال: أما تعرفني، أنا نوح نبي رب العالمين.

فقلت للآخر: من أنت؟

قال: أنا إبراهيم خليل رب العالمين.

فقالوا له: إن صَدَقتْ رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السماوات وأهل الأرض.

فبقي عبد المطلب زماناً، فلما كان يوماً رجع من قنْصِه في الظهيرة عطشان يَلْهَثُ، فرأى في الحجر ماءً معيناً فشرب، ثم دخل على فاطمة فواقعها، فحملت بعبد الله، وواقع عبد الله آمنة فحملت برسول الله.

ومن الإرهاصات التي تقدمت مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم: حادثة أصحاب الفيل التي قصها الله تعالى في القرآن الكريم في سورة الفيل، وهي من إكرام الله تعالى لنبيه في حفظه لبيته الحرام، حيث أراد أبرهة الحبشي هدمه، فقاد إليه الجيوش الكثيفة، فأهلكهم الله تعالى بحجارة من سجيل، رمتهم بها طير أبابيل، مرسلة عذاباً ونكالاً لهم من الملك المقتدر الجليل.

فقد طهر الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم من كل عيب، ونزهه من كل شين، وجعل له من كل شرف أعلاه، ومن كل فضل أسناه، فلا يفاخره مفاخر، ولا يدركه مسابق ولا منافر.

٣- في حكاية المولد والأمور التي حصلت فيه

لما تزوج عبد الله بن عبد المطلب بآمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وشاء الله تعالى خروج ذلك النور إلى الوجود، ليستضيء به العالم، ولتنجلي به الظلم، حملت آمنة بولدها الوحيد، فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول: أتاني آتٍ حين مرَّ لي من حملي ستة أشهر فوكزني في المنام برجله، وقال لي: يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين، فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أُعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، من كل بر عاهد، وكل عبد رائد، يذود عني ذائد، فإنه عند الحميد ماجد، حتى أراه قد أتى المشاهد، وآية ذلك أنه يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام فإذا ولدتيه فسميه محمداً فإن اسمه في التوراة أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في الإنجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الأرض، واسمه في القرآن محمد، واكتمي شأنك.

فكانت تقول: لقد أخذني مَا يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من قومي ذكر ولا أنثى، وإني لَوَحيدةٌ في المنزل، فبقي في بطن أمه صلى الله عليه وآله وسلم تسعة أشهر لا تشكو

وجعاً ولا ريحاً ولا مَا يعرض للنساء ذوات الحمل.

قالت آمنة: فسمعت وجْبةً عظيمةً وأمراً شديداً، فهالني -وذلك يوم الإثنين- فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي، فذهب عني الرعب وكل وجع، ثم رأيت نسوة كالنخل طولاً كأنهن من بنات عبد مناف يحْدِقن بي؛ فبينا أنا أعجب وأقول: واغوثاه من أين علِمْن بي هؤلاء، فاشتد بي الأمر فأخذني المخاض فولدت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فلما خرج من بطني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت أعناق الإبل ببصرى، فدُرْت فنظرت إليه، فإذا أنا به ساجدٌ قد رفع أصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل.

وعن عثمان بن أبي العاص قال: حدثتني أمي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة ولدته قالت فما شيء أنظره في البيت إلا نور وإني أنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول ليقعن علي.

ولما شاء الله خروج ذلك النور ليغير من مجريات الكون من أول وهلة من سقوطه، ولتتحول كثير من الأمور على خلاف ما هي عليه من العادات، حصلت الآيات الكبيرة والدلائل العظيمة، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس أي تزلزل إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى المؤبذان – وهو حاجب الملك – إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادهم.

وكان عبد المطلب ليلة إذٍ في جوف الكعبة يرْم منها شيئاً، إذْ سمع تكبيراً عالياً: الله أكبر الله أكبر رب محمد المصطفى و إبراهيم المجتبى، ألا إن ابن آمنة الغراء قد ولد وقد انكشفت عنا سحائب الغمة إلى الرحمة، ثم اضطربت الأصنام وخرت على وجوهها، ثم خرج عبد المطلب من الكعبة في ليلة مقمرة فإذا هو بذئب قد وقف بأعلى مكة وهو ينادي بصوت له رفيع عربي فصيح:

يا آل غالب ألاَ فاسمعوا قد جاءكم النور الثاقب الذي به تستبهج الدنيا، فاتبعوه قبل أن تدنوا وتخذلوا، ثم مضى الذئبُ، وإذا بصوت رفيع من الجبل جبل أبي قبيس: يا آل

غالب ألا فاسمعوا لهذا المولود فإنه خِيْرَة المِعْبُود، فطوبى لمن آزره وتبعه ونصره.

فأسرع عبد المطلب نحو منزل آمنة فإذا هو بطيور ساقطة على حيطان الدار وسحابة بيضاءِ قد أظلت الدار بأجمعها، فلما دنا من الباب لم يطق الدخول من لمعان النور، فقرع الباب قرعاً خفيفاً. وقال: افتحي واعجلي قبل أن تتفقأ مرارتي وتتصدع كبدي. فلما فتحت ودخل عبد المطلب فنظر إلى وجهها ففقد النور الذي بين عينيها فقال: خَبِّريني مَا حال النور؟ قالت: قد وضعت غلاماً.

قال: وأين وضعتيه، ولَسْتُ أرى عليك أثر النفاس ؟ قالت: إن هذه الطيور التي ترى قد أطلت الدار لتنازعنيه منذ وضعته. قال عبد المطلب: لئن لم تخرجيه لأقتلن نفسي، أتمنعيني من ولدي وولد ولدي. قالت: هو في ذلك المخدَع فشأنك به.

فأراد عبد المطلب أن يدخل فصاح به صائح بصوت هائل: ارجع لا سبيل لك، ولا لأحد من الآدميين إلى هذا المولود حتى تَنْقضي عنه زيارة الملائكة.

ولما ولد منعت الشياطين والجن من استراق السمع، ورميت بالشهب.

الفصل الثاني: رضاعه صلى الله عليه وآله وسلم وكفالته

أول من أرضعته صلى الله عليه وآله وسلم من المراضع بعد أمه بأسبوع: ثويبة مولاة أبي لهب، بلبن ابن لها يقال له: مسروح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

وقد حصل في أثناء رضاعه صلى الله عليه وآله وسلم آيات ودلالات وإرهاصات، تدل على عظيم شأنه، وجليل مقامه، وحفظ الله ورعايته له، ونلخص رضاعه وكفالته في ما يلي:

١- رضاعه في بني سعد وما حصل لهم من البركات

كانت العادة عند العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم إبعاداً لهم عن بعض الأمراض؛ ولتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي، فالتمس عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المراضع، واسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر، وهي حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث، وزوجها الحارث بن عبد العزى المكنى بأبي كبشة من نفس القبيلة.

وإخوته صلى الله عليه وآله وسلم هناك من الرضاعة:

عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وحذافة أو جذامة بنت الحارث [وهي الشيماء؛ لقب غلب على اسمها]، وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان عمه حمزة بن عبد المطلب مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فأرضعت أمُّه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند أمه حليمة، فكان حمزة رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهتين، من جهة ثويبة ومن جهة السعدية.

ورأت حليمة من بركته صلى الله عليه وسلم ما قضت منه العجب، ولنتركها تروى ذلك مفصلاً، فكانت حليمة تحدث وتقول:

خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء، وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً، قالت: فخرجت على أتان لي قمراء، ومعنا شارف لنا، والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من

بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك، فلقد أَذَمَّت بالركب حتى شق ذلك عليهم، ضعفاً وعجفاً، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله، إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه.

قال: لا عليكِ أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة.

قالت : فذهبت إليه وأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره.

قالت: فلما أخذته ورجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا هي حافل، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعاً، فبتنا بخير ليلة.

قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك.

قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حُمُرِهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك! أربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله، إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها شأناً.

قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا به معنا شباعاً لَبِناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم، اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه

وفصلته، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً.

قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت ابني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا.

٢- حادثة شق الصدر ورده إلى أمه

وهكذا رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني سعد، حتى إذا كان في السنة الرابعة من مولده وقع حادث شق صدره، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاه جبريل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لَأَمَهُ – أي جمعه وضم بعضه إلى بعض – ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه، فقالوا : إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون – أي متغير اللون–.

ولنترك حليمة السعدية تروي لنا هذه الحادثة:

قالت حليمة: بينما هو يلعب خلف البيوت هو وأخوه –ضمرة– في بَهْم لهم إذ أتى أخوه يشُدُ –أي مسرعاً–.

قالت: وأنا وأبوه في البيت فقال: إن أخي القُرشِيّ أتاه رجلان عليهما ثياب بيض فأضْجَعَاه وشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشد، فوجدناه قائماً قد انْتَقَع لونه، فلما رأيناه جهش إلينا وبكى.

قالت: فالتزمته أنا وأبوه وضميناه إلينا وقلنا له: ما بالك بأبي أنت؟

قال: أتاني رجلان فأضجعاني وشقا بطني وصنعا بي شيئاً ثم رداه كما هو.

فقال أبوه: والله مَا أرى ابني إلاّ قد أصيب، ألحقيه بنا بأهله فنؤدّيه إليهم قبل أن يظهر مَا نتخوف.

فاحتملناه فقدمنا به إلى أمه، فلما رأتنا أنكرت شأننا، وقالت: مَا أرجعكما به قبل أن أسألكما وقد كنتما حريصين على حبسه؟

قلنا: لا شيء إلاّ أن الله قد قضى الرضاعة، وسَرَّنا ما نرى، فقلنا نؤديه كما تحبون أحب إلينا.

قالت: إن لكما شأناً فأخبراني مَا هو.

فلم تدعنا حتى أخبرناها، فقالت: كلا والله لا يصنع الله ذلك به، إن لابني شأناً، أفلا أخبركما خبره؟.

إني حملت به فوالله ما حملت حملاً قط كان أخف منه عليّ ولا أيسر، ثم رأيت حين حملته أنه خرج مني نور أضاء منه أعناق الإبل ببصرى، أو قالت: قصور بصرى، ثم وضعته حين وضعت فوالله مَا وقع كما يقع الصبيان، لقد وقع معتمداً بيده على الأرض، رافعاً رأسه إلى السماء، فدعاه عنكما، فقبضته، وانصرفنا.

٣- وفاة أمه آمنة

لما رُدَّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى أمه، بقي عندها إلى أن بلغ ست سنين، فرأت أمه آمنة أن تذهب إلى أهلها بني النجار بيثرب، وتزور قبر زوجها عبد الله هناك، فخرجت من مكة في رحلة شاقة، قاطعة مسافة طويلة تبلغ نحو خمسمائة كيلو متر، ومعها ولدها اليتيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخادمتها أم أيمن، وعبد المطلب، فمكثت في زيارتها شهراً، ثم قفلت راجعة، وبينما هي راجعة لحقها المرض في أوائل الطريق، ثم اشتد بها، حتى ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة، وقبرها هناك مشهور مزور.

٥- كفالة جده عبدالمطلب

وعاد به عبد المطلب إلى مكة، وكانت مشاعر الحنو في فؤاده تربو نحو حفيده اليتيم الذي أصيب بمصاب جديد أثار الأحزان القديمة، فَرَقّ عليه رقة لم يرقها على أحد من أولاده، فكان يؤثره على أولاده، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي وهو غلام حدث حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني هذا،

فوالله إن له لشأناً، ثم يجلس معه على فراشه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.

وكان عبد المطلب قد كبر سنه، فقد بلغ مائة وعشرين سنة.

فلما حضرته الوفاة جمع بنيه العشرة، وبناته الست.

فقال: يا بَنِيّ ويا بناتي، قد اعْتَلَلْتُ عِلَلاً كثيرة فما وجدت كهذه، فإذا أنا مت ورصفتم علي الجنادل، وحثوتم عليّ التراب، فأيكم يكفل حبيبي محمداً بعدي؟

وكان عبد المطلب قد دعا رسول الله فأجلسه؛ ثم عرضهم عليه وقال: أي بني إني صائر إلى ما صار إليه الذين كانوا قبلي، فأي واحد من عمومتك تحب أن يكفلك، فهؤلاء هم حضور النساء منهم والرجال؟

فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظر إليهم، حتى أتى أبا طالب فجلس في حجره، وقال: يا جد لا أُحب غيره.

فقال عبد المطلب: سبحان الله مَا أردتُ يا عبد مناف غيرك للذي كان بينك وبين أبيه.

وكانت وفاة جده عبد المطلب بمكة، وقبر في الحجون.

وكان عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمانيَ سنوات وشهرين وعشرة أيام.

٦- كفالة عمه أبي طالب

وبعد أن أوصى به جده إلى عمه أبي طالب، فقام به أحسن قيام، واهتم به أعظم اهتمام، هو وزوجته فاطمة بنت أسد، فكانا يشبعانه ويجوعان أولادهما، ويدهنانه ويشعثانهم، وقام بحق ابن أخيه على أكمل وجه، وضمه إلى ولده، وقدَّمَه عليهم، واختصه بفضل احترام وتقدير، وظل أكثر من أربعين سنة يعز جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويصادق ويخاصم من أجله.

الفصل الثالث: من أحوال النشأة المباركة

نشأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم محفوظاً بعين الله، مكلوءاً برعاية الله، محروساً بدفاع الله، فكان يشب شباباً مباركاً، لا يشبه سواه من الغلمان، فكان يشب في اليوم شباب الغلام في الأسبوع، ويشب في الأسبوع شباب الغلام في الشهر، تلحظه العنايات، وتكتنفه البركات، وتحوطه الرعايات، وقد حصل له في نشأته المباركة كثير من الأحوال المهمة، ولا نستطيع أن نأتي عليها، ولكن نأتي بما أمكن منها واشتهر، ونلخصه في العناوين التالية:

١- بحيرى الراهب (جرجيس)

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنتي عشرة سنة سافر مع عمه أبي طالب في سفر إلى الشام مع جماعة من قريش، حتى إذا كانوا بأرض بصرى بين مكة والشام أشرف الراهب جرجيس، المشهور بـ(بحيرى الراهب) من صومعته، وقد كان قرأ الكتب السالفة، وعرف بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصفته، فرآهم مقبلين من مكة على رؤوسهم سحابة تسير إذا ساروا وتقف إذا وقفوا، فقال: مَا هذه السحابة إلاّ على رأس نبي.

وأمر مَنْ عنده باتخاذ الطعام، ونزل القوم عند شجرة حذاء باب الدير، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مع عمه تحت الشجرة وقد مال فيؤها عليه، ووقفت السحابة عليها، وبحيرى ينظر، فقال لهم: معاشر قريش أجيبوني إلى الطعام؟ فأجابوه وأشرف بحيرى فإذا السحابة على الشجرة وفيؤها مائل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: هل تخلف عن طعامي أحد منكم؟ قالوا: نعم غلام يتيم يقال له محمد.

قال: إنه لا بأس على أمتعتكم فهلموه، فدعوا رسول الله عليه صلى الله عليه وآله وسلم فجاء إلى جنب عمه أبي طالب، وجعل بحيرى يتفسر فيه العلامات التي عرفها، فلما فرغوا خلا بحيرى بأبي طالب، ثم قال: يا شيخ ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني.

قال: لا ينبغي أن يكون له أب ولا أم ولا جد في الأحياء، قال: صدقت هو ابن أخي.

قال: اتق الله واحْذَر عليه أعداءك اليهود، ثم بكى بحيرى بكاءً شديداً، وقام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه، فقبل مَا بين عينيه.

٢- حرب الفجار

وفي السنة العشرين من عمره صلى الله عليه وسلم وقعت في سوق عكاظ حرب بين قريش ومعهم كنانة وبين قيس عيلان، تعرف بحرب الفجار وسببها : أن أحد بني كنانة، واسمه البراض، اغتال ثلاثة رجال من قيس عيلان، ووصل الخبر إلى عكاظ فثار الطرفان، وكان قائد قريش وكنانة كلها حرب بن أمية؛ لمكانته فيهم سناً وشرفاً، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كادت الدائرة تدور على قيس، ثم تداعى بعض قريش إلى الصلح على أن يحصوا قتلى الفريقين، فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد، فاصطلحوا على ذلك، ووضعوا الحرب، وهدموا ما كان بينهم من العداوة والشر، وسميت بحرب الفجار؛ لانتهاك حرمة الشهر الحرام فيها، وقد حضر هذه الحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ينبل على عمومته؛ أي يجهز لهم النبل للرمي.

٣- حلف الفضول

وعلى إثر هذه الحرب وقع حلف الفضول في ذى القعدة في شهر حرام.

وكان سبب هذا الحلف: أن رجلاً من زبيد قدم مكة تاجراً ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي، وحبس عنه حقه، ومطله في الوفاء، فاستعدى الزبيدي عليه الأحلاف – وهم عبد الدار ومخزوم، وجمح وسهم وعدي– فلم يكترثوا له، ولم يبالوا بأمره، فصعد الزبيدي على جبل أبي قبيس، ونادى بأشعار يصف فيها ظلامته رافعاً بها صوته.

فقال الزبير بن عبد المطلب: ما لهذا مَترك؟

فمشى الزبير بن عبد المطلب في ذلك، حتى تداعت إليه قبائل من قريش وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي؛ فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته.

ودعوا بطيب في قدح فقربته إليهم أم حكيم البيضاء – عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم– فغمسوا أيديهم فيه، فسمي حلف المطيبين.

فلما عقدوا الحلف قاموا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه حق الزبيدي.

وشهد هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال فيه بعد أن أكرمه الله بالرسالة: ((لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت)).

٤- عمل الراعي والتجارة

لم يكن له صلى الله عليه وآله وسلم عمل معين في أول شبابه، فقد كان يرعى غنماً، رعاها في بني سعد، وفي مكة لأهلها على أجرة معلومة، ثم انتقل إلى عمل التجارة حين شب، فقد ورد أنه كان يتجر مع السائب بن أبي السائب المخزومي فكان خير شريك له، لا يداري ولا يماري، ولما جاءه يوم الفتح رحب به، وقال: مرحباً بأخي وشريكي.

وفي الخامسة والعشرين من سنه خرج تاجراً إلى الشام في مال خديجة رضي الله عنها، فقد كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له: ميسرة، فقبله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام.

٥- زواجه بخديجة

ولما رجع إلى مكة، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأي فيه صلى الله عليه وآله وسلم من خلال حميدة، وشمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين، وجدت ضالتها المنشودة، فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه، وذهبت نفيسة إليه صلى الله عليه وآله وسلم تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضي بذلك، وكلم أعمامه، فذهبوا إلى عم خديجة وخطبوها إليه، وكان السادات والرؤساء يحرصون على زواجها فتأبى عليهم ذلك، وعلى إثر ذلك تم الزواج، وحضر العقد

بنو هاشم ورؤساء مضر، وذلك بعد رجوعه من الشام بشهرين، وأصدقها عشرين بكرة، وكانت سنها أربعين سنة، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسباً وثروة وعقلاً، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت.

وعن سعيد بن جبير قال: كان لنساء قريش عيد يجتمعنَ فيه في المسجد الحرام، فاجتمعن فيه في يوم عيدهن، فأتاهن يهودي فقال: معاشر نساء قريش، يوشك أن يبعث فيكم نبي، فأية امرأة منكن استطاعت أن تكون له أرضاً يطؤها فلتفعل.

فَحَصبْنَه وطردنه، ووقع ذلك القول في قلب خديجة عليها السلام، وكان لها غلام يقال له: ميسرة، يختلف بالتجارة، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرج معه في سفره، وكان إذا دَنَا من مكة بعث إلى خديجة فأعلمها بما كان في سفرهم، وكان لها مشرفة فكانت إذا كان أوقات قدومه تجلس فترى من يطلع من عقبة المدينة، فجلست فيها في يوم صائف فطلع رجل من العقبة في يوم حار وأقبل على رأسه سحابة قدر ما تظله لا ترى في السماء سحابة غيرها.

فلما نظرت قالت: لئن كان ما قال اليهودي حقا مَا أظنه إلاّ هذا الرجل.

فلما انتهى إليها أخبرها بما كان في سفرهم، فقالت له: ألا تتزوج.

فقال لعمه أبي طالب: اخطب لي. قال: مَن؟

قال: خديجة بنت خويلد .

فقال: سأقضي مَا في نفسك.

فلقي أباها فذكر ذلك له، فقال: حتى أنظر.

فلقيها فذكر لها ذا مال قد ماتت امرأته، فقال: يا خديجة فلان يخطبك.

فقالت: ذهب شبابه، وساء خلقه، يُدل بماله، لا حاجة لي فيه.

ثم ذكر لها أبوها غلاماً من قريش قد وَرَّث له أبوه مالاً.

فقالت: حديث السن، سفيه العقل، لا حاجة لي فيه.

فقال: فمحمد بن عبد الله.

قالت: أوسط الناس في قريش نسباً وصهراً، وأصبحهم وجهاً، وأفصحهم لساناً أعود عليه بمالي.

فأرسل إليهم أبوها أن هلموا.

فأقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتى دخلوا على ورْقَة بن نوفل.

فقال أبو طالب: الحمد لله رب هذا البيت الذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل، وجعل لنا بيتاً مَحْجُوجاً وحَرَماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا، ويخرج فينا نبياً خاتماً آمنا به واتبعنا هديه، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به، ولا يقاس بأحد منهم إلا عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، ولإن كان مُقِلاً في المال فإن المال ورقٌ حائلٌ، وظلٌ زائلٌ، وهو بإذن الله كفء، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه كذلك، والصداق مَا أرادت وشاءت.

فقالت خديجة: الصداق عليّ وفي مالي، فمر عمك فلينحر ناقة وليُولِم للناس بها.

فقال أبو طالب: اشهدوا عليها.

وقالت قريش: عجباً أتمهر النساء الرجال!؟

فغضب أبو طالب –وكان ممن يهاب ويكره غضبه– فقال: أما إذا كان مثل ابن أخي هذا طلبته النساء بأغلى الأثمان.

ونحر أبو طالب ناقة، ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأهله.

وكل أولاده صلى الله عليه وسلم منها سوى إبراهيم، ولدت له: أولاً القاسم – وبه كان يكنى – ثم زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله – وكان عبد الله يلقب بالطيب والطاهر– ومات بنوه كلهم في صغرهم.

أما البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن، إلا أن الوفاة أدركتهن في حياته صلى الله عليه وآله وسلم، سوى فاطمة عليها السلام، فكانت وفاتها بعده بشهرين ونصف ثم لحقت به، وكانت أسرع أهله لحوقاً به، كما أخبرها بذلك.

٦- بناء الكعبة وقضية التحكيم

ولما بلغ صلى الله عليه وآله وسلم من العمر خمساً وثلاثين سنة قامت قريش ببناء الكعبة؛ وذلك لأن مكة تعرضت لسيل عارم انحدر إلى البيت الحرام، فأوشكت الكعبة منه على الانهيار، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها، واتفقوا على ألا يدخلوا في بنائها إلا حلالاً طيباً، وأن لا يدخلوا فيها مهر بغي، ولا بيع رباً، ولا مظلمة أحد من الناس، وكانوا يهابون هدمها، فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي، فأخذ المعول وقال: اللهم لا نريد إلا الخير، ثم هدم ناحية الركنين، ولما لم يصبه شيء تبعه الناس في الهدم في اليوم الثاني، ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أرادوا الأخذ في البناء فجزأوا الكعبة، وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها، فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة، وأخذوا يبنونها، وتولى البناء بَنَّاءٌ رومي –اسمه: باقوم –.

ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه، واستمر النزاع أربع ليال أو خمساً، واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد، فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين، رضيناه، هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداء فأخذ الحجر بيديه الكريمتين ووضع الحجر وسطه، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده الشريفة فوضعه في مكانه.

٧- حفظ الله وصيانته لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم من أدناس الجاهلية

ومن حفظ الله وصيانته لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم من أدناس الجاهلية: ما روي عنه صلى الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمني برسالته، قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي الغنم بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى

أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال : أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفاً، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: عرس فلان بفلانة، فجلست أسمع، فضرب الله على أذني فنمت، فما أيقظني إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبي فسألني، فأخبرته، ثم قلت ليلة أخرى مثل ذلك، ودخلت بمكة فأصابني مثل أول ليلة، ثم ما هممت بسوء)).

وعن جابر بن عبد الله قال: لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: اجعل إزارك على رقبتك يقيقك من الحجارة، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق، فقال: ((إزاري، إزاري)) فشد عليه إزاره، فما رؤيت له عورة بعد ذلك.

وعن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وُكِّلَ به مَلك عظيم منذ فصل من الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصده عن الشر ومساوئ الأخلاق، وهو الذي كان يناديه صلى الله عليه وآله وسلم يا محمد، يا رسول الله، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة فيظن أن ذلك من الحجر والأرض، فيتأمل فلا يرى شيئاً.

فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمتاز في قومه بشمائل المكارم، ومكارم الشمائل، فكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعزهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وألينهم عريكة، وأعفهم نفساً، وأكرمهم خيراً، وأبرهم عملاً، وأوفاهم عهداً.

كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: يحمل الكَلَّ، ويكسب المعدوم، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الدهر.

٨- ملخص السيرة قبل النبوة

نشأ صلى الله عليه وآله وسلم سليم العقل، وافر القوى، نزيه الجانب، جامع للصفات الحميدة، والشيم النبيلة، فكان مثالاً في مكارم الأخلاق ومحاسن الخصال، فامتاز بالصدق والأمانة والمروة والشجاعة والعفة والقناعة والحلم والصبر، والحياء والوفاء والتواضع، والبر والإحسان، وصلة الرحم، يقري الضيف ويعين اللهيف، إن أئتمن لم يخن، وإن قال صدق ولم يكذب، وإن وعد وفى ولم يخلف حتى اشتهر بين قريش بالصادق الأمين، محفوظاً من الله

بالرعاية، ومحاطاً بالصيانة، فلم يشهد أعياد الأوثان أو احتفالات المشركين، ولم يأكل مما ذبح لغير الله أو ذبح على النصب، بعيداً عن الأصنام لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى فضلاً عن عبادتها أو التقرب إليها، بعيداً عن مجالس اللهو وشرب الخمر، وأماكن الخنا والفجور، بل كان من أول نشأته نافراً من هذه المعبودات الباطلة، حتى لم يكن شيء أبغض إليه منها، وكان لا يصبر على سماع الحلف باللات والعزى.

الفصل الرابع: بعض الصفات والشمائل المحمدية

كان صلى الله عليه وآله في أعلى ذروة مراتب الصفات العلية، الخَلقية والخُلقية، فلا يصل إلى غايته بشر، ولا يدرك مقامه في ذلك بدو ولا حضر.

فأما صفاته صلى الله عليه وآله وسلم الخَلقِيَّةُ الجبلية التي خلقه الله عليه فهي من عجائب صنع الله، وبدائع خلقه، وقد وصف صلى الله عليه وآله وسلم بأوصاف عظيمة، ونعته الناعتون، ووصفه الواصفون كل بحسب ما يراه من العظمة والجلال، والبهاء والكمال، وممن وصفه من يلي:

١- وصف أمير المؤمنين علي عليه السلام للمصطفى صلى الله عليه وآله

فقد وصفه أمير المؤمنين علي عليه السلام فيما رواه عنه الإمام زيد بن علي عليهم السلام أنه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبيض اللون، مُشرباً بحمرة، أدعج العينين، سبط الشعر، دقيق العِرْنِين، أسهل الخدين، دقيق المسرُبة، كث اللحية، كان شعره مع شحمة أذنه إذا طال، كأنما عنقه إبريق فضة، له شعر من لبته إلى سرته، يجري كالقضيب، لم يكن في صدره ولا في بطنه شعر غيره، إلا نبذات في صدره، شثن الكف والقدم، إذا مشى كأنما يتقلع من صخر، وينحدر في صبب، إذا التفت التفت جميعاً، لم يكن بالطويل، ولا العاجز اللئيم، كأنما عرقه اللؤلؤ، ريح عرقه أطيب من المسك، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله وسلم).

٢- أنس بن مالك

وعن أنس بن مالك قال: خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته: لمَ صنعته، ولا لشيء تركته: لم تركته، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً قط ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عَرَق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣- أم معبد تصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فقالت: **رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، حسنَ الخَلْقِ، مليحَ الوجه.**

لم تعبه ثُجلة. - أي ضِخَم البطن، وقيل: **نُحلة**: أي نحول ودقة-.

ولم تزرأ به صَعْلَة.- أي صغر الرأس، والدقة والنحول في البدن-.

قسيم وسيم. — القسيم: حسن الوجه جميله كله، والوسيم: الحُسن الوضيء الثابت-.

في عينيه دَعَج. — أي شدة سواد العين في شدة بياضها-.

وفي أشفاره وطف. — أي في شعر أجفانه طول-.

وفي صوته صَحَل.- كالبحة، وأن لا يكون حاد الصوت-.

أحور أكحَل. —سواد في أجفان العين خلقة-.

أزج أقرن. — الزجج: تقوس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداد، والأقرن: أي مقرون الحاجبين.

في عنقه سطع —أي طول-.

وفي لحيته كثاثة. —الكثاثة: غير رقيقة-.

إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء.-أي ارتفع وعلا على جلسائه-.

حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن، أبهى الناس، وأجمله من بعيد، وأحسنه من قريب.

ربعة. - أي مربوع بين الطويل والقصير-.

لا تشنأه عين من طول.- أي لا يبغض لفرط طوله-.

ولا تقتحمه عين من قصر.- أي لا تتجاوزه إلى غيره احتقاراً له-.

غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قداً، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره.

محفود محشود. —أي يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته، ويجتمعون إليه.

لا عابس ولا مفند. — العابس: الكريه الملقى الجهم المحيا، والمفند: الذي لا فائدة في كلامه لكبر أصابه-.

٤- وصف هند بن أبي هالة التيمي

وعن الإمام الحسن بن علي عليه السلام أيضاً، قال: سألت خالي هند بن أبي هالة التيمي؛ -وكان وصّافاً- عن حلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال:

كان فخماً مفخَّماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رَجِل الشعرة، إذا انفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفَّره، أزْهَر اللون، واسع الجَبِين، أَزَج الحواجب سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله، أشَم، كَث اللحية سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسْربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادناً، متماسكاً، سوي البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد مابين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول مابين متنته والسرة شعر يجري كالخيط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، سبط القضب، شَثِن الكفين والقدمين، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين رَحْب الراحة، سائل الأطراف، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء. إذا زال قلعاً يخطو تكفياً، ويمشى الهُوَيْنَا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما يَنْحَطّ من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الأطراف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبتدر من لقيه بالسلام.

منطق النبي صلى الله عليه وآله

قلت: صف لي منطقه؟.

قال: كان رسول الله متواصل الأحزان، دائم الفكر ليست له راحة.

لا يتكلم في غير حاجة.

طويل السكوت.

يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه.

ويتكلم بجوامع الكلم.

فصل لا فضول ولا تقصير.

دمث ليس بالجافي ولا المهيْن.

يعظم النعمة وإن دَقَّت، ولا يذم منها شيئاً.

لا يذم ذواقاً ولا يمدحه.

ولا تغضبه الدنيا ومَا كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له.

ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها.

إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى.

وإذا غضب أعرض وأشاح.

وإذا فرح غض طرفه.

جُلُّ ضحكه التَّبَسُّم.

ويَفْتَرُّ عن شيء مثل حب الغمام.

٥- وصف أمير المؤمنين عليه السلام للشمائل المحمدية

وأما بعض صفاته الخُلُقية: فقد قال الحسين بن علي عليه السلام:

صفة النبي صلى الله عليه وآله في داخل منزله

سألت أبي عن دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

كان دخوله صلى الله عليه وآله وسلم مأذوناً له في ذلك، فكان إذا آوى إلى منزله جَزَّأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزءً لله، وجزءً لأهله، وجزءً لنفسه، ثم جَزَّأ جُزْءَه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة بالخاصة، ولا يدخر عنهم شيئاً.

سيرته في جزء الأمة

فكان من سيرته في جزء الأمة: إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمته على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، يتشاغل بهم

ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألتهم عنه، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول: ((ليبلغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغه ثبت الله قدميه يوم القيامة))، لا يذكر عنده إلاّ ذلك، ولا يقبل من أحدٍ غيره، فيدخلون رُوَّاداً ولا يفترقون إلاّ عن ذواق، ويخرجون أَدِلَّة.

صفة مخرجه صلى الله عليه وآله

قال: فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟

فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخزن لسانه إلاّ عمّا كان يعنيه.

ويؤلفهُّم ولا ينفّرهم، ويُكرمُ كريمَ كلَّ قوم ويوليه عليهم.

ويحذَرُ الناس ويحترسُ منهم من غيرِ أن يطوي عن أحدٍ بِشره ولا خُلُقه.

ويتفقَّد أصحابَه، ويسأل الناسَ عمّا في الناس.

ويحسّنُ الحسنَ ويقوّيه ، ويقبّحُ القبيحَ ويوهنُه.

معتدلَ الأمر غير مختلف فيه.

لايغفَل مخافةَ أن يغفلوا ويميلوا.

ولا يقصّرُ عن الحقِ ولا يجوِّزُهُ.

الذين يَلُونه من الناسِ خيارُهم.

أفضلُهم عنده أعمّهم نصيحةً للمسلمين.

وأعظمهُم عنده منزلةً أحسنُهم مواساة وموازرة.

صفة مجلسه صلى الله عليه وآله

قال: فسألته عن مجلسه؟

فقال: كان لا يجلس ولا يقومُ إلاّ على ذكرٍ.

لا يوطّن الأماكن وينهى عن إيطانها.

وإذا انتهى إلى قوم جَلَسَ حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك.

ويعطي كلَّ جلسائه نصيبَه، ولا يحسب أحدٌ من جلسائه أنَّ أحداً أكرمُ عليه منه.

مَن جالسَهُ أو أقامه لحاجة صابره حتى يكونَ هو المنصرف.

مَن سأله حاجة لم يرجع إلاّ بها، أو بميسورٍ مِنَ القول.

قد وسع الناسَ منه خُلُقُهُ فصارَ لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء.

مجلسُه مجلسُ حلمٍ وحياءٍ وصدقٍ وأمانةٍ، لا تُرفَعُ عليه الأصوات، ولا تؤبَّنُ فيه الحُرَم، ولا تُثَنى فلتاتُه، مُتعادلين، متفاضلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقِّرون الكبيرَ، ويَرحمون الصَّغير، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب.

صفة سيرته في جلسائه

قال: قلت: كيف كانت سيرته في جلسائه؟

فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دائم البشْر، سَهْلَ الخُلُقِ، لَيّنَ الجانب.

ليس بفِظٍّ ولا غليظٍ ولا ضَحاكٍ [ولا صَخَّابٍ] ولا فحاشٍ ولا عَيابٍ ولا مَدّاحٍ [ولا مزاح].

يتغافلُ عما لا يشتهي، فلا يؤيَس منه، ولا يُخيّبُ فيه مؤمليه.

قد ترك نفسَه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه.

وترك الناس من ثلاث: كان لا يذمَ أحداً ولا يعيّره، ولا يطلب عثراتِه ولا عورته.

ولا يتكلم إلاّ فيما رجى ثوابَه.

إذا تكلم أطرقَ جُلساؤه كأنَّ على رؤوسهم الطير، فإذا سكت سكَتوا [تكلموا].

ولا يتَنازعون عنده الحديث.

من تكلم أنصَتوا له حتى يفرَغ من حديثه، حديثهم عنده حديث أوّلهم.

يضحكُ ممّا يضحكون منه .

ويتعجبُ ممّا يتعجَّبون منه .

ويصبرُ للغريب على الجفوة في مسألته ومنطِقِه، حتى إن كان أصحابه يستجلبونهم.

ويقول : إذا رأيتم طالبَ الحاجة يطلبُها فأرْفِدُوهُ [فأرشدوه إليّ].

ولا يقبل الثناء إلاّ مِن مكافئ.

ولا يقطعُ على أحدٍ كلامَهُ حتى يجوز فيقطعُه بنهيٍ أو قيامٍ .

صفة سكوته صلى الله عليه وآله وسلم

قال: فسألته كيف كان سكوته ؟

قال: كان سكوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكر.

فأما تقديره: ففي تسوية النظر، والاستماع بين الناس.

وأما تفكره: ففيما يبقى ويفنى.

وجُمع له الصبر في الحلم، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه.

وجمع له الحذرَ في أربع:

أخذه بالحَسَن ليُقتدى به.

وتركه القبيح ليُنتهى عنه.

واجتهاده الرأيَ في صلاح أُمَّتِه.

والقيام فيما جمع له خير الدنيا والآخرة.

صفات أخرى كريمة

وروي عن علي عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله: يأكل على الأرض، ويجلس جِلسَة العبد، ويخصفُ بيدِهِ نَعله، ويرقّع ثوبَه، ويركبُ الحمارَ العاري، ويردفُ خلفه.

ومن أخلاقه ومعاملاته العظيمة التي كان يتصف بها مع أصحابه وجلسائه آداب هامة، تعلمها من القرآن، فلقد كان خُلُقهُ القرآن، وأدبه بها ربه تعالى كما روي عنه أنه قال ((أدبني ربي فأحسن تأديبي)):

فكان إذا فقَد الرجل من إخوانه ثلاثةً أيام سأل عنه فان كان غائباً دعا له، وإن كان شاهداً زارَه وإن كان مريضاً عاده، وكان لا يأخذ بالقَرف – وهي التهمة – ولا يقبَل قول أحدٍ على أحدٍ.

وكان إذا أتى باب قومٍ لم يستقبل الباب من تلقاءِ وجههِ ولكن من ركنِه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم، السلام عليكم.

وكان إذا أتاه الرجل وله الاسمُ لا يحبُّهُ حوّلَه.

كان يجلس بين ظهرانيّ أصحابه فيجيءُ الغريبُ فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى النبي أن يجعل مجلساً يعرفُه الغريبُ إذا أتاه فبنينا له دكاناً من طين فكان يجلس عليها، ونجلس بجانبيه.

وكان يصافحه الرجلُ فما يتركُ رسولُ الله صلى الله عليه وآله يدَه حتى يكونَ هو التاركُ، فلما فَطِنوا لذلك كان الرجلُ إذا صافحَهُ مالَ بيده فنزعَها من يده كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم، ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم.

فهذه قطرة من مطرة من صفاته وشمائله وأخلاقه وصفاته وهي مدونة في كتب السيرة، فمن أراد التأسي به والإقتداء فليكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدوته.

الآداب المحمدية

أمر الله تعالى بالاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر}، فيجب علينا أن تأسى به صلوات الله عليه وآله، فيما علمنا وجوبه من أفعاله، ولا ينبغي أن نترك الاقتداء به فيما علمنا ندبه وسنيته، وسنذكر بعضاً من تلك الآداب المحمدية التي كان عليها صلى الله عليه وآله في عامة أحواله:

آدابه في العبادات

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي حتى يبتل مصلاّه خشية من الله عزَّ و جلَّ من غير جُرمٍ.

كان إذا قام إلى الصلاة يربدُّ وجهه خوفاً من الله ، وكان بصدره – أو لجوفه – أزيزٌ كأزيز المرجَل .

كان يحدّثنا ونحدّثه فإذا حضرتِ الصلاةُ فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفِه.

كان لا يجلس ولا يقوم إلاّ على ذكر الله جلّ اسمه.

كان إذا جلس مجلساً فأراد أن يقوم قال: أستغفرَ الله من عشر إلى خمس عشر مرة.

كان إذا قام إلى الصلاة كأنه ثوبٌ ملقى.

كان ينتظر وقت الصلاة ويشتدُّ شوقُه ويترقب دخوله ويقول لبلال : أرحنا يا بلال.

كان إذا حَزَبَه أمر صلّى.

كان إذا مرّ بآية خوفٍ تَعَوَّذَ، وإذا مرّ بآية رحمة سأل، وإذا مرّ بآية فيها تنزيه الله سبَّح.

كان يقول: قرة عيني في الصلاة والصوم.

كان إذا صلّى صلاة أثبتها.

كان إذا جاءهُ أمر يُسَرُّ به خرَّ ساجداً شكراً للهِ.

كان أكثر دعوة يدعو بها: ربنا آتنا في الدينا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار.

كان إذا دخل شهر رمضان تغيَّر لونه وكثرت صلاته، وابتهل في الدعاء، وشفق لونه.

كان إذا شهد جنازة أكثر الصُّمات وأكثر حديث نفسه.

كان إذا شهد جنازة رؤيت عليه كآبة ، وأقلَّ الكلام وأكثر حديث النفس.

كان أكثر ما يصومُ يوم الاثنين والخميس فقيل له : لماذا ؟ قال : الأعمال تُعرض كلّ إثنين وخميس، فيُغفَرُ لكل مسلم إلاّ المتهاجرَيْن، فيقول أخِّروهما.

كان لا يدعُ قيام الليل ، وكان إذا مرضَ أو كسلَ صلّى قاعداً.

كان لا يقرأُ القرآن في أقلّ من ثلاث.

كان لا يكون في المصلين إلاّ كان أكثرهم صلاة، ولا يكون في الذاكرين إلاّ كان أكثرهم ذكراً.

كان لا ينزل منزلاً إلاّ وَدَّعَهُ بركعتين.

كان لا يُؤثر على الصلاة عَشاءً ولا غيرَه وكان إذا دخل وقتها كأنّه لا يعرف أهلاً ولا حميماً.

كان يصلّي من التطوُّع مِثلَي الفريضة، ويصوم من التطوُّع مِثْلَي الفريضة.

كان إذا تثاءب في الصلاة ردَّها بيده اليمنى.

كان لا يُؤثرُ على صلاة المغرب شيئاً إذا غربت الشمس حتى يُصلِّيها.

كان لا يحجزُه عن قرآءة القرآن إلاّ الجنابة.

كان إذا رأى ما يحبُّ قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كان يتضرع عند الدعاء حتى يكاد يسقطُ رداؤه.

كان يذكر الله تعالى على كل أحيانه.

آدابُه في نفسه

كان أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها.

كان أبغضَ الخُلُقِ إليه الكذبُ.

كان إذا عمل عملاً أثبته.

كان لا يأكلُ متكئاً.

كان لا يدّخر شيئاً لغدٍ.

كان لا يتطيَّر ولكن يتفاءلُ.

كان لا ينبعث في الضحك.

كان لا يضحك إلا تبسماً.

كان لا ينام حتى يستنَّ.

كان لا ينام إلاّ والسّواك عند رأسه فإذا استيقظ بدأ بالسواك.

كان لا يرقُدُ من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوَّكَ.

كان يحفي شاربه.

كان يعجبه الريحُ الطيبة.

كان يُعرَف بريح الطيب إذا أقبلَ.

كان يقلّم أظفارَه ويقصَ شاربَه يوم الجمعة قبل أن يروح إلى الصلاة.

كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد.

إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يؤدي الخيط والمخيط.

كان إذا حدّث بحديث تبسَّم في حديثه.

كان ينفق على الطِّيب أكثر ممّا ينفقُ على الطعام.

آدابُه مع نسائه

كان إذا خلا بنسائه: ألينَ الناس، وأكرم الناس، ضَحاكاً بساماً.

كان يحلب عنزَ أهله.

كان إذا دخل بيته بدأ بالسِّواكِ.

كان إذا قدِم من سفَر بدأ بالمسجد فَصلَى فيه ركعتين، ثم يُثَنِي بفاطمة، ثم يأتي أزواجه.

كان رحيماً بالعيال.

كان يأمر نساءه إذا أرادت إحداهُنَّ أن تنامَ أن تحمد ثلاثاً وثلاثين، وتسبّح ثلاثاً وثلاثين، وتكبَر ثلاثاً وثلاثين.

كان يخيط ثوبَه ويخصفُ نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم.

كان يعمل عمل البيت وأكثر ما يعمل الخياطة.

كان يَقسِمُ بين نسائه فيعدل.

كان يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً.

آدابُه مع أصحابه

كان إذا جلس جلس إليه أصحابه حِلَقاً حِلَقاً.

كان يتجمل لأصحابه فضلاً عن تَجَمّله لأهله.

كان إذا لقي أصحابَه لم يصافحهم حتى يُسلّمَ عليهم.

كان إذا لقيه أحدٌ من أصحابه فقام معه قام معه، فلم ينصرف حتى يكون الرجلُ هو الذي ينصرفُ عنه، وإذا لقيه أحدٌ من أصحابه فتناول يده ناوله إياها فلم ينزع يده منه حتى يكونَ الرجلُ هو الذي ينزعُها عنه.

كان إذا لقيه الرجلُ من أصحابه مسَحَهُ ودَعا له.

كان إذا لم يحفظ اسم الرجلَ قال: يا ابن عبد الله.

كان يقسّم لحظاتِه بينَ أصحابه فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسويّة .

ولم يبسط رجليه بين أصحابه قط.

كان يداعب ولا يقول إلا حقاً.

كان يداعب الرَّجل يريد به أن يسرّه.

كان صلى الله عليه وآله يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم، ويكني من لم يكن له كنية، فكان يُدعى بما كنّاه به.

كان لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال: لبيك.

كان يُسر الرجل من أصحاب إذا رآه مغموماً بالمداعبة.

وكان صلى الله عليه وآله يقول: إن الله يبغض المعبِّس في وجه إخوانه.

كان يَستشيرُ أصحابَه ثم يعزمُ على ما يريدُ.

كان إذا ودع المؤمنين قال: ((زوّدكم الله التقوى، ووجّهكم إلى كل خير، وقضى لكم كل حاجةٍ، وسلّم لكم دينكم ودنياكم، وَرَدَكم إليَّ سالمين)).

آدابُه مع عامة الناس

كان أخفَّ الناس صلاةً على الناس، وأطول الناس صلاةً لنفسه.

كان إذا أتاه رجلٌ فرأى في وجهِه بشراً أخذ بيدِهِ.

كان إذا أتاه الفيءُ قسَّمه في يومه فأعطى الآهِلَ حظّين، وأعطى العَزَبَ حظاً.

كان إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أمره قال: بَشِّروا ولا تُنَفِّروا، ويَسِّرُوا ولا تَعَسَّروا.

كان يُغيّر الاسمَ القبيحَ.

كان يخرج في مَلأ من الناس من أصحابه في كلِّ عشيّةِ خميسٍ إلى بقيع المدنيين فيقول ثلاثاً: السلام عليكم يا أهلَ الديار، ويقول: رحمكم الله -ثلاثاً-.

كان رحيماً ولا يأتيه أحدٌ إلاّ وَعَدَ وأنجز له إن كان عنده.

كان لا يُدفَعُ عنه الناس ولا يُضرَبوا عنه.

كان يتخلّف في السير فيزجي الضعيفَ ويردفُ، ويدعُو لهم.

كان إذا دخلَ على مريض يعوده قال: لا بأس، طهورٌ إن شاء الله.

كان إذا عطسَ وَضَعَ يده أو ثوبه على فيه وخفّض بها صوته.

كان أصبر الناس على أقذار الناس.

كان إذا صلّى بالناس الغداةَ أقبلَ عليهم بوجهه فقال: هَل فيكم مريضٌ أعودُه؟ فان قالوا: لا، قال: فهل فيكم جنازةٌ أتبِعُها.

كان يحبُّ أن يُدعى الرجل بأحبّ أسمائِه إليه وأحبّ كناه.

كان يكرهُ أن يَطَأَ أحدٌ عقِبَهُ ولكن يمينٌ وشمالٌ.

كان ينزلُ عن المنبر يوم الجمعة فيكلّمُهُ الرجل في الحاجة ، ثم يتقدمُ إلى مصلاّة فيصلّي.

كان لا يواجهُ أحداً بشيء يكرهُه.

كان يحمِّلُ الناس من خَلفه ما يطيقون.

كان يُؤثر الداخلَ عليه بالوسادة التي تحته، فإن أبى أن يقبلها عَزَم عليه حتى يفعل.

كان لا يدع أحداً يمشي مَعه إذا كان راكباً حتى يحمله معه، فإن أبى، قال: تقدَّم أمامي وأدركني في المكان الذي تريد.

كان من رأفته لأمّته مداعبته لهم لكيلا يبلغ بأحد منهم التعظيمُ حتى لا يُنظَرَ إليه.

كان يقول: لا يبلّغُني أحدٌ منكم عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحِبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليمُ الصدر.

كان إذا بايعه الناس يُلَقِّنهم: فيما استطعتُ.

آدابُه مع الصبيان

كان يسمع صوتَ الصبي يبكي وهو في الصلاة فيخفف الصلاة فتصير إليه أُمُه.

كان إذا أُتِي بباكورة الثمرة وضعَها على عينيه ثم على شفتيه وقال: اللّهم كما أريتَنا أوّلَه فأرنا آخره، ثم يعطيه مَن يكونُ عنده مِن الصبيان.

كان إذا يؤتى بالصغير ليَدعوَ بالبركة، أو يسميه فيأخذُه فيضعُه في حجره تكرمةً لأهله، فربما بالَ الصبيُ عليه فيصيحُ بعضُ من رآه حين يبول فيقول صلى الله عليه وآله: لا تَزرِمُوا بالصبيّ، فيدعُه حتى يقضي بولَه، ثم يفرغ له من دعائه، أو تسميَته، ويبلغُ سرورُ أهلِه فيه، ولا يرون أنه يتأذى ببول صبيّهم، فإذا أنصرفوا غَسَلَ ثوبه.

كان أرحمَ الناس بالصبيان والعيال.

كان إذا قدم من سفر تُلقّيَ بصبيان أهل بيته.

كان يزور الأنصار، ويسلّم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم.

كان يمرُّ بالصبيان فيسلّم عليهم.

كان يؤتى بالصبيان فيبرّكُ عليهم ويحنّكُهُم ويدعُو لهم.

كان يكنّي الصبيان فيستلين به قلوبَهم.

كان إذا أصبح مَسَحَ على رؤوس ولده، وولد ولده.

آدابُه مع الضعفاء والمساكين

كان يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين.

كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد حتى يقضي حاجته.

كان آخر كلام تكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله: الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم.

كان يجلس على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيبُ دعوة المملوك على خبزِ شعير.

كان إذا أكلَ مع القوم طعاماً كان أوَّلَ من يضعُ يَدَه، وآخرَ من يرفعُها ليأكلَ القومُ.

كان يذبح يوم الأضحى كبشين أحدهما عن نفسه والآخر عمن لم يجد من أمَّتِهِ.

آدابُه مع خادمه

كان مما يقولُ للخادم: ألك حاجة ؟.

قال أنس بن مالك: والذي بعثَه بالحق ما قالَ لي في شيء قطُّ كرِهَهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ ولا لامَني نساؤه إلاّ قالَ دَعُوهُ.

آدابُه مع مناوئيه وأعدائه

كان يُقْبِلُ بوجهه وحديثه على شر القوم يتألَّفه بذلك.

الفصل الخامس: وأما خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم

فقد اختص الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بخصائص لا تستقصى عداً، ولا يستطاع لها حصراً أبداً، ولكن نذكر منها ما يدل على ما سواه:

١- أخذ الميثاق على الأنبياء في الإيمان به: كما قال تعالى {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ}(آل عمران/٨١)، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: (ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به وينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بُعثَ محمدٌ وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه).

٢- توسلات الأنبياء عليهم السلام بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم: كما فعل آدم عليه السلام فعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً، ولم أخلقه؟ قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي، ادعني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك)).

وكما روي عن موسى عليه السلام أنه قال: (يا رب إن كان قد خلق جاهي عندك، فأسألك بحق النبي الأمي الذي تبعثه في آخر الزمان)، فأوحى الله إليه ((ما خلق جاهك عندي وإنك عندي لوجيه)).

٣- اللواء: وهو لواء الحمد الذي يعطيه الله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة، وفيه أخبار كثيرة، وواياته متعددة:

وهو الذي طوله مسيرة ألف عام ، مكتوب فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة، طوله مسيرة ألف عام، فيه مكتوب بالذهب، لا إله إلا الله، محمد رسول الله)).

فمنها: عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يأتي على الناس يوم ما فيه راكب إلا نحن أربعة)) فقال له العباس: فداك أبي وأمي من هؤلاء الأربعة قال: ((أنا على البراق، وأخي صالح على ناقة الله التي عقرها قومه، وعمي الحمزة أسد الله وأسد رسوله على ناقتي العضباء، وأخي علي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة مديحة الحسن عليه حلتان خضراوان من كسوة الرحمن، على رأسه تاج من نور، لذلك التاج تسعون ركناً، على كل ركن ياقوتة حمراء تضيء للراكب مسيرة ثلاثة أيام، وبيده لواء الحمد: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فيقول الخلائق: من هذا ملك مقرب أو نبي مرسل أو حامل العرش فينادي منادي من بطنان العرش ليس هذا بملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا حامل عرشي، هذا علي بن أبي طالب وصي رسول رب العالمين، وأمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم)) .

ومنها: عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: ((أعطيت فيك تسع خصال، ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة، واثنتان لك، وواحدة أخافها عليك: فأما الثلاث اللاتي في الدنيا: فإنك وصيي، وخليفتي في أهلي، وقاضي ديني. وأما الثلاث اللاتي في الآخرة: فإني أعطى لواء الحمد فأجعله في يدك فآدم وذريته تحت لوائك، وتعينني على مفاتيح الجنة، وأحكمك في شفاعتي لمن أحببت. وأما اللتان لك: فإنك لن ترجع بعدي كافراً، ولا ضالاً. وأما الواحدة التي أخافها عليك: فغدر قريش بك بعدي)) .

٤- الكوثر: وهو الحوض، وفيه أخبار كثيرة أيضاً:

منها: عن أبي ذر الغفاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ترد علي الحوض راية علي عليه السلام أمير المؤمنين، وإمام الغر المحجلين، فأقوم فآخذ بيده فيبيض وجهه ووجوه أصحابه وأقول: ما خلفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون: تبعنا الأكبر وصدقنا، ووازرنا الأصغر وناصرناه وقاتلنا معه؛ فأقول: رِدُوا مرئين، فيشربون شربة لا يظمأون بعدها، وجه إمامهم كالشمس الطالعة، ووجوههم كالقمر المنيرة ليلة البدر أوكأضوأ نجم في السماء)).

ومنها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا كان يوم القيامة أقف على الحوض، وأنت يا علي والحسن والحسين تسقون شيعتنا وتطردون أعداءنا)).

ومنها: عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم: ((عليّ يوم القيامة

على الحوض، لايدخل الجنّة إلاّ من جاء بجواز من علي بن أبي طالب)).

٥- أن ما حصل للأنبياء السابقين من المعجزات والآيات، وقع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مثلها على أبلغ الوجوه، وأوضح الدلالات، كما روي عن أم سلمة رضي الله عنها في خبر طويل قالت: أتى نفر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أحدهم: اتخذ الله إبراهيم خليلاً فأي شيء اتخذك؟ قال: ((اتخذني صفياً والصفي أقرب من الخليل)).

وقال الثاني:كلم الله موسى فقال: ((كلم موسى في الأرض وكلمني تحت سرادق العرش)).

وقال الثالث: كان عيسى يُحيي الموتى فنادى علياً فكلمه بكلمات لم أسمعها، فخرج بهم علي عليه السلام وأنا معهم وانطلق بهم إلى قبر يوسف بن كعب، فتكلم بكلمات فتصدع القبر فإذا شيخ ينفض التراب عن رأسه ولحيته وهو يقول: يا أرحم الراحمين، ثم التفت إلى القوم كأنه عارف بهم ثم قال: ويلكم أكفر بعد إيمان أنا يوسف بن كعب صاحب الأخدود. إلى آخر الخبر.

٥- أكله من ثمار الجنة في الدنيا:

وقد تكرر في أحوال متعددة:

منها: القطف الذي من الجنة، وقد ورد بروايات عديدة، فمنها السفرجلة، والتفاحة، وطبق التمر الذي من الجنة، والأترجة، والرمانة، كما روي عن ابن عبّاس قال: بينا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يطوف بالكعبة، إذ بدت رمّانة من الكعبة فاخضرّ المسجد لحسن خضرتها، فمدّ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يده فتناولها، ومضى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم في طوافه، فلما انقضى طوافه صّلى في المقام ركعتين، ثم فّلق الرمانة قسمين كأنّها قدّت فأكل النصف وأطعم عليّاً عليه السلام النصف الآخر، فزنخت أشداقهما لعذوبتها ثم التفت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم إلى أصحابه فقال ((إنّ هذا قطف من قطوف الجنّة ولا يأكله إلاّ نبّي أو وصيّ نبيّ ولولا ذلك لأطعمناكم)).

ومن خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم:

ما روي عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أعطيت ثلاثاً لم يعطهن أحدٌ قبلي:

جُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً، وذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾.

وأُحلّ لي المغنم ولم يحل للأنبياء قبلي، وذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾.

ونصرت بالرعب على مسيرة شهرٍ.

وفُضِّلت على الأنبياء بثلاثٍ:

تأتي أمتي يوم القيامة غُرّاً محجلين معروفين من بين الأمم.

ويأتي المؤذنون يوم القيامة أطول الناس أعناقاً، ينادون بشهادة أن لا إله إلا الله، وأني محمدٌ رسول الله.

والثالثة: أنه ليس من نبي إلا وهو يحاسب يوم القيامة بذنبٍ، غيري، لقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ الله مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾)).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي:

بعثت إلى الأحمر والأسود.

ونصرت بالرعب على مسيرة شهر.

وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبيء قبلي.

وأعطيت الشفاعة، وأنه ليس نبيء إلا وقد سأل شفاعته، وأني ذخرت شفاعتي)).

ومن خصائصه صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

ما روي عنه أنه قال: ((قال لي جبريل: يقول الله لك يا محمد: مننت عليك بسبعة أشياء:

أولها: لم أخلق في السموات والأرضين أكرم عليّ منك.

والثاني: أن مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي كلهم مشتاقون إليك.

والثالث: لم أعط أمتك مالاً كثيراً حتى لا يطول عليهم الحساب.

والرابع: لم أطوِّل أعمارهم حتى لا تجتمع عليهم الذنوب كثيراً.

والخامس: لم أعطهم من القوة كما أعطيت من قبلهم حتى لا يدعوا الربوبية.

والسادس: أخرجتهم في آخر الزمان حتى لا يكون حتى لا يكون مقامهم تحت التراب كثيراً.

والسابع: لا أعاقب أمتك كما عاقبت بني إسرائيل)).

ومن خصائصه صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

أن الله عزوجل وملائكته يصلون عليه، وأمر المسلمين بالصلاة والسلام عليه وعلى آله، على طول الأزمان والدهور، كما قال تعالى {إن الله وملائكتَه يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}، وجعل الصلاة عليه سبباً في قضاء الحاجات، وكشف الكربات، ونيل الطلبات، ورفع الدرجات.

فمن صلى عليه صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ومن صلى عليه عشراً صلى الله عليه مائة، ومن صلى عليه مائة صلى الله عليه ألفاً، ومن زاد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة.

ومن خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم:

أن الذباب لم يكن يقع على وجهه.

وأنه كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه.

وأنه كان ينام قلبه ولا تنام عينه، وتنام عينه ولا ينام قلبه.

وأن ما يخرج منه من بول ودم طاهر وليس بنجس.

ولم يكن يرى له غائط بل كانت الأرض تبتلعه.

ولم يكن له ظل.

ومن خصائصه: أن الله تعالى أعطاه يوم القيامة الشفاعة، وأعطاه الدرجة الرفيعة في الجنة التي لا ينالها ولا يصل إليها أحد من البشر سوى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الفصل السادس: وأما فضائله صلى الله عليه وآله وسلم

ومن جملة ما فضله الله به أنه قال: قال لي جبريل: يقول الله لك: يا محمد مننت عليك بسبعة أشياء:

أولها: لم أخلق في السموات والأرضين أكرم علي منك.

والثاني: أن مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي كلهم مشتاقون إليك.

والثالث: لم أعط أمتك مالا كثيرا حتى لا يطول عليهم الحساب.

والرابع: لم أطول أعمارهم حتى لا تجتمع عليهم الذنوب كثيراً. والخامس: لم أعطهم من القوة كما أعطيت من قبلهم حتى لا يدعوا الربوبية. والسادس: أخرجتهم في آخر الزمان حتى لا يكون مقامهم تحت التراب كثيرا. والسابع: لا أعاقب أمتك كما عاقبت بني إسرائيل.

ومن جملة فضائله:

أن يهودياً جاء إليه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أنت أكرم على الله أم آدم؟ فقال: «فقال أنا ورب الكعبة».

فقال اليهودي: كذبت ورب بيت المقدس!.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله أعطاني خمسا لم يعط آدم، وإن آدم أبي، ولكني أعطيت ما لم يعطه، وأنا أفضل منه ولا فخر ولا عجب».

قال اليهودي: وما هذه الخمس؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن آدم لما عصى أخرجه الله من الجنة طريداً، عطشان، عريان، ولو عصى من أمتي أحد لم يمنعه الله من المسجد.

والثاني: طار عنه الحلي والحلل ولم يسلب من أمتي.

والثالث: فرق بينه وبين امرأته ولم يفرق بين أمتي.

والرابع: أظهر الله خطيئته.

والخامس: لم يقبل الله توبته حتى بنى البيت المعمور، وطاف حوله، وإن من أمتي من ذُنُوبُهُ أكثر من زبد البحر وقطر المطر فندم عليها واستغفر غفر الله له».

قال اليهودي: صدقت يا محمد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنها أن موسى عليه السلام سأل ربه: أنا أفضل أم محمد؟ فقال تعالى: فضل محمد عليك كفضلك على أمتك.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى فضل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء نَبِيٍّ نَبِيٍّ.

[فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على آدم عليه السلام]

فمنها فضله على آدم: روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((فضلت على آدم بخصلتين: كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه حتى أسلم، وكان أزواجي عوناً لي على الطاعة، وكان شيطان آدم كافراً، وزوجته معينة له على خطيئته)).

ومن فضائل آدم: أن الله جعله قبلة لسجود الملائكة، وأعطى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم مثله؛ فإنه صلى بالملائكة مراراً، وفضله الله بأن أمر ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً فصلوا خلفه في بيت المقدس ليلة المعراج.

[فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على إدريس عليه السلام]

ومنها فضله على إدريس عليه السلام: روي عن جابر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد المنبر فقال: من أنا؟ قلنا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: ((أنا سيد ولد آدم ولا فخر)).

وخص إدريس عليه السلام برفعه إلى السماء؛ قال تعالى ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا٥٧**﴾[مريم]، ورفع محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فوق السموات العلى حتى وصل الحجب فشاهد ما لم يشاهده إدريس، ثم فضل محمد برجوعه إلى قومه، وإخباره لهم بما شاهد من الآيات بخلاف إدريس؛ فإنه لم يرجع إلى قومه.

[فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على نوح عليه السلام]

ومنها فضله على نوح عليه السلام فإنه الله تعالى خص نوحًا بجري السفينة على الماء، وأعطى محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم جري الحجر على الماء؛ وذلك أعجب، كما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا عكرمة بن أبي جهل إلى الإسلام؛ فقال له: إيت ذلك الحجر فقل له: إن محمدًا يدعوك فجاءه! وقال له؛ فجرى الحجر على وجه الماء حتى انتصب قائما بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم !.

[فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على إبراهيم عليه السلام]

ومنها فضله على إبراهيم الخليل: فإن إبراهيم سخرت له نار الدنيا وأعطي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تسخير نار الآخرة؛ لأن الله تعالى أمرها بأن تكون طوعاً لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وكلمته الشاة المسمومة بخيبر فسخرها الله تعالى له؛ وفي ذلك زيادةٌ، وهي كلامها إياه؛ فإنها قالت: إني مسمومة. واتخذ الله إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً حبيباً؛ والحبيب أفضل.

[فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على يوسف عليه السلام]

ومنها فضله على يوسف عليه السلام: فإنه أعطي الملك بعد محن كثيرة، وأعطي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ملك الدنيا هنيئاً مريئاً؛ فافتتح أصحابه رضي الله عنهم بلاد الروم وفارس وغيرهما من بلاد العجم، وملكوا جميع جزائر العرب.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((زويت لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها)).

أن الله تعالى أعطى محمداً الجمال والكمال كله، ولم يعط يوسف منه إلا شطراً.

[فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على موسى عليه السلام]

ومنها فضله على موسى عليه السلام: فإنه أعطي فلق البحر بعصاه، وأعطي محمد صلى الله عليه وآله وسلم شق القمر بإشارته: وهو نور السماء؛ فكان أبلغ؛ قال الله

سبحانه:﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ١**﴾[القمر]، اقتربت الساعة: قربت القيامة بخروج خاتم الأنبياء وآخر الأمم.

وانشقاق القمر: انشق بمكة فلقتين: فلقة فوق الجبل، وأخرى أسفل من الجبل؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم فاشهد)) وأعطي موسى انفجار الماء من الحجر في التيه، وأعطي محمد صلى الله عليه وآله وسلم انفجار الماء من بين أصابعه، كما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فأصابهم عطش فدعا [بِتَوْرٍ –وهو الإناء] بماءٍ، وجعل يده في وسطه، وجعل الماء ينبع من بين أصابعه حتى استقى العسكر، ورويت الدواب؛ فقيل لجابر: كم كنتم؟ فقال: ألفٌ وستمائةٍ.

وأعطي موسى اليد البيضاء في حالٍ دون حال، وأعطي محمدٌ نوراً كان يضيء عن يمينه.

وكلم الله موسى بطور سيناء، وكلم الله محمداً في السماء السابعة.

وأعطى موسى الغمام ليظله، وأعطى الله ذلك محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإن السحاب كان يظله.

وألقى موسى عصاه فصارا حية، وأعطى محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم ثعبانين يوم همّ أبو جهل بقتله.

[*فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على داود عليه السلام*]

ومنها فضله على داود عليه السلام: فإن داود قتل جالوت بحجر رماه به، وقتل محمد صلى الله عليه وآله وسلم صناديد قريش بكف تراب أخذه من الأرض، ورماهم به وقال: ((شاهت الوجوه)).

ولين الله لداود الحديد، ومسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرع شاة أم معبدٍ وهي يابسة؛ فتحلبت لبناً.

[*فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سليمان عليه السلام*]

ومنها فضله على سليمان بن داود عليه السلام: فإنه أعطي الريح مركباً، غدوها شهر ورواحها شهر، وأعطي محمد صلى الله عليه وآله وسلم البراق فبلغ في ساعة واحدة سدرة المنتهى.

[فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عيسى عليه السلام]

ومنها فضله على عيسى عليه السلام: فإن عيسى عليه السلام تكلم في المهد، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم كلمه الذئب، والضب، والحجر، والجذع، وسبح الحصى في يده، وغير ذلك.

وروى ابن عباس أن الله تعالى أوحى إلى عيسى: يا عيسى آمن بمحمد، وأمر من أدركه من قومك أن يؤمنوا به.

وقد كُلِّمَ عيسى في المهد، وهكذا محمد صلى الله عليه وآله وسلم جاءته امرأة بصبي ابن شهرين؛ فقال الغلام وهو في حجر أمه وهي مكفهرة: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا محمد بن عبدالله.

قال: وما يدريك أني محمد بن عبد الله وأني رسول الله؟

قال: علمنيه رب العالمين، والروح الأمين جبريل، وهو قائم على رأسك ينظر إليك.

فقال: ما اسمك يا غلام؟ قال: سموني عبد العُزَّى، وأنا به كافرٌ؛ فسمني؟

فسماه رسول الله: عبدالله؛ فقال له جبريل: هذا تصديق لك بالنبوة، ودلالةٌ لكي يؤمن بقية قومك؛ فقال الصبي: يا رسول الله ادع الله لي يجعلني من خدمك في الجنة.

فقال جبريل: ادع؛ فدعا؛ فقال الغلام: السعيد من آمن بك، والشقي من كذبك، ثم شهق شهقة فمات.

فقالت المرأة: قد رأيت ما رأيت؛ فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، ووا أسفي على ما فاتني منك؛ فقال لها: أبشري فوالذي ألهمك الإيمان إني لأنظر إلى حنوطك وكفنك مع الملائكة؛ فشهقت شهقة وماتت؛ فصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودفنها.

وروي عن أم سلمة قالت: أقبل نفر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلموه:

فقال الأول: يا محمد زعمت أنك خير من إبراهيم، وهو تعالى اتخذه خليلاً؛ فأي شيء اتخذك؟

قال: ((اتخذني صفياً؛ والصفي أقرب من الخليل)).

فقال الثاني: زعمت أنك خيرٌ من موسى؛ وقد كلم الله موسى.

قال: ((ويلك كلم الله موسى في الأرض، وأنا كلمني تحت سرادق عرشه)).

فقال الثالث: تزعم أنك خير من عيسى وكان يحيي الموتى، فأنت متى أحييت؟

قال: فغضب فصفق بيديه، وصاح بأعلى صوته: يا علي؛ فإذا علي عليه السلام مشتمل بشملةٍ له وهو يقول: لبيك لبيك يا رسول الله.

فقال له: من أين؟ قال: كنت في بستانٍ؛ إذ سمعت صوتك وتصفيقك.

فقال: ادن مني، فو الذي نفس محمد بيده ما ألقى الصوت في مسامعك إلا جبريل؛ فدنا علي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم كلمه بكلمات لم أسمعها، ثم قال: قم يا حبيبي والبس قميصي هذا، وانطلق بهم إلى قبر يوسف بن كعب فأحيه لهم بإذن محيي الموتى.

قالت أم سلمة: فخرجوا أربعةً معاً، وأقبلت أنا وهم حتى انتهى بهم إلى البقيع الغرقد، إلى قبرٍ دارس، فدنا منه وتكلم بكلمات؛ فتصدع القبر، ثم أمره ثانيه فتصدع، ثم أمره ثالثةً فتصدع، ثم قال: قم بإذن الله محيي الموتى؛ فإذا شيخ ينفض التراب عن رأسه ولحيته، ويقول: يا أرحم الراحمين، ثم التفت إلى القوم كأنه عارف بهم ثم قال: ويلكم أكفرٌ بعد إيمان؟ أنا يوسف بن كعب صاحب أصحاب الأخدود، أماتني الله منذ ثلاث مائةٍ وستين عاماً حتى الساعة، ثم هتف بي هاتفٌ، وقال: قم صدق سيد ولد آدم محمد فقد كُذِّب.

فقال بعضهم لبعض: ارجع بنا لا يعلم بنا صبية قريش فيرجمونا بالحجارة، وناشدوا عليًّا إلا رددته! فتكلم بكلام لا أفهمه؛ فإذا الرجل قد رجع إلى قبره وسوي عليه التراب! ورجع –يعني علياً عليه السلام– ورجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه المعجزة قد وقع مثلها أيضاً: كما روي عن أبي عبد الله قال: حدثني أبي، عن جدي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مجتمعين ذات يوم فتذاكروا الإدام؛ فاجتمعوا على أن الإدام خير من اللحم؛ فرفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم

رأسه، وقال: أما إنه لا عهد لي به من كذا وكذا؛ فتفرق القوم.

وقام رجل من الأنصار إلى امرأته، وقال: يا فلانة هذه غنيمة باردة، قالت: وما هي؟ فقص عليها القصة، قالت: فدونك شاتك فاذبحها -وكان لهم عناقٌ يربونها-، فقام إليها فذبحها وشواها ووضعها في مكتل، وقنعها بقناع، وقال لابنه: انطلق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقم عنده تنظر ما يصنع.

قال الغلام: فأتيته بها وهو في منزل أم سلمة؛ فدخلت وهو مستلقٍ على نطع وإحدى رجليه على الأخرى، فوضعتها بين يديه، وأخبرته أن أبي بعث بها إليه فسر بها.

وقال يا غلام: ادع لي علياً.

وقال: يا بلال ائتني بسفرة؛ فأتاه بها فوضع العناق عليها.

ثم قال: انظر من في المسجد من المسلمين؟.

قال: ثمانية عشر نفراً، قال: أدخلهم؛ فلما دخلوا قال: كلوا ولا تنهشوا لها عظماً، فأكلوا حتى صدروا ثم نهضوا.

فقال: يا بلال ائت به فاطمة، ثم قسم في نسائه قبضة قبضة؛ فلما فرغ ضرب وركها، وقال: قومي بإذن الله؛ فنهضت تبادر الباب، واتبعها الغلام! فسبقته إلى المنزل! فدخل الغلام وأبوه يقول: كأنها عناقنا التي ذبحناها؛ فقالت امرأته: لعلها لبعض الحي؛ فقال الغلام: والله ما هي لأحد وإنها لعناقكم! صنع بها رسول الله كذا وكذا.

الفصل السابع: معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم

أما ما أيده الله به من المعجزات الدالة على صدقه، والشاهدة على صحة دعواه، فهي كثيرة العدد، عدها بعض العلماء إلى ألف معجزة، وذكر بعضهم أنها ثلاثة آلاف معجزة، ونذكر منها بعضاً يدل على ما سواه:

١- القرآن الكريم: المعجزة الخالدة، والعلامة الشاهدة، والدلالة الرائدة، فهي ليست واحدة، بل تضمنت ما لا يحيط بعلمه إلا من أنزله، والكلام في القرآن يحتاج إلى مجلدات.

٢- معجزة الشجرة: وهي ما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أَتاهُ المِلأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحُمَّدُ، إِنَّكُ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِن بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسَأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نِبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

فَقَالَ لهم صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ((وَمَا تَسْأَلُونَ؟)).

قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ.

فَقَالَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ((إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فإِنْ فَعَلَ اللّهُ ذَلِكَ لَكُمْ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟)). قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: ((فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ)).

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ((يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَانْقَلِعِي بعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهِ))، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لاَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرَفْرِفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذلِكَ قَالُوا -عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً-: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا.

فَأَمَرَهَا بِذلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فَقَالُوا -كفْراً وَعُتُوّاً-: فَمُرْ هذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ.

فَأَمَرَهُ فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بَأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ تَصْدِيقاً لِنُبُوَّتِكَ، وإِجْلاَلاً لِكَلِمَتِكَ.

فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلاَّ مِثْلُ هذَا! (يَعْنُونَنِي).

٣- معجزة رد الشمس: ما روي عن أسماء بنت عميس قالت: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم إذا نزل عليه الوحي يكاد يغشى عليه، فأنزل عليه الوحي يوماً وهو في حجر علي، فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: صليت العصر [يا علي]؟.

قال: لا، يا رسول اللّه، فدعا اللّه عز وجل فرد عليه الشمس حتى صلى العصر، قالت أسماء: فرأيت الشمس طلعت بعد ما غربت حين ردت حتى صلى العصر.

وفي رواية أخرى: عن أسماء بنت عميس قالت: اشتغل علي بن أبي طالب مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: يا علي، صليت العصر؟ قال : لا، يا رسول اللّه. قالت: ورجعت الشمس إلى مغربها فسمعت لها صريراً كالمنشار في الخشبة وطلعت الكواكب.

ومن طريق أخرى عن الإمام يحيى بن عبداللّه بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قال: أخبرني أبي، عن جدي، عن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، قال: لما كنا بخيبر سهر رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في قتال المشركين، فلما كان من الغد وكان مع صلاة العصر، جئته ولم أصل صلاة العصر، فوضع رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم رأسه في حجري فنام فاستثقل فلم يستيقظ حتى غربت الشمس، فقلت: يا رسول اللّه، ما صليتُ صلاة العصر كراهية أن أوقظك من نومك.

فرفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده ثم قال: اللهم إن عبدك علياً تصدق بنفسه على نبيك، فاردد عليه شروقها.

قال: فرايتها على الحال في وقت العصر بيضاء نقية حتى قمت وتوضأت ثم صليت ثم غابت.

وعن الحسين بن علي عليهما السلام قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: دخلت على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم فإذا رأسه في حجر علي وقد غابت الشمس، فانتبه النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وقال: يا علي، صليت العصر؟.

قال: لا، يا رسول اللّه، ما صليت، كرهت أن أضع رأسك من حجري وأنت وجع.

فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: يا علي، ادع اللّه أن يرد عليك الشمس.

فقال علي: يا رسول اللّه، ادع أنت وأنا أؤمن.

فقال: يا رب إن علياً كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس.

قال أبو سعيد: فواللّه لقد سمعت للشمس صريراً كصرير البكرة حتى رجعت بيضاء نقية.

٤- معجزة انشقاق القمر: وقد تحدث عنها القرآن في سورة القمر، قال تعالى{**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ**}(القمر/١،٢)، فعن أنس بن مالك: أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما.

٥- رد بصر الأعمى عليه: كما روي عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن أعمى أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري، فقال: أوْ أدعك؟ فقال: يا رسول الله إني قد شق علي ذهاب بصري، قال: ((فانطلق فتوضأ وصل ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيّ)).

٦- معجزة إشباع الجيش الكثير بالطعام القليل، وهي في عدد من الأحوال، وقد تكررت في مواضع عديدة:

منها: خبر الإنذار بمكة في أول البعثة: لما نزل قوله عَزَّ وَجَلَّ:{**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**}[الشعراء/١٤] دعا صَلَّىَ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رهطاً من عشيرته، فقدم إليهم يسيراً من الطعام، فأكلوا منه وشبعوا، وقد تقدم.

منها شاة جابر: فعن جابرٍ قال: (عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخندق وكانت عندي شويهةٌ سمينةٌ فقلنا: والله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم، فأمرت امرأتي فطحنت شيئاً من شعيرٍ، وصنعت لنا منه خبزاً وذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الانصراف عن الخندق وكنا نعمل فيه نهاراً، فإذا أمسينا رجعنا.

قال: فقلت: يا رسول الله إني قد صنعت لك شويهةً كانت عندنا وصنعنا شيئاً من خبز هذا الشعير فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده، فلما قلت له ذلك، قال: نعم، ثم أمر صارخاً فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيت جابرٍ.

قال: فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقبل الناس معه فجلس وأخرجنا إليه، قال: فبرك وسمى وأكل وتواردها الناس، كلما فرغ قومٌ قاموا، وجاء ناسٌ، حتى صدر أهل الخندق عنها وهم ثلاثة آلافٍ).

ومنها: **طعام أبي طلحة**: وهو ما رواه الإمام أبو طالب في الأمالي بسنده عن أنسٍ، قال: أمر أبو طلحة أم سليم فقال: (اصنعي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه خاصةً طعاماً يأكل منه، قال: ثم أرسلني أبو طلحة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأتيته وقلت: بعثني إليك أبو طلحة يا رسول الله، فقال: للقوم قوموا، قال: فلقينا أبو طلحة فقال: يا نبي الله إنما صنعت طعاماً لنفسك خاصةً، فقال: لا عليك انطلق بنا.

قال: فانطلق وانطلق القوم فجاء بالطعام، وإنما جعله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده، فوضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده فيه وسمى، ثم قال ((إئذن لعشرةٍ))، فأذن لهم، فقال ((كلوا باسم الله))، فأكلوا حتى شبعوا، ثم قاموا، ووضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده فيه كما صنع في المرة الأولى، ثم قال ((ائذن لعشرةٍ)) حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت وتركوا سوراً).

ومن ذلك: أن الطعام أعوز على أصحابه صلى الله عليه وعلى آله في غزوة تبوك وضاق عليهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله صَلَّىَ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال: ((من كان عنده فضلُ طعام فليأتنا به))، فأتي بنيف وعشرين صاعاً، فجلس رسول الله صَلَّىَ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ودعا بالبركة، ثم دعا الناس، فقال: خذوا فأخذوا حتى اكتفوا وصدروا، وفضُلت فضلة.

٧- معجزة نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

وهي ما رواه في الأمالي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: (لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد حضرت صلاة العصر وليس معنا ماءٌ غير فضلةٍ، فجعلت في إناءٍ فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأدخل يده فيه وفرج بين أصابعه وقال: ((حي على أهل الوضوء فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه، قال: فتوضأ الناس وشربوا، قلت لجابرٍ: كم كنتم يومئذٍ؟ قال: ألفاً وأربعمائةٍ)).

٨- معجزة رد عين قتادة الأنصاري:

روي أنها أصيبت عينُ قتادة بن النعمان الأنصاري يوم أحد، حتى سالت ووقعت على وجنته، فردها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكانت أصح عينيه.

٩- معجزة رمي النبي صلى الله عليه وآله وسلم التراب في وجوه المشركين:

وهذا الفعل من النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكرر في مواضع:

الأول: ما رواه أحمد في المسند(٣٠٣/١) بسنده عن ابن عباس قال: إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ونائلة وإساف، لو قد رأينا محمداً قمن إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله إلى قوله فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبضة من التراب فقال: ((شاهت الوجوه)) ثم حصبهم بها، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً.

الثاني: في غزوة حنين، رواه الطبراني في الكبير(٢٨٨/٢٢) بسنده عن أبي عبد الرحمن الفهري قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة حنين، فسرنا في يوم قائظ شديد الحر إلى قوله، فولى المسلمون مدبرين كما قال الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أنا عبد الله ورسوله)) ثم اقتحم على فرسه فأخذ كفاً من تراب، فأخبرني الذي كان أدنى إليه مني: أنه ضرب به وجوههم، وقال: ((شاهت الوجوه)) فخزمهم الله تعالى.

ومنها: ما رواه ابن أبي شيبة غيره عن حَبِيبَ بْنَ فُدَيْكٍ: أَنَّ أَبَاهُ خَرَجَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَعَيْنَاهُ مُبْيَضَّتَانِ لاَ يُبْصِرُ بِهِمَا شَيْئاً، فَسَأَلَهُ مَا أَصَابَهُ، فَأَخْبَرَهُ، فَنَفَثَ

رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي عَيْنَيْهِ فَرَأَيْتُهُ يُدْخِلُ الْخَيْطَ فِي الإِبْرَةِ، وَإِنَّهُ لاَبْنُ ثَمَانِينَ، وَإِنَّ عَيْنَيْهِ مُبْيَضَّتَانِ.

١٠- معجزة تكليم العُجم من الحيوانات له صلى الله عليه وآله، ومناطقتها له بما أصابها، وقد تكررت في عدد من المخلوقات:

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن أبيه الحسين (ع)، أن أمير المؤمنين (ع) خطب الناس، فقال:

أنا وضعتُ كَلْكَل العرب، وكسرتُ قرن ربيعة ومضر، ووطئت جبابرة قريش؛ لقد وضعني الله في حجر المصطفى صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم وأنا ابن أربع سنين، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده وعرقه، ويقبلني فأمص ريق حكمته، وآكل في قصعته، وألعق أصابعه؛ حتى كان يمضغ الشيء ويلقمني مِنْ فِيْهِ؛ وأنا أصف لكم من علاماته صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم:

لقد قرن الله به أكرم ملائكته، وأقربها إليه، ومنه يكون الوحي؛ إسرافيل (ع)، كان معه ليله ونهاره؛ ولقد كان يرفع رأسه نحو السماء لما أتاه الوحي مِن أول الليل إلى آخره، كأنما ينتظر شيئاً؛ فأنا أول من رأى نور الوحي، وشمّ منه ريح النبوة.

وفي رواية: أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة؛ ولقد سمعت رنة الشيطان، حين نزل الوحي عليه صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم، فقلت: يارسول الله، ماهذه الرنة؟ فقال: ((هذا الشيطان قد أيس من عبادته؛ إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك الوزير، وإنك لعلى خير)).

هذه بقرة آل ذريح: صاحت في أول مَا أتاه الوحي بلسان الآدميين صياحاً عالياً، وقد اجتمع القوم ليوم عيدهم، فجاءت تعدو حتى وقفت على الجمع، وهي تقول: يا أهل ذريح، صائح يصيح، من بطن هذا القبيل، هاشم ومَا هاشم، هشم الثريد ليوم عصيب، لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، جاءه الوحي المبين، كلام رب العالمين، يغلب القبيل، ويذبح الضليل، ويؤذِّن بأذان إبراهيم الخليل، بعث بالذبح والذبيح، والملك الفسيح؛ هاهو ذا عجلوا قول: لا إله إلاّ الله تدخلوا الجنة، جنة المأوى، فوالله ماشعرنا إلاّ

بآل ذريح قد أقبلوا حتى وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأسلموا على يديه، فكانوا أول العرب إسلاماً.

وكنت عنده صلى الله عليه وآله وسلم إذ أتاه ثلاث بهائم فسلموا عليه:

بقرة وجمل وذئب:

أما البقرة: فكانت في نخل بني سالم، فلما بصرت برسول الله أقبلت إليه تلوذ به.

فقالت: يا بني سالم جاءكم رسول رب العالمين، أحاكمكم إليه فإنه قاضي الله في أرضه ورسوله إلى خلقه، ثم قالت البقرة: يا رسول الله، وضعت لهؤلاء اثني عشر بطناً، واستغنوا بي فأكلوا من زبدي، وشربوا من ألباني، ولم يتركوا نسلي، وهم الآن يريدون ذبحي، فآمن بنو سالم، وقالوا: والذي بعثك بالحق ما نريد معها شاهداً.

وأما الذئب: فإنه أقبل إلى رسول الله فشكى إليه الجوع وقال: يا رسول الله، إنما بعثك الله رأفةً ورحمةً، وليحيي بك العباد والبلاد فاقسم لي شيئاً أناله، فدعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرعاة وقال: ((افرضوا للذئب شيئاً)). فبخلوا ولم يفعلوا، ثم عاد فشكى عليه من الغد الجوع وأعاد الكلام، فدعا صلى الله عليه وآله وسلم الرعاة ثانياً وقال: ((افرضوا للذئب شيئاً)) فلم يفعلوا، ثم عاد إليه من الغد.

وأما الجمل: فإنه أقبل إلى رسول الله وضرب بجرانه الأرض ورغى وبكى ساجداً.

فقال القوم: سجد لك الجمل نحن أحق أن نسجد لك.

قال: ((اسجدوا لله عزَّ وجل، ولو أمرت شيئاً أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها))، جاءني يشكو أربابه))، فبعثني مع الجمل لأنصفه إذ أقبل صاحبه أعرابي فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ((مَا بال هذا البعير يشكو أربابه))؟ قال: يا رسول الله ما يقول؟

قال: ((يقول: انتجعتم عليه صغيراً حتى صار عَوْداً كبيراً، ثم إنكم أردتم نحره)). قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما كذبك.

قال: ((يا أعرابي: إما أن تهبه لي وإما أن تبيعه مني)).

قال: يا رسول الله، أهبه لك. فكان الجمل يأتي علوفة الناس فيعتلف منها لا يمنعونه، فلما قبض رسول الله مات، فأمرت بدفنه كيلا تأكله السباع.

الثعلب: عن أبي ذر رحمة الله عليه قال: (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاه أعرابي على ناقةٍ له فنزل ودخل فأجلسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمامه، ثم قال: ((**حدث الناس بما كان من أمر ثعلبك**)).

قال: يا رسول الله، أنا رجلٌ من أهل نجران جئت أحطب من وادٍ يقال له: وادي السيال، فبينما أنا في الوادي أحطب الحطب على راحلتي هذه إذا أنا بهاتفٍ يهتف من جانب الوادي:

يا حامل الجرزة من سيالٍ ... هل لك في أجرٍ وفي نوال

وحسن شكرٍ آخر الليالي ... أنقذك الله من الأغلال

ومن سعير النار والإنْكال ... فامنن فدتك النفس بالإفضال

وحلني من وهق الحبال

فالتفت فإذا ثعلبٌ إلى شجرةٍ، فقال الثعلب:

يا حامل الجرزة للأيتام ... عجبت من شأني ومن كلامي

اعجب من الساجد للأصنام ... مستقسمٍ للكفر بالأزلام

هذا الذي بالبلد الحرام ... نبي صدقٍ جاء بالإسلام

وبالهدى والدين والأحكام ... وبالصلاة الخمس والصيام

والبر والصلات للأرحام ... مهاجرٌ في فتيةٍ كرام

غير معازيبٍ ولا لئام

فذهبت لأحله فإذا بهاتفٍ آخر يقول:

يا حامل الجرزة من جرز الحطب ... أما ترى وأنت شيخٌ منحدب

وفيك علمٌ ووقارٌ وأدب ... أن الذي ينبئ زورٌ وكذب

محمدٌ أفسد ديوان العرب

فأنشأ الثعلب يقول:

إن الذي تسمعه يغيني ... ملعون جن أيما ملعون

يدين في الله بغير ديني ... يغريك بي عمداً لكي ترديني

فامنن فدتك النفس بالتهوين من على أخٍ مضطهدٍ مسكين

إن لم تغثني غلقت رهوني

قال: فأتيته فحللته.

ناضح (بعير) بني سلمة: عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن ناضحاً لبعض بني سلمة اغتلم وكان ينضح عليه فصال عليهم وامتنع حتى عطشت نخيله فذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاشتكى ذلك إليه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((انطلق)) فذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه فلما بلغ باب النخيل، قال: يا رسول الله، لا تدخل فإني أخاف عليك منه، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ادخلوا فلا بأس عليكم منه، فلما رآه الجمل أقبل يمشي وأصغى رأسه حتى قام بين يديه، فسجد، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((ائتوا جملكم فاخطموه، فأتوه فخطم)) فقالوا: سجد لك يا رسول الله حين رآك، فقال: ((لا تقولوا ذلك، لا تبلغوا بي ما لم أبلغ، فلعمري ما سجد لي ولكن الله سخره لي)).

١١- حنين الجذع: فعن علي عليه السلام قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خطب جُمع له كثيبٌ فقام عليه وأسند ظهره إلى جذعٍ، فلما وضع المنبر في موضعه وقام عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم خار الجذع، فنزل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالتزمه، ثم كلمه فسكت، فلولا كلامه لخار إلى يوم القيامة).

وروي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما صعد على المنبر حن إليه الجذع حنين الناقة إذا فقدت ولدها؛ فدعاه فأقبل يخد الأرض، والناس حوله ينظرون إليه، فكلمه ثم أمره بالمعاودة إلى مكانه، فمر حتى صار في مكانه!.

وروي أنه قال للجذع: إن شئت رددتك على الحائط الذي كنت فيه فتكون كما كنت، وإن شئت غرستك في الجنة يأكل منك أولياء الله؟

فقال الجذع: بل تغرسني في الجنة؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((نعم، قد فعلت)).

١٢- البركة في الماء: كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين نزل بالحديبية قيل له: ليس بالوادي ماء ينزل عليه الناس، فأخرج سهماً من كنانته، فأعطاه رجلاً من أصحابه،

فنزل في قليب هناك، فغرزه فيه، فجاء الماء حتى أخذ الناس حاجتهم، وصدروا عنه.

١٢- إنزواء الأرض له صلى الله عليه وآله وسلم: كما روي في إخباره وتفصيله معركة مؤتة، وصلاته على النجاشي ملك الحبشة، وأثناء بنائه لمسجد قبا، حتى وضع المحراب مقابل عين الكعبة، وغيرها.

١٣- كلام الذراع المسموم: في اللحم الذي أهدته زينب الخيبرية، وتكلم الذراع وقال: إني مسموم، فعن علي عليه السلام قال: (أهدت الخيبرية شاةً مصليةً - أي مشوية- إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده رجلان، فقالت: هذه يا أبا القاسم هديةٌ، فأخذ أحدهما لقمتين والآخر لقمةً، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذراع؛ وقد كانت سألت: أي شيءٍ يحب من الشاة؟ فلما أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذراع كلمته، فقالت: هي مسمومةٌ، فوضعها وقال للرجلين: ((أنتما لا تأكلا)) فأما صاحب اللقمتين فلم يلبث أن مات، وأما صاحب اللقمة فمكث يومين وليلتين ومات، فقال لها صلى الله عليه وآله وسلم وهي زينب بنت الحارث أخت مرحب يا عدوة الله ما دعاك إلى هذا؟ قالت: قتلت رجالي، فقلت إن كان ملكاً أرحت الناس منه وإن كان نبياً فسيعلم.

٤- إخباره بالأمور الغيبية ووقوعها على ما أخبر وهي كثيرة جداً:

فمنها: إخباره بتسعة نفر من حضرموت:

وهو ما روي عن علي عليه السلام في الخبر السابق في تكليم العُجم من الحيوانات، ثم قال عليه السلام:

وكنت معه إذ قال: ((يأتيني تسعة نفر من حضرموت؛ يسلم ستة، ولايسلم ثلاثة))، فوقع في قلوب كثير من الناس من كلامه ماوقع؛ فقلت أنا: صدق رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم، هو كما قلت يارسول الله.

فقال: ((أنت الصديق، ويعسوب المؤمنين وإمامهم، وأول المؤمنين إيماناً؛ وأنت الهادي والوزير))، فلما أصبح صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم أقبل الرهط من حضرموت، حتى دنوا منه وسلموا عليه، وقالوا: يامحمد، اعرض علينا الإسلام.

فعرضه عليهم، فأسلم ستة، ولم يسلم ثلاثة، وانصرفوا.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للثلاثة: ((أما أنت يافلان، فتموت بصاعقة من السماء؛ وأما أنت يافلان، فتخرج في طلب إبلك، فيلقاك ناس من كذا فيقتلونك))، فوقع في قلوب ناس من ذلك ماوقع، فقلت أنا: صدقت يارسول الله.

فقال: ((صدّق الله قولك يا علي)).

فما كان حتى أقبل الستة الذين أسلموا، فقال النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((مافعل أصحابكم الثلاثة؟)) قالوا: والذي بعثك بالحق نبياً، ما جاوزوا ما قُلْتَ.

وأتاه الملأ من قريش: أبو جهل بن هشام، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وشيبة، وعتبة، وصناديد قريش، فقالوا: يامحمد، قد ادعيت أمراً عظيماً، لم يدّعه آباؤك، ونحن نسألك أن تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها، وتقف قدّامك.

فقال صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((إن ربي على كل شيء قدير؛ وإني أريكم ماتطلبون، وإني أعلم أنكم لاتجيبونني؛ وإن منكم من يذبح على القليب، ومن يحزّب الأحزاب؛ ولكن ربي رحيم)).

ثم قال للشجرة: ((انقلعي بعروقك، بإذن الله)).

فانقلعت وجاءت، ولها دوي شديد، حتى وقفت بين يدي رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

فقالوا استكباراً وعتواً: ساحر كذاب، هل صدقك إلا مثل هذا –يعنونني–.

فقال صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((حسبي به ولياً وصاحباً ووزيراً، قد أنبأتكم أنكم لاتؤمنون؛ والذي نفس محمد بيده، لقد علمتم أني لست بساحر ولا كذاب)).

فكان أشدهم عليه أبو جهل بن هشام، وهشام بن المغيرة، وابن حرب؛ ولم يكن أشد عليه من هاتين القبيلتين: بني مخزوم، وبني أمية؛ فلعنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزل بهم الذبح، فذُبح مَنْ ذُبح، وبقي من بقي ملعوناً.

ونزل على رسول الله: **{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ(٩٤)}**[الحجر]، ثم نزل: **{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ(٢١٤)}**[الشعراء].

فقال لي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((ياعلي، انطلق إلى بني عبد المطلب، وعبد شمس،

ومخزوم، وتيم، وعدي، وكعب بن لؤي؛ فاجمعهم إلى نبي الرحمة، فإني أريد أن أكلّمهم، وأبلغهم رسالة ربي، وأقيم فيهم وزيري وناصري، لايتقدمه ولايتأخر عنه إلا ظالم)).

وأمر صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم بذبح شاة، فانطلقت وجمعتهم إليه، وهم ستون رجلاً لايزيدون ولاينقصون رجلاً، فطعموا، وشبعوا -بإذن الله- وفضل من الطعام أكثره.

ثم قال: ((ياأيها الملأ من قريش، أتيتكم بعزّ الأبد، وملك الدنيا والآخرة؛ فأيكم يؤازرني، ويبايعني على أمري؟))، فلم يجيبوه.

فقلت -وأنا أحدث القوم سناً-: أنا يارسول الله.

قال: ((اللهم اشهد أني وازرته وخاللته، فهو وزيري وخليلي، وأميني ووصيي، والقائم بعدي))، فقاموا يقولون لأبي طالب: قد ولّى عليك ابنك، واتخذه خليلاً دونك.

وأقبل أبو جهل، فقال: أتزعم أنك نبي، وأن ربك يخبرك بما نفعله؟ فهل تخبرني بشيء فعلته لم يطلع عليه بشر؟.

فقال صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((أخبرك بما فعلت، ولم يكن معك أحد؛ الذهب الذي دفنته في بيتك في موضع كذا، ونكاحك سودة)).

فقال: مادفنت ذهباً ولانكحت سودة.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((فأدعو الله أن يذهب بمالك الذي دفنت)).

فضاق بأبي جهل، وقال: قد علمنا أن معك من الجن من يخبرك؛ أما أنا فلا أقرّ أبداً أنك نبي.

فقال: ((والله لأقتلنك، ولأقتلن عتبة، والوليد، ولأقتلنّ أشرافكم، ولأوطئن بلادكم الخيل، ولآخذنّ مكة عنوة)).

وقال صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم، وأنا عنده يوماً: ((يامعشر قريش، يأتيكم غداً تسعة رهط، من وراء هذا الجبل -يعني حراء- فيسلم سبعة، ويرجع اثنان كافران، يأكل أحدَهما السبعُ، والآخر يعضّه بعيره، فيورثه حمرة، ثم آكِلَة، ثم موتاً)).

وأخذت قريش تهزأ؛ فلما أصبح، أتى النفر إلى النبي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم، فأسلم سبعة، ونزل بالكافرين ماقال، فصعدتُ الجبل وناديتُ: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن

محمداً رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

فأرادوا قتلي، فأيدني الله بملك كريم دفعهم عني.

ثم إن خليلي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم قال لي: ((ستقاتل قريشاً؛ إنها لا تحبك أبداً، وإن لك أنصاراً نجباء خيرة، ذُبْلَ الشفاه، صفر الوجوه، خمص البطون، لاتأخذهم في الله لومة لائم؛ رعاة الليل، متمسكون بحبل الله، لايستكبرون ولايضلون)).

ثم الذئب الذي كلّم أبا الأشعث، طرده من غنمه مرة بعد مرة؛ فلما كانت الرابعة قال: مارأيتُ ذئباً أصفق منك.

قال الذئب: أنت أصفق مني؛ تتولى عن رسول رب العالمين.

قال الراعي: ويلك ماتقول؟.

قال الذئب: الويل لمن يصلى جهنم غداً، ولايدخل في دين محمد صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

قال الراعي: حسبي من يحفظ غنمي لأنطلق، وأؤمن به.

فقال الذئب: أنا أحفظها عليك.

فجاء الراعي يعدو، قال: السلام عليك يارسول الله.

وأخبره بكلام الذئب، فأخذ أبو الأشعث سخلة وذبحها للذئب، وقال: أعتقني من النار.

وأتى رجل يستبحث رسول الله، وكان عاقلاً لبيباً، فقال: يامحمد إلى من تدعو؟

قال: ((إلى شهادة أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له)).

قال: وأين الله يا محمد؟.

قال: ((هو بكل مكان موجود، وليس في شيء منها بمحدود)).

قال: فكيف هو؟.

قال: ((هو خلق الكيف والأين، فلا يقال: كيف، ولا أين)).

فقال: كيف لي أن أعلم أنه أرسلك؟.

فلم يبقَ بحضرتنا يومئذ حجر ولامدر ولاشجر، إلا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم.

فأسلم الرجل، وقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم: ((قد سميتك عبدالله)).

قال علي عليه السلام: وخلفني رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في تبوك، فتكلم أناس بما في صدورهم، وقالوا: خلّفه إذْ أبغضه.

فلحقتُ برسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم، فأخبرته، فقال لي في ملأ منهم: ((ياعلي، إن الله أمرني أن أواخيك، وأن أقربك ولاأجفوك، وأدنيك ولا أقصيك، أنت أخي في الدنيا والآخرة؛ وأمرني ربي أن أقيمك ولياً من بعدي، وسألته أن يشركك معي في الشفاعة)).

ثم سار صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم بمن معه، فشكوا العطش، فقال: ((اطلبوا الماء))، فلم يصيبوا شيئاً، حتى خافوا على أنفسهم، وقالوا: يارسول الله ادعُ لنا ربك.

فنزل جبريل عليه السلام فقال: يامحمد، ابحث بيدك الصعيد، وضع قدميك وأصبعيك المسبحتين، وسمّ.

ففعل صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم، فانبجست من بين أصابعه الماء، فشربوا ورووا، وسقوا دوابهم وحملوا منه.

فأعطي صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فوق ما أعطي موسى بن عمران، فازداد المؤمنون إيماناً.

وموضع الماء اليوم معروف، وقد اغتسلت منه يومئذ.

ومنها: إخباره بقتل كسرى في اليوم الذي قتل فيه:

وهو أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله كتب إليه كتاباً يدعوه إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله، فلما ورد عليه الكتاب مزقه، فلما بلغ رسول الله صَلَّىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الخبر قال: ((مزق ملكه))، فكان كما قال صَلَّىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم، ثم غضب كسرى، وكتب إلى صاحبه: باذان، وكان على اليمن، يأمره بإشخاص رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، فبعث (باذان) رسولين إليه صَلَّىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يعرفانه بالصورة، ويقولان له: أجب شاهنشاه الملوك كسرى، فإنك إن فعلت ذلك كتب لك الملك باذان إليه، ليسحن إليك، وإن أبيت فهو من تعلم -يعنيان كسرى- يهلكك ويهلك قومك، ويخرب ديارك، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: ((انصرفا وعودا إليَّ غداً)) فأتاه صَلَّىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الوحي بأن كسرى وثبه عليه ابنه شيرويه، وقتله في ساعة كذا، من ليلة كذا، من شهر كذا، فلما دخلا عليه صَلَّىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عرفهما ما نزل الوحي

به من وثوب شيرويه على أبيه كسرى، وقتله له، فاستعظما ذلك وعادا إلى باذان، فقصا عليه القصص، فقال باذان: ما هذا كلام ملك، بل هو كلام نبي مرسل، لكنا ننتظر، فإن ورد الخبر بما قال فهو نبي مرسل، لا شك فيه، وإن يكن غير ذلك نرى فيه رأينا، فورد عليه كتاب شيرويه بذلك فأسلم باذان، ومن معه من الفرس، وسيأتي ذكرها.

ومنها: **قصة عمير بن وهب**: وهي أن عمير وصفوان بن أمية الجمحي قعدا في الحجر يتذاكران قتلى بدر، ويتوجعان لهم، ويقول صفوان: لا خير في العيش بعدهم، فقال عمير: لولا دَينٌ عليَّ، وما أخشى من ضيعة عيالي بعدي، كتبت إلى محمد بعلة أسير لي في أيديهم، وقتله، فقال له صفوان: فعلَيَّ دَينُك، وعيالك أسوة بعيالي، فتكاتما ذلك، وخرج عمير حتى قدم المدينة، ودخل إلى رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله – متوشحاً بسيفه، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبسه، فلما رآه رسول الله صَلَّىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: ((أرسله يا عمير، أدن يا عمير، ما حاجتك؟)).

قال: جئت للأسير الذي في أيديكم.

فقال صلى الله عليه وعلى آله: ((أصدقني ما الذي جئت له؟)).

قال: ما جئت إلا لذلك.

فقال له صلى الله عليه وعلى آله: ((بل قعدت أنت وصفوان في الحجر)) وقص عليه ما كان جرى منهما، وقال له: ((جئت لتقتلني والله حائل بيني وبينك)).

فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، هذا أمر ما حضره غيري وغير صفوان وما أخبرك به إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، فأسلم، وشهد شهادة الحق، وحَسُنَ إسلامه.

ومنها: **الإخبار بموضع ناقته القصوى حين ضاعت**:

عن علي عليهم السلام قال:(لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك ضلت ناقته القصوى فنادى الناس، أقيموا، فإن ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ضلت، فاجتمع ناس من المنافقين فقالوا: يحدثنا عن القيامة وما يكون في غد ولا يعلم أين مكان ناقته، فأتاه جبريل فقال: ترى أولئك الجلوس إنهم يقولون: يحدثنا عن القيامة وما يكون في غد ولا يعلم مكان ناقته، وإن ناقتك في شعب كذا وكذا متعلق زمامها بشجرة،

تجتر، فنادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إن أناساً يزعمون أني أحدثهم عن القيامة وما يكون في غد ولا أعلم مكان ناقتي، وإن ناقتي بشعب كذا متعلق زمامها بشجرة تجتر، فبادر المسلمون إليها حتى أتوها).

ومن ذلك: **قصة العباس بن عبد المطلب حين أُسر يوم بدر**: فلما جاء إلى المدينة قال له صَلَّىَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ((أفد نفسك، وابني أخويك عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث)).

قال: ليس لي مال.

قال: ((فأين المال الذي وضعته بمكة، حين خرجت مع أم الفضل، ليس معكما أحد، ثم قلت لها: إن أُصبت في سفري هذا، فللفضل كذا، ولعبد الله كذا، ولقثم كذا، ولعبيد الله كذا)) فقال العباس: والذي بعثك بالحق ما علم هذا غيري وغيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله صلى الله عليك، ففدى العباس نفسه، وابني أخويه.

ومن ذلك: **خبر ذي الثدية الذي كان مع أهل النهروان**:

عن سلمة بن كهيل، قال أخبرني زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين مع علي عليه السلام الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي عليه السلام: أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن، ليست قرآتكم إلى قرآتهم شيئاً، ولا صيامكم إلى صيامهم شيئاً، يقرأون القرآ ن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم لاتكلوا عن العمل، وآية ذلك: أن فيهم رجلاً له عضد وليست له ذراع، على ثديه مثل حلمةالثدي، عليه شعرات بيض، أفتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله.

قال سلمة: فنزلني زيد بن وهب منزلاً حتى مر بنا على قنطرة، قال فلما التقينا وعلى الخوارج عبدالله بن وهب الراسبي فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا السيوف من جفونها فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، قال: فوحشوا برماحهم واستلوا السيوف،

وشجرهم الناس برماحهم، قال: فقتلوا بعضهم على بعض، قال: وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان، فقال علي رضي الله عنه: إلتمسوا فيهم المخدج، فلم يجدوه، فقام علي عليه السلام بنفسه حتى أتى ناساً قد قتل بعضهم على بعض، فقال: أخرجوهم، فوجدوه مما يلي الأرض، فكبر وقال صدق الله وبلغ رسوله، فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله إلا هو لقد سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: إي والله الذي لا إله إلا هو، حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف.

وعن زيد بن وهب قال:لما كان يوم النهروان لقي علي عليه السلام الخوارج، فلم يبرحوا حتى اشتجروا فقتلوا جميعاً، قال علي عليه السلام: اطلبوا ذا الثدية، فطلبوه فلم يجدوه، فقال علي: ما كذبت ولا كذبت، اطلبوه فطلبوه فوجدوه في وهدة من الأرض عليه ناس من القتلى، فكبر علي والناس، وأعجبهم ذلك.

وعن مالك بن الحارث قال: شهدت علياً يوم النهروان طلب المخدج فلم يقدر عليه، فجعل جبينه يعرق وأخذه الكرب، ثم إنه قدر عليه فخر ساجداً فقال(والله ما كذبت ولا كذبت).

ومن ذلك: إخباره لعائشة بنباح كلاب الحوأب:

وعن قيس بن أبي حازم قال: لما بلغت عائشة بعض مياه بني عامر نبحت عليها الكلاب، قالت: ما أظنني إلا راجعة، فقال الزبير: لا بل تقدمين فيراك الناس فتصلحين ذات بينهم، قالت: ما أظنني إلا راجعة سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب)).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبعض نسائه ((ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب، تخرج فتنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير، ثم تنجو بعد ما كادت)).

وروى أهل السير: لما خرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة، طرقت ماء الحوأب – وهو ماء لبني عامر بن صعصعة– فنبحتهم الكلاب، فنفرت صعاب إبلهم، فقال قائل منهم: لعن الله الحوأب ما أكثر كلابها.

فلما سمعت عائشة ذكر الحوأب، قالت: أهذا ماء الحوأب؟.

قالوا: نعم، قالت: ردوني ردوني، فسألوها ما شأنها، ما بدا لها؟.

فقالت: إني سمعت رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم يقول: ((كأني بكلاب ماء يدعى الحوأب، قد نبحت بعض نسائي))، ثم قال لي: ((إياك يا حميراء أن تكونيها))، فقال لها الزبير: مهلاً يرحمك الله، فإنا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة، فقالت: أعندك من يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب؟.

فلفق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعل لهم جُعلاً، فحلفوا لها، وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوأب، فكانت هذه أول شهادة زور في الإسلام.

وابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنسائه: ((ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب، تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير في النار)).

ومن ذلك: خبر قتل عمار:

عن محمد بن عمرو بن حزم قال: لما قتل عمار رضي الله عنه دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((تقتله الفئة الباغية))، فقام عمرو بن العاص فزعاً حتى دخل على معاوية، فقال له معاوية: ما شأنك؟.

قال: قتل عمار، فقال معاوية: قتل عمار فماذا؟! فقال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((تقتله الفئة الباغية))، فقال له معاوية: دحضت في قولك، أوَ نحن قتلناه؟! إنما قتله علي وأصحابه جاؤا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا.

ومن ذلك: إخباره لسراقة بأخذ سواري كسرى:

وهو قوله صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لسراقة بن جعشم، وقد نظر إلى ذراعيه: ((كأني بك، وقد لبست سواري كسرى))، وكان سراقة أشعر الذراعين دقيهما.

فلما كان في زمن عمر، وفتحت خزائن كسرى حمل المال، فوضع في المسجد فرأى عمر منظراً لم ير مثله، والذهب والياقوت والزبرجد واللؤلؤ يتلألأ، فقال: أين سراقة بن جعشم؟ فأتي به، فقال: البسهما، ففعل: فقال: الله أكبر، والحمد لله الذي سلبهما كسرى، وألبسهما سراقة.

الباب الثاني: في السيرة الذاتية (الشخصية والعائلية)

وفي هذا الباب نود التعريف بالملف الشخصي، للحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، الذي يشمل التعريف العائلي، وما يتعلق به، ونذكر ذلك على جهة الاختصار دون التطويل والإكثار، إلا حيث يلزم:

الأول: آباؤه وأجداده

أما آباؤه وأجداده فقد اختاره الله من أكرم أبوّة، وأفضل عمومة وخؤولة، وتفصيل أحوالهم يطول، ولكن نذكر اليسير ليدل على سواه:

١- والده عبد الله

وهو: عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

أمه: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران من بني مخزوم.

وإخوته منها: أبو طالب، والزبير، وأم حكيم وأروى وعاتكة.

وهو أصغر أولاد عبدالمطلب، فداه عبد المطلب من الذبح بمائة من الإبل سوداء الحدق، فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفتخر ويقول: ((أنا ابن الذبيحين))، أي إسماعيل بن إبراهيم وعبد الله بن عبد المطلب.

نشأ عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مكارم الأخلاق، من العفة والطهارة، والكرم والشرف والسؤدد، وكان جميلاً وسيماً، وكان نور النبوة يتلألأ بين عينيه تلألأ ظاهراً، وكان ذلك النور الذي في وجه عبد الله يعرف أهل الكتاب أنه نور النبوة، وأن نبي آخر الزمان يكون من صلبه، وقد حصلت قصص تدل على ذلك:

فمنها: أن أخت ورقة بن نوفل كانت تسمع من أخيها ورقة صفة نبي آخر الزمان وقرب وقته وزمانه، وكان أخوها ورقة قد قرأ في الكتب السماوية، فلما رأت النور الذي في وجه عبد الله عرفت أنه نور النبوة، وأن نبي آخر الزمان في صلبه، فطمعت أن يكون فيها، فدعته إلى نفسه، فأبى عليها، وقيل: عرضت نفسها للزواج منه فلم يقبل.

ومنها: ما روي عن ابن عباس قال: لما خرج عبد المطلب بن هاشم بابنه عبد الله

ليزوجه، مرَّ به على كاهِنَةٍ قد قرأت الكتب وهي مُتَهَوِّدة، يقال لها: فاطمة بنت مُر الخثعمية، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله، فطلبته إلى نفسها وتعطيه مائة من الإبل.

فقال عبد الله:

أمـــا الحــــرام فالممـــات دونـــه   والحــــــل لاحـــــل فأسْـــــتَبِينَه

فكيــــف بـــالأمر الـــذي تبغينـــه   يحمـــي الكـــريم عرضـــه ودينـــه

يحمي الكريم عرضه ودينه

ثم مضى مع أبيه، فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فأقام عندها ثلاثاً، فلما مرَّ بالكاهنة قالت له: يا فتى مَا صنعت بعدي؟ قال: زوجني أبي آمنة بنت وهب فأقمت عندها ثلاثاً، فقالت له: إني والله مَا أنا بصاحبة رِيبة، ولكن رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون فيّ فأبى الله إلاّ أن يصيره حيث أراد.

وقد تقدم بعضها في مبحث العناية الإلهية به صلى الله عليه وآله وسلم.

وتوفي عبد الله بن عبد المطلب في سفر سافره إلى الشام، توفي في المدينة المنورة، في بني النجار، وكان عمره تسعة عشر عاماً، وقيل: عشرين.

توفي ورسول الله في بطن أمه آمنة بنت وهب وهي في شهرها الثاني.

وقيل: إنما توفي بعد ولادته صلى الله عليه وآله وسلم، وهو في عامه الأول.

ويقال: بأن قبره قريب من مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حول باب السلام.

٢- جده عبد المطلب

وهو عبد المطلب بن هاشم.

وأمه: سلمى بنت عمر بن زيد من بني النجار.

وسبب زواج هاشم من سلمى: أنه سافر إلى الشام في سفر له، ومر بيثرب، فنزل ضيفاً على عمر بن زيد، فرأى سلمى فأعجبته، فخطبها، فزوجه بها واشترط عليه أبوها أنها إذا حملت فلا تلد إلا عند أهلها في يثرب، فبنى بها في يثرب، ثم توجها بها إلى مكة فحملت، فلما أثقلت، سافر إلى الشام وأخذها معه، لتلد عند أهلها على حسب الشرط بينه وبين أبيها، فمات هاشم في الشام، وولدت سلمى بعبد المطلب.

واسمه الحقيقي: شيبة، لأنه ولد وفي رأسه شيبة فسمي بها.

فنشأ وترعرع وشب عند أخواله في يثرب.

وروي أن رجلاً من بني الحارث بن عبد مناف مر به وهو يرمي بالقوس مع الصبيان، فرآه أجملهم وجهاً، وأحسنهم إصابة، لأنه كلما رمى أصاب، ويوقل في رميه: أنا ابن هاشم أنا ابن سيد البطحاء.

فأعجب به الرجل فدنى منه وسأله: من أنت؟

فقال: أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف.

فقال له: بارك الله فيك وكثر فينا مثلك، فسأله عبد المطلب: ومن أنت يا عم؟ فقال: رجل من قومك، فرحب به، وسأله عن حاجته.

فلما رجع الرجل إلى مكة بدأ بالقدوم على المطلب بن عبد مناف، فأخبره الخبر، فقال المطلب: والله لقد أغفلته، وما كنت بالذي يرجع إلى أهلي ولا مالي حتى أنتهي إليه.

فركب ناقته، حتى انتهى إلى المدينة، وقصد بني النجار، فلما وصل رأى شيبة مع الصبيان، فعرفه، فأقبل إليه وعرّفه بنفسه، وأنه يريد الذهاب به إلى ديار أهله بمكة، فنازعته أمه سلمى في ذلك ثم رضيت بعد ذلك.

فركب شيبة مع عمه المطلب حتى انتهى به إلى مكة وهو خلفه، فلما رآءه الناس أقبلوا إليه وسلموا عليه وقالوا: من أين أقبلت؟ فقال: من يثرب.

فقالوا: ومن هذا الذي معك، فقال المطلب: هذا عبد اشتريته.

فلما أتى محله اشترى له حلة فألبسه إياها، وأتى به مجلس بني عبد مناف فقال: هذا ابن أخيكم هاشم، وأخبرهم خبره.

فقالوا: هو الذي قلت بالأمس إنه عبدك، فغلب عليه اسم عبد المطلب.

فهذا سبب تسميته عبد المطلب.

ونشأ عبد المطلب على مكارم الأخلاق والشرف والسؤدد، والفضل والكرم والشهامة، حتى لقب شيبة الحمد، لما كان فيه من صفات الخير والفضل.

وكان المطلب كبير قريش بعد أخيه هاشم فلما كبر وشاخ، وخشي الموت وليس له من يخلفه،

جعل ابن أخيه شيبة بن هاشم على ولاية مكة، فكانت إلى عبد المطلب دون سائر قريش.

وقد تقدمت وفاته وعمره.

٣- هاشم

هاشم: واسمه عمرو، وهاشم لَقَبٌ له، لُقِّبَ به: لأنه كان يهشم الثريد لأهل مكة ولمن ورد إليها في سني الجدب والقحط، فيطعمهم في وقت العسرة والشدة، وضيق العيش، وكان يطعم الحجيج الثريد -وهو الخبز واللحم-، ويسقيهم، حتى ينصرفوا من الموسم، ويحث قريشاً ومن معها على ذلك.

ولما حضرت الوفاةُ هاشماً دعا بعبد المطلب وهو لا يزال صبياً، يسطع من دائرة غرة جبينه نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال هاشم: يامعاشر قريش، أنتم مُخُّ ولد إسماعيل، اختاركم الله لنفسه، وجعلكم سكان حرمه، وسَدَنَة بيته، وأنا اليوم سيدكم، وهذا لواء نزار، وقوس إسماعيل، وسقاية الحاج، قد سلمتها إلى ابني هذا، فاسمعوا له وأطيعوا.

فوثبت قريش فقبلت رأس عبد المطلب ونثروا عليه النثور، فسادهم.

٤- عبد مناف

عبد مناف: واسمه المغيرة، وفيه يقول القائل:

إن المغيـــــرات وأبنـــــــاءهم ... مـــن خيـــر أحيـــاء وأمـــوات

أخلصـــهم عبـــد منـــاف فهـــم ... مـــن لَـــوم مَـــنْ لام بمنجـــات

٥- قصي

قصي، واسمه زيد، ويقال مُجمّع، لقب بقصي لأن أمه سافرت به إلى أهلها فأبعدته عن مكة وعن قريش، فسمي قُصَي.

ولقب بمجمع: لأنه جمع عشيرته من قريش وأخواله وقصد بهم إلى مكة، وحارب خزاعة على رئاسة والده حتى أخذها، ورد قريشاً إلى مكة بعد أن كانوا قد طردوا منها، وأخذ مفاتيح الكعبة من خزاعة، وتولى على السقاية والرفادة والسيادة.

وفيه يقول القائل:

أبــوكم قصــي كــان يــدعى مُجَمِّعــاً بــه جَمَّــعَ الله القبائِــلَ مِــن فِهــرِ

نزلنــا بهــا والنــاس فيهــا قبائــل ولــيس بهــا إلاّ كهــول بنــي عمــرو

خليــل الــذي عــادى كنانــة كلهــا ورابــط بيــت الله فــي العسرواليســر

وأنــتم بنــو زيــد وزيــد أبــوكم بــه زِيـدَت البطحـاء فخـراً علـى فخـر

٧- غالب بن فهر

وهو الذي قاد العرب في حربها لملك حمير الذي حشد قبائل اليمن لغزو مكة، لغرض نقل أحجار الكعبة إلى اليمن، فاجتمعت قريش ومن معهم من قبائل العرب المضرية من خزيمة وأسد وجذام بقيادة فهر بن مالك، وهزم ملك حمير، وقد قاتل غالب بن فهر قتالاً شديداً، وقتل ولده قيس بن غالب.

٨- فهر بن مالك:

وهو رئيس الناس بمكة في زمانه، وهو الذي كان يجمع قبائل قريش، ومنه تفرقت منه قبائل قريش.

٩- والنضر

اسمه قيس، وهو قريش، وقيل ذلك لتقارشه بالرماح، أي وقوع بعضها على بعض.

وقيل: قريش لعزته وغلبته سائر الناس سمي بدابة عظيمة في البحر تبتلع جميع الدواب يقال لها قريش.

١٠- كنانة

وكان يحتل مكانة كنانة بين العرب، وسمي كنانة: لأنه كان فيه سراً مكنوناً، هو سر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

١١- مدركة بن إلياس

مدركة بن إلياس، واسم مدركة عمرو، وإنما سمي مدركة، لأن أباه إلياس خرج في نجعة فنفرت إبله من أرنب فخرج إليها عمرو فأدركها، فسمي مدركة.

إلياس بن مضر، وهو اسم عجمي، وقد سمت به العرب واستعملته.

الثاني: أعمامه وعماته وأخواله وخالاته

أعمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسعة، وعاشرهم عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم كالآتي:

١- الحارث: وبه كان يكنى عبد المطلب، وهو أكبر أولاده ومات في أيام أبيه.

وأولاده:

أبو سفيان ونوفل وربيعة وعبد شمس -سماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله-، وكلهم لهم صحبة.

٢- والزبير: أولاده: عبدالله، وضباعة وأم حكيم - واسمها صفية-.

٣- وأبو طالب - واسمه عبد مناف-: وأولاده: أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو أصغرهم، وطالب وهو أكبرهم، وبه يكنى، وعقيل وهو الثاني، وجعفر وهو الثالث، وبين كل واحد والذي يليه عشر سنوات.

وأم هانئ، واسمها فاختة على الأشهر.

وجمانة وريطة.

٤- وحمزة: أولاده يعلى، وعُمارة، وابنة تسمى فاطمة وتكنى أم الفضل.

٥- والعباس: وله عشرة أولاد ذكور، وثلاث بنات:

فالذكور: الفضل وهو الأكبر وبه يكنى، وعبد الله -ترجمان القرآن-، وعبيد الله، وقثم، ومِعْبَد، وعبد الرحمن، وكَثِير، والحارث، وعون، وتمام.

والبنات: أم حبيبة ويقال لها: أم حبيب، وأمينة، وصفية.

٦- وأبو لهب -واسمه عبد العزى-: أولاده عتبة ومعتِّب والعباس وأختاهما درة وسَبيعة، هؤلاء كلهم أسلموا ولهم صحبة.

وأما أخوهم عتيبة فدعا عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال ((اللهم سلط عليه كلباً من كلابك)) فقتله الأسد بالزرقاء من أرض الشام، ومات على كفره.

٧- **وضرار -بوزن كتاب-**: لم يعقب.

٨- **والمقوَّم**: أولاده: بكر وعبد الله، وانقرض نسبه.

٩- **والغيداق ويقال له حَجْل، ويقال: جحل: بوزن ضخم** - واسمه مصعب، وقيل المغيرة- **وسمي الغيداق**: لكثرة خيره وعطائه، وقتل يوم حرب الفجار، ولم يعقب.

أدرك الإسلام من أعمامه: أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب.

أسلم ثلاثة: أبو طالب وحمزة والعباس، **ومات أبو لهب** على شركه وكفره.

وكان عبد الله وأبو طالب والزبير أمهم: فاطمة بنت عمرو بن عائذ.

وحمزة والغيداق والمقوم أمهم: هالة بنت أهيب بن عبدمناف بن زهرة.

وعباس وضرار أمهم: قُتَيلة بنت كليب.

وأما عماته

فكان له صلى الله عليه وآله وسلم ست عمات:

١- **صفية**: تزوجت في الجاهلية الحارث بن حرب، فولدت له صيفي بن الحارث.

ثم تزوجها العوام بن خويلد -أخو خديجة-، فولدت له الزبير بن العوام، والسائب بن العوام، وعبد الكعبة - سماه رسول الله: عبد الرحمن-، وعبيد الله، وأم حبيب.

٢- **عاتكة**: فكانت عند أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، فولدت له:

عبد الله - أسلم وله صحبة-، وزهيراً -لم يعرف إسلامه-.

وقَريبة، وأم سلمة رضي الله عنها -زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم-.

٣- **أروى**: كانت تحت عمير بن وهب بن عبد بن قصي فولدت له: **طليباً -من المهاجرين الأولين وممن شهد بدراً**-.

ثم تزوجها كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار، فولدت له: فاطمة، وقيل: أروى.

٤- **برة**: تزوجها رجلان لم يعرف الأول منهما:

الأول: أبو رهم بن عبد العزى العامري، وأنجبت له: أبا سبرة -من السابقين المهاجرين وشهد بدراً والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يعرف له اسم-.

والثاني: عبد الأسد بن هلال المخزمي، وولدت له: أبا سلمة وهو عبد الله بن عبد الأسد، الذي كان زوجاً لأم سلمة، ثم توفي عنها، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعده.

٥- **وأميمة:** تزوجها جحش بن رئاب الأسدي، فولدت له:

عبد الله بن جحش -الشهيد يوم أحد-.

وعبد وهو أبو أحمد الشاعر الأعمى.

وزينب بنت جحش - زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم-.

وحمنة وأم حبيب.

وأما عبيد الله بن جحش فهاجر إلى الحبشة ثم تنصر ومات كافراً مرتداً.

٦- **وأم حكيم - واسمها البيضاء-:** تزوجها كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، فولدت له:

عامر بن كريز، أسلم عام الفتح.

وأروى: أم عثمان بن عفان.

وكلهن أخوات عبد الله لأبيه وأمه ما عدا صفية.

وأسلم منهن **صفية** باتفاق، واختلف في **عاتكة وأروى**، والصحيح أنهما أسلمتا.

الثالث: أخوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخالاته

كان لآمنة بن وهب أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخوان:

الأسود بن وهب بن عبد مناف، استأذن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ((يا خال ادخل))، فبسط له رداءه.

عبد يغوث بن وهب، مات مشركاً، وهو والد الأسود بن يغوث أحد المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأم أخواتها: فقيل لم يكن له أخوات، وقيل له أخت هي:

الفريعة بنت وهب رفعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده، وقال ((من أراد أن

ينظر إلى خالة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلينظر إلى هذه)).

وأما خالاته من الرضاعة:

سلمى بنت أبي ذؤيب –أخت حليمة–، أتت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبسط لها ردآءه وقال ((مرحباً بأمي)).

الرابع: مرضعات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أما مرضعاته صلى الله عليه وآله وسلم:

١– ثويبة الأسلمية: عتيقة أبي لهب، روي إسلامها.

٢– حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، أسلمت.

٣– امرأة سعدية غير حليمة.

٤– أم أيمن بركة بنت ثعلبة الحبشية، تعرف بأم الظباء.

الخامس: إخوته وأخواته صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة

١– **حمزة بن عبد المطلب –عمه–**، رضيعه من ثويبة ومن المرأة السعدية غير حليمة.

٢– أبو سلمة بن عبد الأسد، رضيعه من ثويبة أيضاً.

٣– أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب –ابن عمه– رضيعه من حليمة.

٤– مشروح بن ثويبة.

٥– أولاد حليمة وهم: عبد الله، وضمرة، وأنيسة، وحذافة – وهي الشيماء–.

وعلى القول بأن أم أيمن أرضعته، يزاد في إخوته من الرضاعة:

أسامة بن زيد، وأيمن بن عبيد.

السادس: أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم

١– أما أزواجه اللآئي دخل بهن فهن إحدى عشرة:

١– أولاهن وأفضلهن: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي

القرشية، أول زوجاته وأحبهن إليه، ولم يتزوج عليها حتى ماتت، ولبثت عنده خمساً وعشرين عاماً، وأولاده كلهم منها ما عدا ولده إبراهيم.

٢- **سودة بنت زمعة بن الأسود القرشية العامرية**، تزوجها بعد موت خديجة، ولما كبرت وأيست أراد تطليقها، فقالت ((إني أريد أن أحشر في أزواجك)) ووهبت نوبتها لعائشة، توفيت في شوال سنة (٥٤)هـ.

٣- **عائشة بنت أبي بكر القرشية التيمية**، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة في شوال، قبل الهجرة بسنتين، وهي بنت سبع سنوات، وبنى بها في المدينة في شوال من السنة الأولى للهجرة، وعمرها تسع سنوات، وأقامت معه تسع سنوات، ولم يتزوج بكراً غيرها، وتوفي ولها ثمان عشرة سنة، وتوفيت في رمضان سنة (٥٧)هـ، وقيل: (٥٨)هـ.

٤- **حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية**، تزوجها بعد سنة ونصف من الهجرة، وقيل في السنة الثالثة.

٥- **زينب بنت خزيمة الهلالية**، وتسمى أم المساكين لكثرة إطعامها المساكين، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رمضان سنة (٣)هـ، ولم تلبث معه إلا قليلاً، قيل: شهرين، وقيل: أقل، وتوفيت في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي أول نسائه موتاً بالمدينة.

٦- **أم سلمة، واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة**، - وهي ابنة عمته برة-، وتزوجها في شوال، سنة (٤)هـ، وتوفيت حين جاء نعي الإمام الحسين بن علي عليه السلام سنة (٦١)هـ، على الصحيح، وهي آخر أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم موتاً، ودفنت بالبقيع.

٧- **زينب بنت جحش بن رئاب**، - ابنة عمته أميمة-، تزوجها في ذي القعدة سنة (٣)هـ، وتسمى الأواهة، وتوفيت سنة (٢٠)هـ، في أيام عمر، وهي أول زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفاة بعده.

٨- **جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية**، كانت من سبي بني المصطلق، وقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها، فأدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

كتابتها وتزوجها سنة (٦)هـ، وهي ابنة عشرين سنة، وكان اسمها برة، فسماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم جويرية، فلما تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعتق المسلمون كل امرأة سبيت من بني المصطلق، وقالوا: أصهار رسول الله، فأعتقت أربعون امرأة من قومها، فكانت أعظم امرأة بركة على قومها، توفيت في شهر بيع الأول سنة (٥٦)هـ.

٩- أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب القرشية الأموية، واسمها رملة، عقد عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة (٧)هـ، لما ارتد زوجها عبيد الله بن جحش وتنصر، عقد بها النجاشي وأمهرها أربعين أوقية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل: أربعمائة دينار، وقدمت من الحبشة سنة (٧)هـ، قدم بها عمرو بن أمية الضمري، قبل فتح خيبر، وتوفيت وعمرها ستون سنة، عام (٤٤)هـ على الصحيح.

١٠- صفية بنت حيي بن أخطب النضرية الإسرائيلية، كانت من سبي خيبر، أخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصفي، وقيل وقعت في سهد دحية الكلبي فاشتراها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتزوجها وجعل مهرها عتقها، وجعل وليمتها سويقاً وتمراً، وتوفيت سنة (٥٠)هـ.

١١- ميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شوال، وقيل: في ذي القعدة سنة سبع، في عمرة القضاء، وبنى بها في وادي سرف بعدما حل وخرج من مكة، وماتت بوادي سرف ودفنت به وقبرها به مشهور مزور، وكانت وفاتها سنة.

٢- زوجاته اللاّتي لم يدخل بهن

أما النساء اللاتي عقد بهن ولم يدخل بهن، أو فارقهن قبل أن يجامعهن، فقد ذكر المؤرخون وأهل السير عدداً كثيراً على اختلاف واسع بينهم في أسمائهن وبعض أحوالهن، ولكن نذكر بعضاً منهن:

١- خولة بنت الهذيل بن هبيرة التغلبية، ماتت في الطرق قبل أن تصل إليه.

٢- شَرَاف بنت خليفة -أخت دحية بن خليفة الكلبي -ماتت قبل أن يدخل بها.

٣- وسناء بنت أسماء بن الصلت السلمية، ماتت قبل أن يدخل بها، قيل أنها لما

بلغها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوجها ماتت من الفرح.

٤- **أسماء بنت النعمان بن الأسود بن الحارث الكندي**، وكانت من أجمل نسائه، وأَشَبهن.

قالت لها عائشة بنت أبي بكر: إن أردت أن تحظي عند رسول الله فإذا مد يده إليك فقولي: أعوذ بالله منك.

ففعلت ما أمرتها، فصرف وجهه عنها، وقال: ((أَمِنَ عائذ الله إلحقي بأهلك)).

٥- **جوينة بنت أبي أسيد**، ولي عائشة وحفصة مشطها والقيام عليها.

فقالت إحداهما: إن رسول الله يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك، فلما دخل عليها صلى الله عليه وآله وسلم قالت: أعوذ بالله منك، قالت: فوضع كمه على وجهه واستتر وقال: ((عذت معاذاً)) ثلاث مرات. ثم خرج، فأمر أبا أسيد أن يلحقها بقومها ويمتعها بثوبي كتان، فذكر أنها ماتت كمداً رحمها الله.

٦- **قتيلة بنت قيس بن معدي كرب بن جبلة الكندي**، أخت الأشعث بن قيس، قُبض رسول الله قبل خروجها إليه من اليمن.

٧- **عَمرة بنت يزيد بن عبيد الكلابي** بلغه أن بها بياضاً فطلقها ولم يدخل بها، وأمر أسامة فمتعها بثلاثة أثواب.

٨- **العالية بنت طيبان -أو ظبيان- الكلابية**، فطلقها حين أدخلت عليه.

٩- **ليلى بنت حكيم الأنصارية الأوسية**.

١٠- **أم شريك الأنصارية، وهي غزية بنت ذَودان النجارية**، فارقها قبل الدخول.

١١- **الصعبة بنت سهل بن عمر من بني عبد الأشهل**، لم يدخل بها النبي صلى الله عليه وآله.

١٢- **خولة بنت حكيم بن أمية السلمية**، لم يدخل بها النبي صلى الله عليه وآله.

١٣- **ليلى بنت الخطيم الأنصارية الأوسية**، أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحطأت منكبه - أي دفعته بكفها- وقالت: أنا ابنت الخطيم وابنة مطعم الخير، وقد جئت أعرض عليك نفسي.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم ((قبلتك)).

فأتت نساءها فأعلمتهن، فقلن لها: بئس ما صنعت، أنت امرأة غيور، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثير الضرائر، تخافي أن تغاري فيدعو عليك فتهلكي، استقيليه، فأتته فاستقالته، فأقالها، فينما هي تغتسل في بعض حيطان المدينة، إذ وثب عليها ذئب أسود فأكل بعضها، فماتت.

وقد ذكر بعض أهل السير غيرهن.

٣- اللائي خطبهن ولم يتزج بهن

خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدة من النساء ولم يتزوج بهن:

١- أم هانئ بنت أبي طالب، خطبها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: يا رسول الله إني امرأة مصبية، فاعتذرت إليه فعذرها، وقال ((خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناهن على ولد، وأشفقهن على زوج في ذات يده)).

٢- جمرة بنت الحارث بن عوف، خطبها إلى أبيها، فادعى أن بها برصاً وهو كاذب، فرجع فوجدها قد برصت.

٣- سودة امرأة من قريش، خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت (إنك أحب البرية إلي، ولكن لي صبية فأخاف أن يتضاغوا عند رأسك) فدعا لها وتركها.

٤- صفية بنت بشامة العنبرية، أصابها في سبي فخيرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها، فاختارت زوجها، فأرسلها، فلعنتها بنو تميم.

٥- ضباعة بنت عامر القشيرية، خطبها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ابنها فقال: حتى أستأمرها، فقالت: أتستأمرني في رسول الله، فلما عاد إليها ابنها، سكت فلم ينكحها، فقيل: إنها ماتت كمداً وحزناً.

٦- أم حبيبة بنت عمه العباس، فوجد العباس أخاه من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة.

٧- همّ أن يتزوج حبيبة بنت سهل الأنصارية، فتركها، وتزوجها ثابت بن قيس.

٨- عرضت عليه ابنة حمزة، فقال ((إنها ابنة أخي من الرضاع)).

٩- عرضت عليه حمنة بنت أبي سفيان، فقال ((إنها لا تحل لي لمكان أختها أم حبيبة)).

١٠- عرضت عليه فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي، عرضها أبوها على رسول الله صلى الله عليه وآله ووصف من جمالها، وأنها لم تصدع قط، فقال ((لا حاجة لي فيها)).

السابع: إماؤه صلى الله عليه وآله وسلم

كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الإماء إحدى عشرة:

١- أم أيمن، واسمها بركة بنت ثعلبة الحبشية، ورثها من أمه آمنة.

أعتقها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين تزوج بخديجة.

٢- مارية بنت شمعون القبطية، أهداها له المقوقس ملك مصر، وولدت له إبراهيم، ومات إبراهيم وهو ابن ستة عشر شهراً، وماتت مارية في المحرم سنة (١٦)هـ.

٣- ريحانة بنت شمعون بن زيد القرظية، عرض عليها الإسلام فأبت إلاّ اليهودية فعزلها ثم أسلمت، فعرض عيها التزويج وضَرْب الحجاب، فقالت: بل تتركني في ملكك، فلم تزل في ملكه، وقيل: إنها توفيت في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في سنة (١٠)هـ وهو عائد من حجة الوداع.

٤- ربيحة -كجهينة- القرضية، كانت في نخل له بالعالية، وكان يقيل عندها أحياناً إذا ما جنى النخل.

٥- جميلة، أصابها من بعض السبي.

٦- ميمونة بنت سعد.

٧- أميمة مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله، لها رواية في رجل جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أوصني.

٨- رزينة مولاة رسول الله، لها رواية في صوم عاشوراء، وزواج صفية.

٩- سلمى، أم رافع، وهي زوجة أبي رافع، وهي قابلة فاطمة عليها السلام حين ولدت الحسن والحسين على الصحيح، وغسلتها حين توفيت مع علي عليه السلام.

١٠- ميمونة بنت أبي عنبسة.

١١- أم عياش مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

الثامن: موالي رسول الله صلى الله عليه وآله

وأما موالي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد قيل بأن مواليه ثلاثة وأربعون، وقيل غير ذلك، نذكر منهم:

١- زيد بن حارثة، استوهبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة، فأعتقه وزوجه مولاته أم أيمن فولدت له أسامة بن زيد، واستشهد يوم مؤتة سنة (٨)هـ.

٢- سفينة، واختلف في اسمه إلى خمسة عشر قولاً، سماه رسول الله سفينة، لأنهم حملوه في السفر شيئاً كثيراً، فكان كل من أعيا ألقى عليه متاعه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله ((احمل فإنما أنت سفينة)) قال: فلو حملت يومئذ وقر بعير ما ثقل عليّ.

٣- شقران، واسمه صالح الحبشي، ورثه النبي صلى الله عليه وآله من أبيه، شهد بدراً وهو مملوك، ثم أعتقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان ممن ولي دفن النبي صلى الله عليه وآله مع أمير المؤمنين والعباس والفضل، وألقى في قبره قطيفة.

٤- ثوبان بن بُجدد، أبو عبد الله، اشتراه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأعتقه، ولازم رسول الله صلى الله عليه وآله في السفر والحضر، توفي سنة (٥٤)هـ.

٥- حاتم، اشتراه النبي صلى الله عليه وآله بثمانية دنانير، فأعتقه، وبقي ملازماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعين سنة.

٦- أنجشة الحبشي، كان حادياً للإبل.

٧- أنسة، يكنى أبا مسرح، وقيل: أبا مسروح، من مولدي السراة، وكان يأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله إذا جلس، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

٨- أبو الحمراء واسمه: هلال بن الحارث.

٩- أبو رافع، واسمه: إبراهيم، وقيل: أسلم، زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله مولاته سلمى، فولدت له عبيد الله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين علي عليه السلام، توفي أبو رافع سنة (٤٠)هـ، كان خازن بيت المال لعلي عليه السلام.

١٠- سلمان الفارسي رضي الله عنه، أبو عبد الله.

وأبو مويهبة.

وأبو صفية، كان من المهاجرين، وكان يسبح بالحصى.

وأبو السمح، واسمه إياد.

وأبو اليُسْر. وباذام. وأبو وافد.

وأبو كندير، واسمه: سعيد.

وأبو ضميرة: كان من العرب من حمير، واسمه: معد.

وسعد، ويقال: عبيد.

وسعيد بن يزيد.

وشمعون بن زيد أبو ريحانة.

وهرمز وهشام وواقد.

وبشار بن يزيد، وإبراهيم بن جابر، والأزرق بن عقبة، ومرزوق، ومنبعث، ونفيع ونافع ابنا الحارث، ونافع أبو السائب، ووردان، ويُحَنِّس، هؤلاء من عبيد الطائف.

وحنين، عبد أسود، كان يخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا توضأ خرج بفضل وضوئه للصحابة، فإما شربوه، وإما تمسحوا به.

ودوس، وذكوان، ورويفع، وطهطان، وكيسان أو مهران، ومروان، وسندر.

ويسار الراعي الذي قتله العرنيون.

وكركرة، أهداه هوذة بن علي صاحب اليمامة للنبي صلى الله عليه وآله.

ورباح، كان يأذن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً إذا انفرد.

وزيد أبو يسار، أصابه النبي صلى الله عليه وآله من غزوة بني ثعلبة فأعتقه.

ومأبور القبطي: أهداه المقوقس للنبي صلى الله عليه وآله.

ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان: كان مجوسياً من أهل مرو، فسمع بذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهاجر إلى المدينة، فأسلم، وكان اسمه (ماناهيه) فسماه رسول

الله محمداً، ثم رجع إلى مرو مسلماً.

ومدعم: وهبه رفاعة بن زيد الجذامي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أصابه سهم غرب منصرف النبي من خيبر فقتله.

ومكحول: وهبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأخته الشيماء.

وناعم بن أجبل الهمداني، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله.

والنبيه، اشتراه فأعتقه.

ضميرة بن أبي ضميرة.

عبيد بن عبد الغفار، وقفيز، وسالم بن عمير بن ثابت.

التاسع: لباسه صلى الله عليه وآله وسلم

كان صلى الله عليه وآله وسلم يعجبه من اللباس من غلظ، لم يكن يلبس لباس المترفين، ولا الملوك والرؤساء والمترفهين، بل كان يلبس ما تدعو إله الحاجة، يلبس ما وجد وتيسر، فكان يلبس ما يتوافق مع العبودية لله والتذلل، ولا يتشبه بأهل الترف والرفاهية، وكان مع زهده وسهولة ملبسه نقي الثوب، نظيفاً، لا يتسخ له ثوب.

وكان أكثر لباسه البياض.

وكان أحب الألوان إليه الخضرة، وتعجبه الثياب الخضر، ولبس بردين أخضرين.

وكان قميصه قطناً قصير الكمين والطول، كان كمه إلى الرسغ، وروي أنه كان مستوياً مع أطراف الأصابع.

وكان ذيل قميصه وردائه إلى أنصاف ساقيه، ولا يتجاوز كعبيه إن طال.

وكان طول ردائه ستة أذرع في ثلاثة أذرع.

وطول إزاره أربعة أذرع وشبران في ذراعين وشبر.

وكان له رداء أخضر يقال له الحضرمي، مربع — أي طوله أربعة أذرع– وعرضه ذراعان وشبر، كان يلبسه إذا وفد عليه الوفد، وكان يشهد به العيدين.

وكان يلبس في الجمعة ثوباً غير ثيابه المعتادة في سائر الأيام، ولا يخرج يوم الجمعة إلا

معتماً بعمامة يرسلها بين كتفيه، ويديرها ويغرزها.

وكان له برد أحمر يلبسه في الجمعة والعيد.

وكان برده الذي ينام فيه بمكة طوله ستة أذرع، وعرضه ثلاثة أذرع وشبراً.

وأما خاتمه:

فكان له خاتم من فضة وفصه منه نقشه محمد رسول الله.

وخاتم آخر من فضة وفصه من العقيق الحبشي.

وخاتم آخر من حديد ملوي عليه فضة نقشه محمد رسول الله.

وكان يتختم في الخنصر من يده اليمنى، ويجعل فصه مما يلي كفه.

وما روي من أنه كان يتختم في يساره منسوخ، والذي عليه أهل البيت عليهم السلام أنه كان يتختم في اليمنى.

وأما عمامته

كان له صلى الله عليه وآله وسلم عمامة يعتم بها اسمها السحاب، وهبها لعلي عليه السلام.

وعمامة سوداء، وجبة طيالسة كسروانية كان يلبسها.

وكان يلبس في الحرب: ثلاث جبات، وجبة سندس أخضر.

وأما خفه صلى الله عليه وآله وسلم

فأهدى له النجاشي خف أسود ساذج.

وأهدى له دحية الكلبي خف وجبة، فلبسهما حتى تخرقا.

وأما نعله صلى الله عليه وآله وسلم

كان له نعل يقال له **مخصرة**.

ولما فتح خيبر: أصاب أربعة أزواج نعال، وأربعة أزواج خفاف.

وكان يلبس النعال **السبتية** – وهي المدبوغة التي أزيل شعرها–.

وكانت نعلاه مخصوفتين، أي مطبقتين، طاق على طاق بالخرز.

وكانت نعلاه سوداوين، وقيل: صفراوين.

وكان لنعليه زمامين.

العاشر: أوانيه وأثاثه صلى الله عليه وآله وسلم

كان سريره خشبات مشدودة بالليف، وقوائمه من ساج – أي من طين–، بعث به إليه أسعد بن زرارة لما كان في دار أبي أيوب، وجعله في بيت عائشة، ولما توفي صلى الله عليه وآله وسلم صار الناس يحملون عليه موتاهم تبركاً به صلوات الله عليه وآله.

وكان له فراش من أدم حشوه ليف وقطيفة.

وكان له وسادة من أدم حشوها ليف.

وكان له مرآة تسمى **المدلة**.

وأهدى له المقوقس مرآة ومكحلة.

وكان له مقراض يسمى **الجامع**.

وكان له ربعة اسكندرانية من هدية المقوقس يجعل فيها: مرآة ومكحلة بمرود فيها الإثمد، ومقراضاً، وسواكاً، ومشطاً من عاج، وخاتماً.

وكان له قدح من زجاج، وآخر من فخار، يشرب فيهما.

وكان له قدح آخر يسمى **الريان**، وآخر يسمى **مغيثاً**.

وكان له قدح جيد عريض من نضار وهو الخالص من العود، فيه ثلاث ضبات من فضة، وقيل من حديد، كأنه للسفر.

وكان له تور من حجارة يتوضأ فيه يسمى **المخضب**.

وركوة – إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء–: تسمى **الصادرة**.

وكان له صاع يخرج به صدقة الفطر.

وكان له قصعة عظيمة يطعم فيها الناس لها أربع حلق، يحملها أربعة رجال، تسمى **الغراء**.

وكان له قضيب من الشوحط يسمى **الممشوق** – أي الطويل الممدود–.

وكان له هراوة –أي عصا–.

وكان له عسيب من جريد النخل يتوكأ عليه.

ومخصرة أخرى يتوكأ عليها، تسمى **العرجون**.

وكان له محجن –أي عصا في رأسها انحناء واعوجاج يتناول بها الراكب ما يسقط–.

وكان له فسطاط في السفر يسمى **الكن**.

الحادي عشر: سلاحه وآلات حربه صلى الله عليه وآله وسلم

١- أما أسيافه:

كان له أحد عشر سيفاً:

١- **المأثور**: وهو أول سيف ملكه، ورثه من أبيه، وقدم به المدينة.

٢- **العضب**: أرسل به إليه سعد بن عبادة حين توجه إلى بدر.

٣- **ذو الفقار** –بوزن كتاب أو سحاب–: في وسطه مثل فقرات الظهر، وكان لا يفارقه في حروبه كلها، وكان يعطيه أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقاتل به الحروب، وورثه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٤، ٥، ٦- **القَلَعي – بفتح العين واللام–والبتار والحتف:** أصابها من سلاح بني قينقاع.

٧، ٨- **الرسوب والمخذم –كمنبر–**: كانا على صنم طيء المسمى الفلس.

٩- **القضيب**: وهو اللطيف الدقيق القاطع.

١٠- **الصمصامة**: سيف عمرو بن معدي كرب.

١١- **اللحيف**: سيف مشهور.

٢- وأما رماحه:

كان له خمسة رماح:

ثلاثة أصابها من بني قينقاع، والمنوي والمنثني.

٣- وأما حرابه:

الحربة: الرمح القصير، كان له صلوات الله عليه وآله ثلاث حراب:

١- **البيضاء**: وهي حربة كبيرة.

٢- **النبعاء، ويقال النبعة**: وهي أشهرها.

٣- **العنزة**: وهي صغيرة دون الرمح شبه العكاز فيها سنان مثل سنان الرمح، قدم بها الزبير بن العوام من الحبشة فأخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه.

٤- وأما قسيه:

كان له صلوات الله عليه وآله ست قسي:

١- **الزوراء.**

٢- **والروحاء** من شوحط.

٣- **والبيضاء** من شوحط أيضاً.

٤- **والصفراء** من نبع، وهذه الثلاث من سلاح بني قينقاع.

٥- **والكتوم**: كسرت يوم أحد.

٦- **والسداد أو ذات السداد.**

٥- وأما كنانته

وهي ما يجمع فيه النبل، فكان له صلى الله عليه وآله وسلم كنانة تسمى **الكافور**، وأخرى كانت تسمى **الجامع**.

٦- وأما دروعه:

كان له صلى الله عليه وآله وسلم سبعة دروع:

١- **ذات الفضول**: سميت به لسعتها وطولها، أرسل بها سعد بن عبادة حين سار إلى بدر، وكانت من حديد موشحة بنحاس، وهي التي رهنها عند اليهودي في ثلاثين صاعاً إلى سنة.

٢- **ذات الوشاح**: كانت موشحة بنحاس.

٣- **ذات الحواشي.**

٤، ٥- **فضة والسعدية**: من بني قينقاع.

٦- **السُغد**: قيل هو درع داوود عليه السلام التي لبسها في حرب جالوت.

٧- **البتراء**: لقصرها.

وزاد بعضهم:

٨- **الخرنق**: باسم ولد الأرنب.

ولبس يوم أحد: ذات الفضول وفضة، **ويوم حنين**: ذات الفضول والسعدية.

٧- وأما تروسه:

كان له صلوات الله عليه وآله:

١- **الزلوق** -بوزن صبور-: لأنه يزلق السلاح فلا يخرقه.

٢- **الغُتَق** -بوزن صرد-.

٣- **الموجز**: وكان أبيض.

٤- **الجمع**.

٨- وأما مجنه:

فكان يسمى **الذقن**.

٩- وأما مغفره:

وهو ما يلبسه المتدرع على رأسه ويكون من الحديد، فكان له صلى الله عليه وآله: **السبوغ، والموشح**.

١٠- وأما ألويته وراياته صلوات الله عليه وآله:

اللواء: ما كان مستطيلاً، والراية: ما كان مربعاً، فقد كان له صلى الله عليه وآله من الرايات:

١- العقاب: وكانت سوداء مخملة مربعة.

٢- النمراء: لونها لون النمر، فيها بياض وسواد.

٣- الزينة: وكانت بيضاء.

وكان له ألوية: أبيض وأسود وأغبر.

وكان مكتوباً في راياته (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

الثاني عشر: خيوله وبغاله ونوقه وغيرها من دوابه صلى الله عليه وآله وسلم

١- أما خيوله وأفراسه:

فكانت كما يلي:

١- **السكب**: وكان اسمه الضرس، فسماه السكب، وكان كميتاً – ما بين السواد والحمرة–، وهو أول فرس ملكه وغزا عليه، وأول غزوة عليه هي أحد، اشتراه من أعرابي من بني فزارة بعشر أواق، وسابق عليه فسبق.

٢- **المرتجز**: وكان أبيض.

٣- **الظرب**: أهداه له فروة بن عمرو الجذامي.

٤- **اللحيف**: أهداه له ربيعة بن أبي البراء.

٥- **اللزاز**: أهداه له المقوقس.

٦- **الورد**: أهداه له تميم الداري.

٧- **سبحة**: راهن عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فسبق الناس، فأعجبه.

٨- **البحر**: وكان كميتاً، اشتراه من تجار قدموا من اليمن، سابق عليه ثلاث مرات فسَبَق.

وذكر بعضهم أن أفراسه صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثون فرساً، منها:

الأدهم، والسِّجْل، وذو اللمة، وذو العُقَّال، وغراب، والسرحان، والطِّرْف، والمرتجل، والمِروَاح، ومُلاوِح، والنجيب، واليعبوب، والشخا، والضَّرِيس، والمندوب، والأبلق، والقرطاس.

٢- وأما سرجه صلى الله عليه وآله:

فكان دفتاه من ليف، وكان يسمى **الداج**.

٣- وأما بغاله:

فكان له من البغال:

١- **دلدل**: وكانت شهباء، أهداها له المقوقس، وهي أول بغلة ركبت في الإسلام، وبقيت إلى زمن معاوية، وماتت بينبع.

٢- **فضة**: أهداها له فروة بن عمرو الجذامي.

٣- **حلول**: أهداها له صاحب أيلة.

٤- أخرى أهداها له أكيدر صاحب دومة الجندل.

٥- أخرى أهداها له النجاشي.

٤- وأما الحمير:

فكان له صلوات الله عليه وآله:

١- **عُفير** -كزبير- ويقال: يعفور: أهداه له المقوقس مع البغلة.

٢- **يعقوب**: أهداه له فروة بن عمرو.

٥- وأما نوقه:

فكان له صلى الله عليه وآله منها:

١- **القصواء**: وهي التي هاجر عليها، ووقف عليها يوم عرفة في حجة الوداع، اشتراها أمير المؤمنين علي عليه السلام لرسول الله حين هاجر، مع اثنتين لأبي بكر ودليلهما.

٢- **الجذعاء** - بالذال المعجمة-. هكذا ضبطها الإمام المنصور بالله عليه السلام.

٣- **العضباء**: وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحي غيرها.

٤- **عسكر**: كان جملاً لأبي جهل غنمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر، وأهداه يوم الحديبية ليغيظ المشركين.

٥- **الثعلب**: بعث عليه خراش بن أمية يوم الحديبية إلى قريش.

٦- وأما لقاحه ومنائحه:

فكان له عشرون لقحة: وهي التي أغار عليها عيينة بن حصن.

وكان له خمس عشرة لقحة: يرعاها يسار مولاه، أغار عليها العرنيون.

وكان له سبع لقائح بذي الجدر.

ومن أسمائها:

الحناء.

والسمراء –كانت لعائشة–.

والعُرَيِّس، والسعدية، والبغوم، واليُسيرة، والريّاء.

والشقراء ابتاعهما بسوق النبط من بني عامر.

والصهباء والمروة: أهداها له سعد بن عبادة.

وبردة: أهداها له الضحاك بن سفيان الكلابي، وكانت تحلب كما تحلب لقحتان غزيرتان، وكانت لأم سلمة.

ومهرة: أرسلها له سعد بن عبادة.

والحفيدة: عزلها له أمير المؤمنين علي عليه السلام من صفيه من بني سعد بن بكر.

٧– وأما الغنم والماعز:

كان له صلوات الله عليه وآله مائة شاة من الغنم لا يزيد عليها.

ومن الماعز: سبع أعنز منائح ترعاهن أم أيمن، وتروح كل ليلة للبيت الذي يدور فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ووكان يسميهن بأسماء:

بركة، وزمزم، وسقيا، وعجرة، وورِشة، وإطلال، وأطراف.

وكان له شاتان يختص بشرب لبنهما تسمى إحداهما **غوثة**، والأخرى: **قمر**.

وعنز تسمى **اليُمن**.

ولم يؤثر أنه اقتنى البقر.

وكان له ديك أبيض يوقظه للصلاة.

إلى غير ذلك، ونكون بهذا قد أنجزنا الغرض حول السيرة الذاتية أو الشخصية.

الباب الثالث: في البعثة النبوية

وهو باب واسع الأطراف، جامع للمحاسن والنكت اللطاف، يطول بحثه، ويتعدد بعثه، ولكنا نلخص بعض الجوانب في المواضع التالية:

الموضع الأول: مقدمات وإرهاصات البعثة.

الموضع الأول: في مقدمات وإرهاصات البعثة

وهذا الموضع يشتمل على المباحث التالية:

١- *التعبد في غار حراء*

لما تقاربت سِنُّه صلى الله عليه وآله وسلم من الأربعين، حُبِّبَ إليه الخلوة، لتكون بداية التأهيل لتحمل أعباء الرسالة، ونقطة التحول من وضع مليء بالعقائد الفاسدة، والعبادات الشركية الوهمية إلى الترقي في درجات اليقين، والإستعداد لظروف التغيير الحرجة، فكان يرى الأوضاع التي يعيشها العرب آنذاك وبالأخص قريشاً وما هم عليه من الفساد وعبادة الأوثان وغيرها، فكان يميل إلى العزلة والانقطاع والخلوة بنفسه، فكان يخلو للعبادة والانقطاع في غار حراء، ويمكث الأيام المتوالية ثم يعود إلى منزله بعد أن يطوف بالبيت سبعة أشواط، فكان يأخذ السويق والماء، ويذهب إلى غار حراء في جبل النور على بعد ميلين تقريباً من مكة، فيقيم فيه شهر رمضان، ويقضي وقته في العبادة والتفكر في الكون وما فيها من دلائل العظمة، ومشاهد الوحدانية، ثم يعود إلى أهله بعد أن يطوف بالبيت سبعة أشواط.

٢- *جبريل ينزل بالوحي*

ولما تكامل له أربعون سنة، وهي سنُّ الكمال، وهي السنُّ التي يبعث الله فيها الرسل، بدأت طلائع النبوة تبدو، وإرهاصات الرسالة تظهر، فظهرت له المقدمات، وطلعت له طلائع التبشير بالسعادات:

فمن ذلك: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يمر بحجر ولا شجر إلاّ قال: السلام عليك يا رسول الله، فيلتفت حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلاّ الشجر والحجارة، وكان بمكة حجر يسلم عليه ويقول: السلام عليك يا رسول الله.

ومنها: أنه كان يرى الرؤيا الصادقة؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصباح، حتى مضت على ذلك ستة أشهر.

فمكث كذلك مَا شاء الله يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، إلى أن جاءه جبريل

عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو بجبل حِراء.

فلما كان رمضان من السنة الثالثة من عزلته صلى الله عليه وآله وسلم بحراء شاء الله أن يفيض رحمته على أهل الأرض، فأكرمه بالنبوة، وأنزل إليه جبريل بآيات من القرآن، وكان ذلك يوم الاثنين لإحدى وعشرين ليلة مضت من شهر رمضان.

٣- أقسام الوحي

فكان الوحي يأتيه صلى الله عليه وآله وسلم على مراتب:

الأولى: الرؤيا الصادقة، وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وآله وسلم.

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن روح القدس نفث في روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته)).

الثالثة: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحياناً.

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وهي أشده عليه، فيتلبس به الملك، حتى أن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، وإذا جاءه وهو على راحلته بركت إلى الأرض.

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها، فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في سورة النجم.

٤- مراحل البعثة

ولقد مرت الدعوة والبعثة النبوية بثلاث مراحل:

١- مرحلة الدعوة السرية، ثلاث سنوات.

٢- مرحلة الجهر بالدعوة في أهل مكة، من بداية السنة الرابعة من النبوة إلى هجرته صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة.

٣- مرحلة الدعوة خارج مكة وفشوها فيهم، من أواخر السنة العاشرة من النبوة، إلى

الهجرة النبوة، ثم يأتي بعدها العهد المدني.

الموضع الثاني: في الدعوة السرية

لما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقيام والدعوة إلى توحيد الله وعبادته، وترك عبادة الأصنام والأوثان، وكان ذلك من الأمور التي تخالف المألوف والمعتاد عند قومه، لحيث وهم قوم لا دين لهم إلا عبادة الأصنام والأوثان، ولا حجة لهم إلا أنهم وجدوا آباءهم على ذلك، وكانوا مع ذلك متصدرين للزعامة الدينية في جزيرة العرب، ومحتلين مركزها الرئيسي، ضامنين حفظ كيانها، فقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تسير الدعوة على نوع ونمط تتلائم وتتناسق مع تلك الحال لئلا يفاجئ أهل مكة بما يهيجهم، فكانت الدعوة السرية هي الطريق إلى تذليل الكثير من الصعاب، وتجاوز العسير من المخاطر، فبدأت الدعوة السرية.

فقد بدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعرض الإسلام على ألصق الناس به، وأقربهم منه، وأحبهم إليه، فكان فضيلة السبق، وشرف المبادرة، وأولوية التصديق لشخصين، هما:

خديجة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث آمنت وصدقت في نفس اليوم الذي أتاه الوحي فيه.

والثاني: ابن عمه الذي رباه وأدبه وكفله علي بن أبي طالب عليه السلام حيث آمن وصدق في اليوم الثاني مباشرة، وبهما اشتد أزر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقويت عزيمته، وتفاءل بقبول دعوته، وتصديق نبوته.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخرج إلى المسجد ويصلي هو وعلي وخديجة، كما روى ذلك عفيف الكندي:

قال: كنت امرأً تاجراً فقدمت الحج فأتيت العباس، فوالله إني عنده إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى الشمس، فلما رآها مالت قام يصلي.

قال: ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلي، ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلي.

قال: فقلت للعباس: من هذا يا عباس؟

قال: هذا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ابن أخي.

قال: قلت: من هذه المرأة؟

قال: هذه امرأته خديجة بنت خويلد.

قال: قلت: من هذا الفتى؟

قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عمه.

قال: فقلت: ما هذا الذي يصنع؟

قال: يصلي وهو يزعم أنه نبي ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، ويزعم أنه سيفتح عليه كنوز كسرى وقيصر.

وفي رواية أخرى: فقال العباس: (والله ما على وجه الأرض أحد يدين بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة).

كان يخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه علي وهما مستخفيان من الناس فيصليان في شعاب مكة فإذا أمسيا رجعا، كما روي عن علي عليه السلام قال: (كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نرعى غنماً ببطن نخلة قبل أن يظهر الإسلام فأتى أبو طالب ونحن نصلي فقال: يا ابن أخي ما تصنعان؟ فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام وأن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما أرى بما تقولان بأساً، ولكن والله لا تعلوني استي أبداً، ثم ضحك علي عليه السلام حتى بدت ضواحكه ثم قال: اللهم إني لا أعترف لعبد من هذه الأمة عَبَدَك قبلي غير نبيها -يردد ذلك ثلاث مرات-.

ثم قال: والله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يصلي بشر سبع سنين).

ودعا كل من توسم فيه الخير ممن يعرفهم بحب الحق والخير، ويعرفونه بتحري الصدق والصلاح، ممن لم تخالجهم ريبة أو شك قط في عظمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وجلالة نفسه، وصدق خبره فتسارع جمع عرفوا بالسابقين الأولين.

وقيل: بأن عدد السابقين إلى الإسلام وصل إلى مائة وثلاثين ما بين رجلٍ وامرأة، ولكن منهم من أسلم قبل الجهر بالدعوة، ومنهم من تأخر إسلامه إلى الجهر بها.

وهكذا مرت ثلاثة أعوام، والدعوة لم تزل مقصورة على الأفراد، ولم يجهر بها النبي صلى

الله عليه وآله وسلم في المجامع والنوادي، إلا أنها عرفت لدى قريش، وفشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به الناس، ولكنهم لم يهتموا به كثيراً حيث لم يتعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لدينهم، ولم يتكلم في آلهتهم.

فهذه كانت مرحلة الدعوة السرية التي استمرت ثلاث سنين.

الموضع الثالث: الدعوة الجهرية

لما تتابع الناس في قبول الإسلام والدخول في دين الله أفراداً وجماعات، رأى النبي صلى الله عليه وآله من يستجيب لنداء الله، وعلم أن آذاناً صاغية ورجالاً صالحين قد أجابوا دعوته وهم من صميم قريش وغيرها، فتمهدت السبل، وتهيأ الجو للدعوة العامة، ثم أمر بالجهر بالدعوة، فدخلت الدعوة مرحلة جديدة صعبة المرتقى، شديدة التحمل والعناء، كثيرة المصاعب والأذى، لما كانت تتمتع به قريش من كبرياء ونخوة، وجبروت وسطوة، وعصبية وحمية، وتشدد في أمر آلهتها وأوثانها، فاجتاز النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك الصعوبات، ولم ينظر إلى الموانع والمعوقات، بل شحذ همته، وبذل في سبيل النشر للدعوة قوته وشدته، فناداهم في المجامع والأسواق، وحاججهم في النوادي، يدعوهم إلى دين الله ويتلو عليهم آيات الله، ويظهر لهم ما أيده الله به من المعجزات المصدقة لدعواه، ويعبد الله أمام أعينهم جهاراً نهاراً، لا يخشى الغوائل، ولا يرهب جموع القبائل.

فأول من قام بدعوته عشيرته الأقربون، وعصبته الأدنون، ورهطه الهاشميون، ثم تعدت الدعوة إلى بطون قريش، صابراً على تكذيبهم له، محتسباً الثواب في ما يتهموه به من الجنون والسحر والشعر والكذب، غير مبال بما يقولون ولا يوهن عزمه ما به ينطقون، ماثلاً أمامهم جبلاً من جبال الصبر الذي لا تحركه العواصف، ولا تزلزله القواصف، حتى أفشل بقوة تحمله وصلابة نفسه جميع مخططاتهم، وصب سمومهم في أكبادهم، ورد ادعاءتهم عليهم، وأجابه من أجاب من الضعفاء والمساكين الذين عذبوا بأنواع التعذيب.

فإنه لما تكونت جماعة من المؤمنين نزل الوحي يكلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإعلان الدعوة، ومجابهة الباطل، وقد تمثلت في خطوات متتالية:

أولها: الدعوة للأقربين:

فكان أول ما نزل قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين} التي تأمره بدعوة الأقارب.

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشيرته بني هاشم بعد نزول هذه الآية، فجاءوا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف، فكانوا نحو خمسة وأربعين رجلاً، فلما

أراد أن يتكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بادره أبو لهب وقال : هؤلاء عمومتك وبنو عمك فتكلم، ودع الصباة، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وأنا أحق من أخذك، فحسبك بنو أبيك، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش، وتمدهم العرب، فما رأيت أحداً جاء على بني أبيه بشر مما جئت به، فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يتكلم في ذلك المجلس.

ثم دعاهم ثانية وقال: (الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، ثم قال: (إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبداً أو النار أبداً)).

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم: ((يا بني عبدالمطلب كونوا في الإسلام رؤوساء ولا تكونوا أذناباً، أدعوكم إلى الإسلام، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، أيكم يجيبني إلى الإسلام على أن يكون أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي في أهلي وقومي، يقضي ديني وينجز موعدي))، فقام إليه علي عليه السلام -وهو يومئذ أصغرهم سناً- فأجابه إلى ما دعاه إليه، فتفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فيه، ومسح بيده على وجهه، ودعا له، وضمه إليه.

فقال أبو لهب: لبئس ما حبوت ابن عمك أنْ أجابك إلى ما دعوته إليه من بينهم أن ملأت فمه بصاقاً.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((بل ملأته فهماً وحكماً وعلماً)).

فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقنا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به، فوالله، لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسى لا تطاوعنى على فراق دين عبد المطلب.

فقال أبو لهب: هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم.

فقال أبو طالب : والله لنمنعه ما بقينا.

ثانيها: الدعوة لكافة بطون قريش

لما نزل قوله تعالى {فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين}، صعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم على الصفا، فصعد على أعلاها حجراً، ثم هتف رافعاً صوته قائلاً: (يا صباحاه) وهذه الكلمة تعني الإنذار عن هجوم جيش أو وقوع أمر عظيم.

ثم جعل ينادي بطون قريش، ويدعوهم قبائل: (يا بني فهر، يا بني عدي، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب).

فلما سمعوا قالوا: من هذا الذي يهتف؟

قالوا: محمد، فأسرع الناس إليه، حتى إن الرجل إذا لم يستطع أن يخرج إليه أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش.

فلما اجتمعوا قال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟).

قالوا : نعم، ما جربنا عليك كذباً، ما جربنا عليك إلا صدقاً.

قال: (إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله خشي أن يسبقوه فجعل ينادي: يا صباحاه)) أي يتطلع وينظر من مكان مرتفع لئلا يدهمهم العدو.

ثم دعاهم إلى الحق، وأنذرهم من عذاب الله، فخص وعم فقال:

(يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً، ولا أغنى عنكم من الله شيئاً.

يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا معشر بني قصي، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا معشر بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً، ولا أغنى عنكم من الله شيئاً.

يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار.

يا معشر بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً، ولا أغني عنكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم، لا أملك لكم من الله شيئاً.

يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً.

يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً.

يا فاطمة بنت محمد رسول الله، سليني ما شئت من مالي، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لك ضراً ولا نفعاً، ولا أغني عنك من الله شيئاً.

غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها) أي أصلها بحسب حقها.

ولما تم هذا الإنذار انفض الناس وتفرقوا، ولا يذكر عنهم أي ردة فعل، سوى أن أبا لهب واجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسوء، وقال: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: {تبت يدا أبي لهب وتب}.

كان هذا البلاغ، في غاية الإيضاح والبيان، فقد أوضح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حلقة الوصل، وأن القرابة التي يقوم عليها العرب قد تقطعت حبالها، وذابت صلابتها في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله.

فمن أجاب –وإن كان بعيداً في النسب– فهو الولي الأقرب، ومن أعرض وكذب –وإن كان قريباً في النسب– فهو العدو الأبعد.

فنالت الدعوة مزيداً من القبول، ودخل الناس في دين الله واحداً بعد واحد، وحصل بينهم وبين من لم يسلم من أهل بيوتهم تباغض وتباعد وعناد، واشمأزت قريش من كل ذلك، وساءهم ما كانوا يبصرون.

الموضع الرابع: أساليب المشركين لمجابهة الدعوة

ولما رأت قريش أن أمره صلى الله عليه وآله وسلم يتزايد، وعدد أتباعه يتضاعف، وذكره ينتشر كانتشار النار في الحطب، فَكَّرت في أمر تقضي به على الدعوة في مهدها، فاتخذت أساليب متنوعة، وطرق متعددة، كلها باءت بالفشل، وهي تتلخص في الأساليب التالية:

١- *السخرية والاستهزاء والتكذيب*:

فاتخذوا قاموساً من الشتائم، وشائعات من التُّهم، قصدوا بها تخذيل المسلمين، وتوهين قواهم، فرموا النبي صلى الله عليه وسلم بها، فاتهموه بالمجنون تارة: **{وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الْذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُوْنٌ}**[الحجر/٦]، ووصموه بالسحر والكذب تارة: **{وَعَجِبُوْا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُوْنَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}**[ص/٤]، وكانوا يستقبلونه بنظرات وحشية وعدائية يلوح منها التهديد، كما قال تعالى: **{وَإِنْ يَكَادُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَيُزْلِقُوْنَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوْا الْذِّكْرَ وَيَقُوْلُوْنَ إِنَّهُ لَمَجْنُوْنٌ}**[القلم/٥١]، وإذا جلس وحوله أصحابه استهزؤا بهم وقالوا: **{أَهَؤُلَاءِ الَّذِيْنَ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا}**[الأنعام/٥٣].

وقد أكثروا من السخرية والاستهزاء وزادوا من الطعن حتى أثر ذلك في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال الله تعالى: **{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيْقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُوْلُوْنَ}**[الحجر/٩٧]، ثم أمره بما يذهب الضيق فقال: **{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنْ الْسَّاجِدِيْنَ}**[الحجر/٩٨،٩٩]، وقد أخبره أنه يكفيه المستهزئين حيث قال: **{إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُوْنَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَ}**[الحجر/٩٥، ٩٦]، وأخبره أن فعلهم هذا سوف ينقلب وبالاً عليهم فقال: **{وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِيْنَ سَخِرُوْا مِنْهُمْ مَا كَانُوْا بِهِ يَسْتَهْزِؤُوْنَ}**[الأنعام/١٠].

٢- *إثارة الشبهات والدعايات الكاذبة*:

وهذا نوع آخر من أساليبهم التي حاولوا من خلالها صد الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكانوا يموهون على من يصدقهم ويستمع لكلامهم من ضعفة النفوس، بأن ما يدعو إليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم عبارة عن أشياء افتراها من نفسه لينال

مكانة بين الناس، وتارة يقولون إنما يعلمه بشر، وتارة يقولون بل أضغاث أحلام، يراها محمد بالليل ويخبر بها في النهار، وتارة يقولون إن له شيطاناً يتنزل عليه كما تنزل الشياطين والجن على الكهان، وتارة يقولون بأنه يتخيل أشياء ثم يصوغها في ألفاظ وعبارات بديعة ورائعة، كما يفعل الشعراء، وقد أكثروا من ذلك وتفننوا فيه بحيث لا يبقى لعامة الناس مجال للتأمل في دعوته، والتفكير في صدقها، وقد رد الله عليهم في كتابه الكريم عن كل شبهة ودعاية يفتعلونها.

ومن هذا القبيل إيرادهم للشبه والتشكيكات حول ما يدعوهم إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من التوحيد، وما يخبرهم به من البعث والنشر والحشر والحساب والجزاء والجنة والنار.

وقد رد القرآن على كل شبهة من شبهاتهم، وعلى كل ما أثاروا من التشكيكات الواهية، رداً مفحماً يُقنع كلَّ ذي عقل ولب، بل زاد على الرد إلزامات وتحديات ظهر بها عجز آلهتهم عجزاً لا مزيد عليه، ولكنهم كانوا متعصبين مستكبرين، لا يبحثون عن الحق ولا يريدونه، إنما يريدون علواً في الأرض، ووإبقاء هيمنتهم على الخلق، فبقوا في طغيانهم يعمهون.

٣ ـ الحيلولة بين الناس وبين سماعهم القرآن، ومعارضته بأساطير الأولين:

لم يكتف المشركون بإثارة الشبهات والتشكيكات التي يحولون بها بين الناس وبين سماعهم القرآن ودعوة الإسلام، بل تعدى الحال إلى المنع والتصدي بكل ممكن، فكانوا يطردون الناس من حوله، ويثيرون الشغب والضوضاء، ويكثرون اللغو إذا أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتكلم حول الدعوة، أو أراد أن يتلو القرآن، كما قال تعالى: **{وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوْا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيْهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُوْنَ}**[فصلت/٢٦].

وكان النضر بن الحارث، أحد شياطين قريش قد ذهب إلى الحيرة، وتعلم بها قصص ملوك الفرس وأحاديثهم، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجلساً للتذكير بالله والتحذير من نقمته، خلفه النضر ويقول: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم.

وروي أنه كان قد اشترى قينة مغنية، فكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به

إلى قينته، فيقول: أطعميه واسقيه وغنيه، هذا خير مما يدعوك إليه محمد، وفيه نزل قوله تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِيْ لَهْوَ الْحَدِيْثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ}**[لقمان/٦].

حتى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتمكن من تلاوة القرآن عليهم في المجامع إلا في أواخر السنة الخامسة من النبوة، وذلك عن طريق المفاجأة، دون أن يشعروا بقصده قبل بداية التلاوة.

٤- الإتفاق على منع الحجاج عن استماع الدعوة

ولما كانت مكة مهوى الأفئدة، وإليها يتوافد الناس من أصقاع الأرض، وأقاصي البلدان، وشتى القبائل للحج والعمرة، كان لابد لقريش من حسم الموقف، فخلال الأيام المقبلة سيأتي موسم الحج، ووفود العرب ستقدم عليهم، فرأت قريش أنه لابد من كلمة يقولونها للعرب، في شأن محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى لا يكون لدعوته أثر في نفوس العرب، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة يتشاورون في ماذا يقولون.

فقال لهم الوليد: أجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً، قالوا : فأنت فقل، وأقم لنا رأياً نقول به.

قال: بل أنتم فقولوا وأنا أسمع، فقال بعضهم فنقول: كاهن.

قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه.

قالوا: فنقول: مجنون.

قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، ما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.

قالوا: فنقول: شاعر.

قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول: ساحر.

قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم.

قالوا: فما نقول؟

قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لمغدق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر. جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك.

وبعد أن اتفقوا على ذلك القرار أخذوا في تنفيذه، فجلسوا بسبل الناس حين قدموا للموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يتبع الناس في منازلهم وفي عكاظ ومجنة وذى المجاز، يدعوهم إلى الله، وأبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب.

فرجعت العرب من ذلك الموسم وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انتشر، في بلاد العرب كلها، وحمله كل غريب إلى أهله.

٥- الاضطهادات والتعذيب

بقي المشركون على الأساليب السابقة إلى السنة الرابعة من النبوة، ولكنهم حين رأوا أنها لم تنفع في إحباط الدعوة اشتوروا فيما بينهم فقرروا القيام بأسلوب جديد من الأساليب القذرة هو الإضطهاد والتعذيب لمن آمن، فقرروا القيام بتعذيب المسلمين وفتنتهم عن دينهم، فقام كل كبير قبيلة بتعذيب من دان من قبيلته بالإسلام، ومال كل سيد على عبيده الذين سلكوا طريق الإيمان.

فقاموا بأنواع الأذى والتعذيب والضرب لكل من علموا بأنه آمن بمحمد أو صدقه، حتى وصل بهم الحد إلى القتل والعسف بمن آمن، ومن لم يقتل أذاقوه أنواع الأذى والتعذيب، وهدف المشركين من ذلك، هو القضاء على الدعوة وهي لا تزال في أول مراحل نموه، ولكن وجدوا أمامهم دروعاً لا تؤثر فيها الشدة إلا جِدَة، وجدوا رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ونساءً مؤمناتٍ صادقاتٍ، من الأحرار والعبيد، ضربوا أروع أنواع البسالة والثبات، ومَثَّلُوا بصبرهم وصمودهم أقوى التحديات أمام جبروت قريش وصناديدها.

فقد تحدّث التاريخ عن تلك المعاناة القاسية فسجّل بفخر واعتزاز صمود أصحاب

محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وثباتهم على منهج الدعوة ومواصلة السير في الطريق ذات الصعوبة، فهم الّذين سبقوا إلى الإسلام ولا عشائر لهم تمنعهم، ولا قوّة لهم يُمنعون بها أو يحمون بها أنفسهم.

فمنهم من قتلوه كياسر وزوجته، ومنهم من كانوا يعذبونه حتى يفقد الوعي، ومنهم من يرمونه على الحجارة المحماة بالنار، ومنهم من يضعون على صدره الحجارة التي يكاد يموت من ثقله، ومنهم من يحمون له الحديد فيضعونه على ظهره، ووصلت بهم التفاهة والحقارة والنذالة إلى أن تعدوا حتى على النساء المؤمنات فمنهن من عذبت حتى فقدت بصرها، ومنهن من عذبت حتى ماتت، كل ذلك لا يزيدهم جميعاً رجالاً ونساء، أحراراً أو عبيداً إلا تمسكاً بدينهم وثباتاً على يقينهم، وتصديقاً لنبيهم.

فكان أبو جهل إذا سمع برجل قد أسلم وله شرف ومنعة أنبه وأخزاه، وأوعده بإبلاغ الخسارة الفادحة في ماله وجاهه، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به.

ويروي لنا التأريخ صوراً لأولئك الصابرين فيذكر:

بلالَ بن رباح الحبشي، الّذي كان عبداً مملوكاً لأمَيّة بن خلف الجُمَحي، فاستنشق عبق الحرِّيّة والكرامة المفقودة عنده في مبادئ الإسلام وقيمه السّامية، فالتحق بالركب وواصل المسير فعلم أمَيّة بن خلف بذلك، فراح يُعذِّب بلالاً: فكان أمية يضع في عنقه حبلاً، ثم يسلمه إلى الصبيان، يطوفون به في جبال مكة، ويجرونه حتى كان الحبل يؤثر في عنقه، وهو يقول : أحد أحد، وكان أمية يشده شداً ثم يضربه بالعصا، و يلجئه إلى الجلوس في حر الشمس، كما كان يكرهه على الجوع، وأشد من ذلك أنه كان يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في الرمضاء في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك: أحد أحد، ويستمرّ أمَيّة بن خلف في تعذيب بلال، ويستمرّ بلال على صبره وصموده وتحدِّيه، فيُخيَّر بين أن يكفر بتوحيد الله وبنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وبين أن يموت تحت الصخرة وعذاب الطّغاة، فيتعالى صوته، مظهراً لتحدي أعدائه فينادي: أحد أحد.

ويُسلِم حليف بني مخزوم ياسر وابنه عمّار وزوجته سميّة، الأسرة المستضعفة البائسة

الّتي دخلت الإسلام في المرحلة السرِّيّة، أمّا الآن فقد انكشف إسلامهم وعرف الأسياد والطّغاة بذلك، فكانوا يُخرِجوَن عمّاراً وأباه وأمّه إلى الأبطح إذا حميت الرّمضاء يعذِّبوهم بحرِّ الرّمضاء، يمرّ بهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ويقول: (صبراً آل ياسر، فإنّ موعدكم الجنّة)، فمات ياسر في العذاب، وأغلظت امرأته سميّة بالقول لأبي جهل، فطعنها في قُبْلِها بِحَرْبَة في يديه فماتت، وهي أوّل شهيدة في الإسلام، وشدّدوا العذاب على عمّار بالحرِّ تارة، وبوضع الصّخرِ على صدره أُخرى وبالتغريق أُخرى.

ويُعذّبُ خَبّاب بن الارَت التميميّ، وكان أبوه من السّبايا الّذين بيعوا في مكّة، وهو من المسلمين الأوائل الّذين بادروا إلى التصديق بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذه الكفّار وعذّبوه عذاباً شديداً، فكانوا يُعَرّونه ويُلصِقون ظهره بالرّمضاء ثمّ بالرّضْفِ – وهي الحجارة المحمّاة بالنار– ولووا رأسه، فلم يُجِبهُم إلى شيء ممّا أرادوا منه.

ومن أُولئك المعذّبين الصابرين: أبو فكيهة، وقد كان عبداً لصفوان بن أميّة بن خلف الجمحي، فأخذه أُميّة بن خلف وربط في رجله حبلاً وأمر به فجرّه ثمّ ألقاه في الرمضاء، ومرّ به على جُعل، فقال له أميّة: أليس هذا ربّك؟ فقال: الله ربّي وربّك وربّ هذا، فخنقه خنقاً شديداً، ومعه أخوه أبي بن خلف يقول: زِدْهُ عذاباً حتّى يأتي محمّداً فيخلّصه بسحره، ولم يزل على تلك الحال حتّى ظنّوا أنّه قد مات، ثمّ أفاق، فمرّ به أحد المسلمين فاشتراه وأعتقه.

وقيل إنّ بني عبدالدار كانوا يضربونه، وإنّما كان مولى لهم، وكانوا يضعون الصخرة على صدره حتّى دلع لسانه فلم يرجع عن دينه.

وليست سمية هي المؤمنة الشهيدة الوحيدة الّتي دخلت ملحمة الصِّراع، وتحدّت طغيان الطّغاة، بل هناك نساء خالدات في سجل تاريخ الدعوة المحمدية والجهاد الصمودي:

فها هي النّهديّة التي كانت مولاة لبني نهد، ثم ملكتها بعد ذلك امرأة من بني عبدالدار تُنزِل بها مولاتها أشدّ العذاب، وتقول لها: لا أترك عذابك حتّى يشتريك بعض أصحاب محمّد، فيشتريها أحدهم ويُعتِقُها من العبوديّة.

وها هي لبيبة، جارية بني مؤمل بن حبيب، يُنزِل بها عمر بن الخطّاب قبل إسلامه أشدّ ألوان العذاب ثمّ يتركها، ويقول لها: إنِّي لم أدعك إلاّ سآمة، فتقول له: كذلك يفعل الله بك.

وها هي زُنّيرة: المرأة الّتي فقدت عينيها بالتعذيب، كانت مملوكة لبني عدي أو لبني مخزوم، فكان عمر بن الخطاب يعذّبها، أو كان أبو جهل هو الّذي يمارس التعذيب الوحشي معها، لقد ردّ الله عليها بصرها، فقال المشركون هذا من سحر محمّد.

وكان عم عثمان بن عفان يلفه في حصير من ورق النخيل ثم يدخنه من تحته.

وأما مصعب بن عمير، فلما علمت أمه بإسلامه منعته الطعام والشراب، وأخرجته من بيته، وكان من أنعم الناس عيشا، فتخشف جلده تخشف الحية.

وكان صهيب بن سنان الرومي يعذب حتى يفقد وعيه ولا يدرى ما يقول.

والحاصل أنهم لم يعلموا بأحد دخل في الإسلام إلا وتصدوا له بالأذى والنكال، وكان ذلك سهلاً ميسوراً بالنسبة لضعفاء المسلمين، ولا سيما العبيد والإماء منهم، فلم يكن من يغضب لهم ويحميهم، بل كانت السادة والرؤساء هم أنفسهم يقومون بالتعذيب ويغرون الأوباش، ولكن بالنسبة لمن أسلم من الكبار والأشراف كان ذلك صعباً جداً؛ إذ كانوا في عز ومنعة من قومهم، ولذلك قلما كان يجتريء عليهم إلا أشراف قومهم، مع شيء كبير من الحيطة والحذر.

فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يصيب أصحابه من الأذى أذن الله له أن يأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة، كما سيأتي ذلك إن شاء الله.

الموضع الخامس: موقف المشركين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شهماً وقوراً، ذا شخصية فذة، تتعاظمه نفوس الأعداء والأصدقاء، بحيث لا يقابل مثله إلا بالإجلال والتشريف، ولا يجترئ على اقتراف الدنايا والرذائل ضده إلا أراذل الناس وسفهاؤهم، وكان محمي الجانب في منعة لمكان عمه أبي طالب الذي حامى وناصر ومانع قريشاً أن يصلوا إلى رسول الله بأدنى أذى، لما كان يحظى به أبو طالب من المكانة والرئاسة في قريش، فقوي بهذا جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتمكن من فعل أشياء في الدعوة، وخوله ذلك اكتساب الهيبة في قلوب المشركين، فاضطر المشركون إلى سلوك طرق سلمية في بادئ الأمر فحاولوا أن يفاوضوا أبا طالب.

ونلخص ذلك فيما يلي:

١- *مفاوضات فيها نوع من اللين والإستعطاف*

فمشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً، وردهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما هو عليه، يظهر دين الله ويدعو إليه.

فلم تصبر قريش طويلاً حين رأته صلى الله عليه وآله وسلم ماضياً في عمله ودعوته إلى الله، حتى قررت مراجعة أبي طالب بأسلوب فيه نوع من القسوة والشدة، فعزموا على أن يغيروا لهجتهم إلى الشدة والتحدي والإنذار لأبي طالب:

فجاءت سادات قريش إلى أبي طالب فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.

فعظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: يا بن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن عمه خاذله، وأنه ضعف عن نصرته، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقالته المشهورة: ((والله يا عم لو ضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه))، ثم استعبر وبكى، وقام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فلما أقبل قال له عمه أبوطالب مقالته المشهورة: اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببت، واصدع بأمرك فلن أسلمك لهم أبداً.

٢- عروض قريش على أبي طالب

ثم إن قريشاً عرفت أن أبا طالب لن يخذل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه مجمع على فراقهم وعداوتهم في ذلك، فحاولوا آخر محاولة، فذهبوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، وقالوا له: يا أبا طالب، إن هذا الفتى أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولداً فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسومونني، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً.

فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً.

فقال: والله ما أنصفتموني، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك.

٣- رؤساء المشركين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ثم إن المشركين لما فشلوا في جميع المحاولات والمفاوضات مع أبي طال صبوا جام غضبهم وحنقهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن لمكانة رسول الله الإجتماعية بين أهله وعشيرته فقد تولى إيذائه والإعتداء عليه كبراء قريش وأئمة الكفر من المشركين

ولم يجترئ عليه السفهاء والعامة.

فقامت قريش بالاعتداء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مع ما كانت تأتيه من السخرية والاستهزاء.

وكان على رأسهم وفي مقدمتهم أبو لهب، أحد بني هاشم، فقد كان عدواً لدوداً للإسلام وأهله، وقد وقف موقف العداء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ اليوم الأول، واعتدى عليه قبلهم جميعاً.

فقد كان يمشي خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في موسم الحج وفي الأسواق لتكذيبه، ولا يقتصر على التكذيب بل كان يضربه بالحجر حتى تدمى عقباه.

وكانت امرأة أبي لهب أم جميل واسمها: أروى بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان تشارك زوجها في عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كانت تحمل الشوك، وتضعه في طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى بابه ليلاً، وكانت امرأة سليطة اللسان، تبسط لسانها عليه وتطاول بالافتراء والشتم، وتؤجج نار الفتنة، على النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فوصفها الله في القرآن بحمالة الحطب، وأنزل الله فيها وفي زوجها سورة المسد.

وكان جيران رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين يؤذون في بيته: أبا لهب، والحكم بن أبي العاص بن أمية، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي، وابن الأصداء الهذلي، فكان أحدهم يطرح عليه رحم الشاة وهو يصلي، وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نُصبت له، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجراً ليستتر به منهم إذا صلى، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود، فيقف به على بابه، ثم يقول: (يا بني عبد مناف، أي جوار هذا ؟) ثم يلقيه في الطريق.

وذات يوم كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي عند البيت، وأبو جهل جالس مع أصحاب له؛ إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلاء جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد.

فقام عقبة بن أبي معيط –أشقى القوم– فجاء به حتى إذا سجد النبي وضعه على ظهره بين كتفيه، فجعلوا يضحكون، ويتمايل بعضهم على بعضهم مرحاً وبطراً، ورسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم ساجد، لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه، ثم قال: اللهم عليك بقريش – ثلاث مرات–، فشق ذلك عليهم حين دعا عليهم، لأنهم كانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى أناساً فقال: (اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط).

قال ابن مسعود: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صرعى في القليب، قليب بدر.

وكان أمية بن خلف إذا رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه، فأنزل الله فيه: {ويل لكل همزة لمزة}.

وكان الأخنس بن شريق الثقفي ممن ينال من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد وصفه القرآن بتسع صفات تدل على ما كان عليه، وهي قوله تعالى: {ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد* أثيم عتل بعد ذلك زنيم}[القلم/١٠، ١٣].

وكان أبو جهل من أشدهم إيذاء واعتداء، فكان يجيء أحياناً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمع منه القرآن، ثم يذهب عنه فلا يؤمن ولا يطيع، بل يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقول، ويصد عن سبيل الله، ثم يذهب مختالاً فخورا بما ارتكب من الشر، فأنزل الله فيه: {فلا صدق ولا صلى}[القيامة/٣].

وكان يمنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة منذ أول يوم رآه يصلي في الحرم، ومر به وهو يصلى عند المقام فقال: يا محمد، ألم أنهك عن هذا، وتوعده، فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتهره، فقال: يا محمد، بأي شيء تهددني؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً، فأنزل الله فيه: {فليدع ناديه * سندع الزبانية}[العلق/١٧، ١٨].

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بخناقه وهزه، وهو يقول له: {أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى}، فقال عدو الله: أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئاً، وإني لأعز من مشى بين جبليها.

وقال ذات يوم لجلسائه: واللات والعزى، لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن على رقبته،

ولأعفرن وجهه، فأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي، فلما قرب منه نكص على عقبيه هارباً، وهو يتقي بيديه، فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهَوْلاً وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً)).

فهذه صورة مصغرة لما كان يتلقاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون من الظلم والخسف والجور على أيدي طغاة المشركين.

الموضع السادس: الأمر بالهجرة إلى الحبشة

لما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يصيب أصحابه من الأذى أذن الله له أن يأذن لهم بالهجرة إلى الحبشة.

فلما كانت في شهر رجب السنة الخامسة من البعثة هاجر أول دفعة من المسلمين وعددهم اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان، ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرجوا ليلاً ولم يشعر بهم المشركون، فلما علموا غضبوا وأسرعوا في طلبهم فلم يدركوهم حيث وهو قد عبروا البحر مع سفينتين تجاريتين كانت على ساحل البحر.

ثم جاءت الهجرة الثانية إلى الحبشة على نطاق أوسع، وبعدد أكثر، وصعوبة شديدة من قبل المشركين الذين كانوا يترصدون تحركات المسلمين، فكان عدد المهاجرين اثنين وثمانين رجلاً وثمانية عشر امرأة، بقيادة جعفر بن أبي طالب، فتمكنوا بمن الله من التخلص من المشركين حتى وصلوا إلى الحبشة، التي كانت مملكة للنجاشي الذي كان على دين المسيح وكان عادلاً لا يُظلم عنده أحد، فآواهم وأحسن استقبالهم، فحاول المشركون أن يردوهم فأرسلوا بعثاً إلى النجاشي، فبآؤا بالفشل.

وذلك أن قريشاً اختاروا رجلين وهما: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، وأرسلوا معهما الهدايا المستطرفة للنجاشي ولبطارقته، وبعد أن ساق الرجلان تلك الهدايا إلى البطارقة، وزوداهم بالحجج التي يطرد بها المسلمون، وبعد أن اتفقت البطارقة أن يشيروا على النجاشي بإقصائهم، حضرا إلى النجاشي، وقدما له الهديا ثم كلماه فقالا له:

أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم؛ لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه.

وقالت البطارقة: صدقا أيها الملك، فأسلمهم إليهما، فليرداهم إلى قومهم وبلادهم.

فأرسل النجاشي إلى المسلمين، ودعاهم، فحضروا، وكانوا قد أجمعوا على الصدق كائناً ما كان.

فقال لهم النجاشي: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟

قال جعفر بن أبي طالب: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟

فقال له جعفر : نعم.

فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي:

إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة.

ثم قال لعمرو بن العاص وصاحبه: انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون، فخرجا.

فلما خرجا قال عمرو بن العاص لعبد الله بن أبي ربيعة: والله لآتينه غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم.

فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا تفعل، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا، ولكن أصر عمرو على رأيه.

فلما كان الغد قال للنجاشي: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم النجاشي يسألهم عن قولهم في المسيح ففزعوا، فلما دخلوا عليه وسألهم، قال له جعفر: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

فأخذ النجاشي عوداً من الأرض ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته، فقال: وإن نخرتم والله.

ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم آمنون بأرضي، من سبكم غرم، من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما أحب أن لى جبلاً من ذهب وإني آذيت رجلا منكم.

ثم قال لحاشيته: ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه.

فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقام المسلمون عنده بخير دار مع خير جار.

الموضع السابع: إسلام حمزة ومساومة قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فلما رأى المشركون إصرار رسول الله على الاستمرار والمضي في دعوته، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثرون ويزيدون يوماً بعد يوم، ورأوا أنه قد دخل في الإسلام وآمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدد ممن كانت قريش تخاف جانبهم.

حيث أسلم في أواخر السنة السادسة من البعثة حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقوي جانب المسلمين واشتد.

وكان سبب إسلامه: أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً وهو عند الصفا عند الصفا فآذاه ونال منه، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساكت لا يكلمه، ثم ضربه أبو جهل بحجر في رأسه فشجه حتى نزف منه الدم، ثم انصرف عنه إلى نادي قريش عند الكعبة، فجلس معهم، وكانت مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها على الصفا ترى ذلك، وأقبل حمزة من القنص متوشحاً قوسه، فأخبرته المولاة بما رأت من أبي جهل، فغضب حمزة – وكان أعز فتى في قريش، وأشدهم شكيمة – فخرج يسعى، لم يقف لأحد؛ معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل المسجد قام على رأسه، وقال له: يا مصفر استه، تشتم ابن أخي وأنا على دينه؟ ثم ضربه بالقوس فشجه شجة منكرة، فثار رجال من بني مخزوم — وهم قبيلة أبي جهل– وثار بنو هاشم — قبيلة حمزة – فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة، فإني سببت ابن أخيه سباً منكراً.

فأدار القوس على رؤوسهم استخفافاً بهم، ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرع بابه، فناداه النبي: من هذا؟

قال: أنا عمك حمزة.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا عم ما تريد ممن لا عم له، ما تريد ممن لا أم له، ما تريد ممن لا أب له، ما تريد ممن لا ناصر له من قومه)).

فدمعت عينا حمزة وقال: افتح يا ابن أخي فما أتيتك حتى انتصرت لك ممن ظلمك.

فخرج إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: ((يا عم إنه لن يقبل منك ذلك إلا

أن تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله)).

قال: فاتل عليّ شيئاً مما أوحي إليك.

فتلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه آيات من سورة (الملك).

قال حمزة: يا ابن أخي هذا كلام لا يشبه كلام المخلوقين، ثم قال زدني.

فتلا عليه: ﴿حم، تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ الله الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾[غافر: ١، ٢، ٣].

فقال حمزة: حسبك يا ابن أخي، فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنك محمداً عبده ورسوله، وتم عليه السلام على إسلامه.

فبعد إسلام حمزة غيرت قريش أسلوب التعامل من القسوة إلى المفاوضة، فمالوا إلى جانب آخر من محاولة صرفه عن دعوته بطرق الترغيب.

وكان هذا الأسلوب من تنازلات قريش بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، يدل على العجز والحيرة الكبيرة أمام التحديات المحمدية، للجبروت الشركي.

فحاولوا مساومته بعدة طرق وأساليب فكانت محاولاتهم فاشلة، فمن تلك الطرق:

١- عرض المال والجاه

فقد حاول عتبة بن ربيعة، وكان من سادات قريش أن يراجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأمر، فقال يوماً وهو في مجلس مع رؤساء قريش، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في المسجد وحده، فقال عتبة: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟

فقالوا : بلى، يا أبا الوليد، قم إليه، فكلمه، فقام إليه عتبة،حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال : يابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

فقال رسول صلى الله عليه وآله وسلم ((قل يا أبا الوليد أسمع)).

قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رأياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.

فلما فرغ عتبة من حديثه، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أقد فرغت يا أبا الوليد؟)) قال: نعم، قال ((فاسمع مني))، قال: أفعل، فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سورة فصلت، فلما سمعها منه عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى السجدة منها فسجد، ثم قال ((قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك)).

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم، قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟.

قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.

فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

فلم يقتنع الملأ من قريش بما دار بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين عتبة، وكأنهم ظنوا أنه لم يثق بجدية ذلك العرض حين عرض عتبة وحده، فإذا عرضوه كلهم فإنه يثق ويقبل، فتشاوروا فيما بينهم، ثم اجتمعوا يوماً عند ظهر الكعبة بعد غروب الشمس، وأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعونه، فجاء مسرعاً يرجو خيراً، فلما جلس إليهم قالوا له مثل ما قال عتبة، وعرضوا عليه نفس المطالب التي عرضها عتبة، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم: ((ما بي ما تقولون، ما جئتكم

بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوا علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم)).

٢- تقديم التنازلات

لما فشلت قريش في المساومات والمفاوضات المبنية على الترغيب والترهيب، والإغراء والتهديد، ارتطموا في حيرتهم، وخاضوا في بحار شكهم وريبهم، وأرادوا أن يصلوا نتيجة، أو أن يجدوا حلاً يخرجهم من المأزق الذي قد وقعوا فيه، فحاولوا تقديم تنازلات ليعرفوا من خلالها هل محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيقبل المساومة في الدين؟ أم سيبقى على ما هو عليه؟.

فذات يوم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يطوف بالكعبة اعترضه الأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل السهمى – وكانوا من كبار قريش– فقالوا: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، فتعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة، فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله تعالى فيهم: {قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون} إلى آخر السورة.

٣- إيراد أسئلة ومطالب للتعجيز

فانتقلوا إلى مرحلة أخرى من محاولة التعجيز، بإيراد أسئلة ومطالب يريدون من خلالها تعجيزه صلى الله عليه وآله وسلم:

فطلبوا منه أن يسأل ربه أن يسير عنهم الجبال، ويبسط لهم البلاد، ويفجر فيها الأنهار، ويحيي لهم الموتى لا سيما قصي بن كلاب، فإن فعل فإنهم سيصدقونه يؤمنون به، فأجاب عليهم بنحو ما تقدم.

وطلبوا منه أن يسأل ربه أن يبعث له ملكاً يصدقه، ويراجعونه فيه، وأن يجعل له جنات وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة، فأجاب بنحو ما تقدم.

ثم طلبوا منه أن يسقط عليهم السماء كسفاً، فقال: ((ذلك إلى الله، إن شاء فعل)).

فقالوا: أما علم ربك أنا سنجلس معك، ونسألك ونطلب منك، حتى يعلمك ما تراجعنا به، وما هو صانع بنا إذا لم نقبل.

٤- الاستعانة باليهود لإيجاد الحل

فلما رأوا صموده صلى الله عليه وآله وسلم في وجه كل التحديات، ورفضه كل المغريات، وصلابته في كل مرحلة، مع ما كان يتمتع به من الصدق والعفاف ومكارم الأخلاق، قويت شبهتهم في كونه رسولاً حقاً، فبقيت قريش في حيرة، وأظلمت أمام المشركين الطرق، واحتاروا ما الذي يفعلونه، قرروا أن يستعينوا باليهود حتى يتأكدوا من أمره صلى الله عليه وآله وسلم.

حيث قام أحد شياطينهم وهو: النضر بن الحارث فقال: يا معشر قريش، والله لقد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم.

وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم.

وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه.

وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه.

يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم.

فاستصوبوا رأيه وكلفوه مع آخرين أن يذهب إلى يهود المدينة، فأتاهم، فقال أحبارهم: سلوه عن ثلاث، فإن أخبر فهو نبي مرسل، وإلا فهو متقول:

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان أمرهم؟ فإن لهم حديثاً عجباً.

وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟.

وسلوه عن الروح، ما هي؟

فلما قدم مكة قال: جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، وأخبرهم بما قالت اليهود، فسألت قريش رسول صلى الله عليه وآله وسلم عن الأمور الثلاثة، فنزلت سورة الكهف،

فيها جواب سؤالين من أسئلتهم:

وهم أصحاب الكهف، وهم الفتية الذين ذهبوا في الدهر الأول، وقصة الرجل الطواف، وهو ذو القرنين.

ونزل الجواب عن الروح في سورة الإسراء، وتبين لقريش أنه صلى الله عليه وآله وسلم على حق في دعواه، وصدق فيما يقول، ولكن أبى الظالمون إلا كفوراً.

فلما أيسوا منه هددوه أشد التهديد، وقالوا له: أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تهلكنا، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنهم، وانصرف إلى أهله حزيناً لما رآه من تعنتهم وعتوهم وإصرارهم على الكفر.

٥- محاولة القضاء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فلما رأى المشركون أنهم قد اتخذوا وسلكوا كل الطرق، ومارسوا أنواع الحيل من شدة إلى لين، ومن لين إلى شدة، ومن جدل إلى مساومة، ومن ترغيب إلى ترهيب، ورأوا أنها كلها ما زادت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلا قوة وصلابة، ودينه إلا انتشاراً، ودينهم إلا ضعفاً وهواناً وانكساراً، اجتمع رأيهم على أسوء خطة وألأم مشورة وأقبح مؤامرة وهي محاولة قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد حاول أبو جهل قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لقريش: يا معشر قريش، إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم.

فقالوا: والله لا نسلمك لشيء أبداً، فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينتظره، وغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان يغدو، فقام يصلي، وقريش قد جلسوا في أنديتهم ينتظرون ماذا سيفعل أبو جهل، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع

منهزماً متغيراً لونه مرعوباً، قد يبست يداه على الحجر، حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟.

قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط، فهمّ بي أن يأكلني.

فروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه)).

الموضع الثامن: موقف أبي طالب وبني هاشم وحصار الشعب

فلما رأى أبو طالب عزم قريش على القضاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا بني هاشم وبني المطلب مسلمهم وكافرهم إلى حفظ النبي وحياطته من قريش، فأجابوه إلى ذلك وتعاهدوا وتعاقدوا عليه عند الكعبة، إلا أبا لهب فإنه فارقهم.

فعند ذلك اجتمعت قريش واشتوروا على أن يقاطعوا بني هاشم مقاطعة كلية تشمل الكلام والمؤاكلة والمشاربة والمناكحة، والمجالسة والمخالطة، وأن لا يدخلوا بيوتهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً، ولا تأخذهم بهم رأفة، حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقريش لتقتله، وكتبوا لهم بذلك صحيفة ومعاهدة علقوها في جوف الكعبة.

والذي كتب الصحيفة هو: بغيض بن عامر بن هاشم، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشلت يده.

فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى الشعب وحوصروا فيه، وذلك في أول شهر محرم الحرام سنة سبع من البعثة، ومنعت عنهم الميرة، ومنع التجار من مبايعتهم، حتى وصل بهم الجهد إلى أن أكلوا أوراق الشجر والجلود، وكان النساء والصبيان يتضورون من شدة الجوع، فكان لا يصلهم شيء إلا سراً، وكانوا لا يخرجون إلا في الأشهر الحرم، وكانوا يشترون من العير التي ترد مكة من خارجها، ولكن أهل مكة كانوا يزيدون عليهم في السلعة قيمتها حتى لا يستطيعون شراءها.

وكان حكيم بن حزام يحمل القمح إلى عمته خديجة رضي الله عنها وقد تعرض له مرة أبو جهل فتعلق به ليمنعه، فتدخل بينهما أبو البختري، ومكنه من حمل القمح إلى عمته.

وكان أبو طالب يخاف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم يأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد اغتياله، فإذا نام الناس يأمر علياً عليه السلام أن يضطجع وينام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينام في فراش علي عليه السلام.

نقض الصحيفة

استمر الحصار ثلاث سنين إلى أن هيئ الله تعالى نقض الصحيفة، وأرسل الآكلة فأكلتها إلا باسمك اللهم، وأخبرهم رسول الله بذلك، فانتهى الحصار وخرج بنو هاشم وبنو المطلب من الحصار، ولكنهم لم يخرجوا من الأذى فما هو إلا أن خرجوا حتى عادت قريش فيما كانت عليه من المعاداة والأذى.

وسبب نقض الصحيفة: أن قريشاً كانوا بين راض بها وكاره، فسعى في نقض الصحيفة من كان كارهاً لها، وكان الساعي في ذلك هو هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي – وكان يصل بني هاشم في الشعب مستخفياً بالليل بالطعام – فإنه ذهب إلى زهير بن أبي أمية المخزومي – وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب – وقال له: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام، وتشرب الشراب، وأخوالك بحيث تعلم؟ فقال: ويحك، فما أصنع وإنما أنا رجل واحد؟ أما والله لو كان معى رجل آخر لقمت في نقضها، قال: قد وجدت رجلاً، قال: فمن هو؟ قال: أنا.

فقال له زهير: أبغنا رجلاً ثالثاً.

فذهب إلى المطعم بن عدي، فذكّره أرحام بني هاشم وبني المطلب، ولامه على موافقته لقريش على ذلك الظلم، فقال المطعم: ويحك، ماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانياً، قال: من هو؟ قال: أنا، قال: أبغنا ثالثاً. قال: قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية، قال: أبغنا رابعاً.

فذهب إلى أبي البختري بن هشام، فقال له نحواً مما قال للمطعم، فقال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال : نعم. قال: من هو؟ قال زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدى، وأنا معك، قال: أبغنا خامساً.

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعونى إليه من أحد؟.

قال: نعم، ثم سمى له القوم، فاجتمعوا عند الحجون، وتعاقدوا على القيام بنقض

الصحيفة، وقال زهير : أنا أبدأكم فأكون أول من يتكلم.

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير عليه حلة، فطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس، فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى، لا يباع ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

فقال أبو جهل: كذبت، والله لا تشق.

فقال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حيث كتبت.

قال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها، ولا نُقِرُّ به.

قال المطعم بن عدي: صدقتما، وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها.

وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك.

فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل.

وكان أبو طالب جالساً في ناحية المسجد، وإنما جاء لأن الله قد أطلع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم على أمر الصحيفة، وأنه أرسل عليها الأرضة، فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم إلا ذكر الله عز وجل، فأخبر بذلك عمه.

فخرج أبو طالب إلى قريش فأخبرهم أن ابن أخيه قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذباً خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت.

فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ((باسمك اللهم)).

ثم نقضت الصحيفة وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من الشعب.

الموضع التاسع: أحداث عام الحزن

١- وفاة أبي طالب رضي الله عنه

كان أبو طالب قد بلغ الثمانين من عمره، وكانت الأمراض تعتريه، وقد أنهكه الحصار، وأتعبه جداً، فلم يبق بعد خروجهم من الشعب سوى ستة أشهر حتى اشتد به المرض، فلم يلبث أن وافته المنية، وكانت وفاته في رجب سنة عشر من البعثة، قبل وفاة خديجة بشهرين.

وقيل: بل توفي في رمضان قبل وفاة خديجة رضي الله عنها بثلاثة أيام.

لما مات أبو طالب أمر رسول الله بغسله وكفنه ثم كشف عن وجهه ثم مسح بيده اليمنى على جبهته اليمنى ثلاث مرات، ثم مسح بيده اليسرى على جبهته اليسرى ثلاث مرات، ثم قال: ((كفلتني يتيماً وربيتني صغيراً، ونصرتني كبيراً فجزاك الله عني خيراً، احملوه))، فحمله الملأ من قريش وقومه ودفنوه.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج في جنازة أبي طالب معارضاً لها وهو يقول: ((وصلتك رحم)).

وكان أبو طالب من المؤمنين بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما كان يكتم ذلك ليتمكن من الدفاع والمحاماة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بحث في إسلام أبي طالب

ولما كان كثير من المؤرخين وأهل السير عندما يذكرون أبا طالب يوردون الشبه الباطلة، والأقوال العاطلة في أنه مات مشركاً كافراً، نعارضهم بنقيض قصدهم، ونورد في هذا الموضع الأدلة الصحيحة، الراجحة الصريحة التي تدل على إيمانه وإسلامه، وفاء له بالحق الواجب، ودفاعاً عن الحق بالصدق لرد قول الناصب، ونذكر منها ما يدل على ما سواه:

وسنورد في هذا الموضع مما رووه ما تقر به عين الناظر، وينشرح به الخاطر، ويزول معه الشك والريب، وإليك شذوراً من ذلك:

الحديث الأول: أخرجه محمد بن إسحاق، عن العباس بن عبد الله بن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس قال: لما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا طالب في مرضه

قال له يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أستحل بها لك الشفاعة يوم القيامة، قال يا ابن أخي والله لولا أن تكون سبة علي وعلى أهلي من بعدي يرون أني قلتها جزعاً عند الموت لقلتها لا أقولها إلا لأسرك بها، فلما ثقل أبو طالب رؤي يحرك شفتيه، فأصغى إليه العباس فسمع قوله فرفع رأسه عنه، فقال: يا ابن أخي والله لقد قال الكلمة التي أمرته أن يقولها.

الحديث الثاني: ما أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/١٢٣) قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال حدثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام، قال: أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بموت أبي طالب فبكى، ثم قال: ((اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه)).

وأخرجه أيضاً ابن عساكر (٦٦/٣٣٦)، وابن أبي الحديد في شرح النهج (١٤/٢٦٤)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٤٨).

الحديث الثالث: ما أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٦/٣٧) في فصل من اسمه معاوية، وابن عدي في الكامل(١/٢٦٠) رقم(٩٣) ترجمة إبراهيم بن عبد الرحمن الخوارزمي، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٤٨)، وابن كثير في تاريخه (٣/١٢٥) ناقلاً عن البيهقي، وابن عساكر في تاريخه، كلهم من طريق عطاء، قال: سمعت ابن عباس يقول: عارض النبي صلى الله عليه وآله وسلم جنازة أبي طالب فقال ((وصلتك رحم، جزاك الله خيراً يا عم)).

وعبد الرزاق في مصنفه (٦/٣٨) رقم (٩٩٣٠)، من طريق محمد بن راشد، قال: سمعت مكحولاً يقول: تبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم جنازة أبي طالب يمشي بعراضها، ولم يصل عليه، وهو يقول ((وصلتك رحم، وجزيت خيراً)) قال: ولم يقف على قبره.

قلت: أما عدم الصلاة عليه فلعدم مشروعية صلاة الجنازة، فلو كانت قد شرعت لصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خديجة، ولم يرو ذلك.

ورواه من أهل البيت السيد أبو العباس الحسني عليه السلام في المصابيح (١٨٤) بإسناده عن أبي اليمان.

الحديث الرابع: ما روى ابن سعد في الطبقات (١/١٢٤،١٢٥)، وابن عساكر في تاريخ

دمشق (٦٦/٣٣٦)، من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث، قال: قال العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله: أترجو لأبي طالب؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((كل الخير أرجو من ربي)).

ورجال السند كلهم موثقون، وقد أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ كل التي هي من ألفاظ العموم، ثم الخير المحلى بالألف واللام، ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (١٤/٢٧٠).

الحديث الخامس: ما رواه السيد الإمام أبو العباس الحسني عليه السلام في المصابيح (١٨٤) بسنده عن جعفر بن محمد عن آبائه، عن علي عليه السلام، قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد، إن الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول ((إني حرمت النار على صلب أنزلك، وبطن حملك، وحجر كفلك))، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((يا جبريل بين لي منهم؟)).

قال: أما الصلب الذي أنزلك فعبد الله بن عبد المطلب، وأما البطن الذي حملك، فآمنة بنت وهب، وأما الحجر الذي كفلك فعبد مناف بن عبد المطلب)) وهو أبو طالب.

ورواه السيوطي في التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في الجنة (٢٥) بزيادة، وفاطمة بنت أسد، في آخره.

ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (١٤/١٦٣) عن علي عليه السلام بلفظ: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((قال لي جبرائيل: إن الله مشفعك في ستة: بطن حملتك آمنة بنت وهب، و صلب أنزلك عبد الله بن عبد المطلب، و حجر كفلك أبي طالب، و بيت آواك عبد المطلب، و أخ كان لك في الجاهلية))، قيل يا رسول الله: و ما كان فعله؟ قال ((كان سخياً، يطعم الطعام، ويجود بالنوال، وثدي أرضعتك حليمة بنت أبي ذؤيب)).

الحديث السادس: ما رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٦/٣٣٦) بسنده عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي وأخ لي كان في الجاهلية))، ورواه أيضاً الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الإثنينية، بسنده عن ابن عمر.

ورواه المحب الطبري في ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (صـ٧)، وأورده في تاريخ اليعقوبي (١/٣٥٥).

الحديث السابع: ما رواه السيد أبو العباس الحسني عليه السلام في المصابيح (١٧٠) بسنده عن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال (ما عبد أبي، ولا جدي عبد المطلب، ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قط)، قيل: وما كانوا يعبدون؟.

قال: (كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم الخليل متمسكين به).

الحديث الثامن: ما رواه السيد أبو العباس الحسني في المصابيح أيضاً (صـ ١٨٥) بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: لما مات أبو طالب أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغسله وكفنه، ثم كشف عن وجهه ثم مسح بيده اليمنى على جبهته اليمنى ثلاث مرات، ثم مسح بيده اليسرى على جبهته اليسرى ثلاث مرات، ثم قال ((كفلتني يتيماً، وربيتني صغيراً، ونصرتني كبيراً، فجزاك الله عني خيراً، احملوه))، فحمله الملأ من قريش وقومه، فدفنوه.

وأورده اليعقوبي في تاريخه (١/٣٥٥) زاد في آخره: ومشى بين يدي سريره، وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم وجزيت خيراً.

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج (١٤/٢٧٠): وقد جاءت الرواية أن أبا طالب لما مات جاء علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فآذنه بموته، فتوجع عظيماً، وحزن شديداً، ثم قال له: امض فتول غسله، فإذا رفعته على سريره فأعلمني، ففعل، فاعترضه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هو محمول على رءوس الرجال فقال ((وصلتك رحم يا عم و جزيت خيراً، فلقد ربيت و كفلت صغيراً، و نصرت و آزرت كبيراً))، ثم تبعه إلى حفرته فوقف عليه، فقال ((أما والله لأستغفرن لك ولأشفعن فيك شفاعة يعجب لها الثقلان)).

الحديث التاسع: ما رواه ابن عساكر (٦٦/٣٢٦) قال: أخبرنا أبو غالب بن البنا، أنا أبو محمد الجوهري، أنا أبو حفص عمر بن علي بن يونس البغدادي القطان، أنا أبو عروبة الحسين بن محمد بن مودود الحراني، ثنا محمد بن معمر، نا بهلول بن مورق، نا موسى بن عبيدة، أخبرني عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة

إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) شيخاً أعمى يوم فتح مكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ألا تركت الشيخ حتى نأتيه)) قال: أردت يا رسول الله أن يأجره الله، أما والذي بعثك بالحق ما كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرة عينيك.

وأخبرنا أبو عبد الله الفزاري، ثنا أبو محمد السيدي، وأبو محمد بن أبي القاسم القاري، وفاطمة بنت علي بن الحسين، قالوا: أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي، أنا أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال، أنا عبد الله بن أحمد بن موسى عبدان، نا زيد بن الحريش، نا أبو همام عن موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة يقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيخ أبله يوم الفتح فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ألا تركت الشيخ حتى نأتيه)) قال أردت يا رسول الله أن يأجره الله، أما والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي التمس ذلك قرة عينك، قال ((صدقت)).

ومن طريق آخر بسنده عن إبراهيم بن محمد، عن قتيبة بن سعيد، عن ليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد: أن أبا بكر جاء بأبي قحافة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((فلولا تركت الشيخ حتى كنت آتيه)) فقال أبو بكر: والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه، وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك.

ورواه في الإصابة (١٦٥/٧) عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة وهو شيخ قد عمي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ألا تركت الشيخ حتى آتيه))، قال: أردت أن يأجره الله، والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي ألتمس بذلك قرة عينك.

ولكنه على عادته حاول تضعيفه ومعارضته فلم يأت بطائل، بل عارضه بما هو معارض بهذا، وبخبر بينا ضعفه سابقاً، ورواه ابن أبي الحديد في شرحه (٢٦٥/١٤).

الحديث العاشر: ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج (٢٦٦/١٤) عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ((إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين)).

الحديث الحادي عشر: ما رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج (٢٦٦/١٤) عن علي عليه السلام أنه قال (ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله من نفسه الرضا).

الحديث الثاني عشر: ما رواه الحاكم في المستدرك (٦٦٧/٣) رقم (٦٤٦٤و٦٤٦٥) من طريقين، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ((يا أبا يزيد إني أحبك حبين، حباً لقرابتك مني، وحباً لما كنت أعلم من حب عمي إياك)).

ورواه في مجمع الزوائد (٢٧٣/٦) وقال: رواه الطبراني مرسلاً، ورجاله ثقات، ورواه ابن عبد البر في الإستيعاب (١٠٧٨/٣)، ورواه الطبراني في الكبير (١٩١/١٧) (٥١٠)، وذكره ابن أبي الحديد (٢٦٥/١٤.

فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب عقيلاً لحب أبي طالب له، دل ذلك على أن أبا طالب كان مسلماً، وإلا لما جعل محبته لعقيل سبباً لمحبة النبي إياه، إذ لا معنى لمحبة من أحبه الكافر، لأن القرآن يوجب معاداة الكفار ومباينتهم، كما قال تعالى **{لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** (المجادلة:٢٢)، وغيرها من الآيات.

الحديث الثالث عشر: ما رواه ابن حجر في الإصابة (٢٣٧/٧) من طريق إسحاق بن عيسى الهاشمي عن أبيه، سمعت المهاجر مولى بني نفيل يقول: سمعت أبا رافع يقول: سمعت أبا طالب يقول: سمعت ابن أخي محمد بن عبد الله يقول ((إن ربه بعثه بصلة الأرحام، وأن يعبد الله وحده لا يعبد معه غيره))، ومحمد الصدوق الأمين.

ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج (٢٦٥/١٤).

فهذه بعض الأخبار التي تدل على إسلام أبي طالب وتنفي عنه الكفر الذي أضافه إليه النواصب، وقد وضعت في ذلك رسالة مستقلة اسمها (البرهان اللائح في إسلام شيخ الأباطح)، وأبطلنا فيها جميع شبههم الواهية التي يتناقلونها، فمن أراد الزيادة، فليرجع إليها موفقاً.

٢- وفاة خديجة رضي الله عنها

وبعد وفاة أبي طالب بنحو شهرين أو بثلاثة أيام – على اختلاف القولين– ودع رفيقة دربه، وشريكة حياته، وأنسه في أتراحه وأحزانه، خديجة الكبرى بنت خويلد، فازداد الأمر شدة، والبلاء حدة، والواقع مرارة، والوضع خطورة.

ولما دخل رسول الله على خديجة بنت خويلد وهي في مرضها الذي توفيت فيه، فقال لها: ((بالكره مني ما أراه منك يا خديجة، وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً، أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون))، فقالت: بالرفاء والبنين.

وكانت وفاة خديجة رضي الله عنها، في شهر رمضان من السنة العاشرة من البعثة، ولها خمس وستون سنة على أشهر الأقوال، ورسول الله صلى الله عليه آله وسلم في الخمسين من عمره.

فلما وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال فترة وجيزة، وأيام معدودة، اهتزت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واشتد الأمر عليه، وتفاقم الخطب، وقويت عليه قريش، واستهانوا به، ثم لم تزل تتوالى عليه المصائب من قومه، حيث تجرأوا عليه وكاشفوه بالنكال والأذى بعد موت أبي طالب.

فإن قريشاً نالت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً، ودخل بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه فاطمة عليها السلام فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكى، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لها: ((لا تبكي يابنية، فإن الله مانع أباك))، وتماماً كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب))، **ولأجل توالي هذه الأحزان في ذلك العام سمي بعام الحزن.**

المرحلة الثالثة: دعوة الإسلام خارج مكة

بعد أن أيس النبي صلى الله عليه وآله وسلم من إجابة أهل مكة له، وبعد أن مات ناصره أبو طالب، وماتت مؤانسته ومذهبة أحزانه زوجته خديجة، لم يستطع النبي صلى الله عليه وآله وسلم البقاء بمكة فأذن الله تعالى له بنشر الدعوة النبوية خارج مكة، ونلخص هذه المرحلة في أربعة مسالك:

الأول: أحداث الدعوة في الطائف.

الثاني: أحداث العودة من الطائف إلى مكة.

الثالث: إرهاصات مقدمات الهجرة.

الرابع: قريش تحاول إفشال الهجرة.

المسلك الأول: أحداث الدعوة في الطائف

فيمكن تلخيصها باختصار في الأحداث التالية:

١- التوجه إلى الطائف ودعوتهم إلى الإسلام

فكان أول المناطق التي توجه إليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي الطائف.

ففي شوال سنة عشر من البعثة خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى الطائف، وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً، سارها ماشياً على قدميه ذهاباً ورجوعاً، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تستجب له واحدة منها.

فلما انتهي إلى الطائف قصد ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصرة الإسلام، فقال أحدهم: هو يمرط -أي يمزق- ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك.

وقال الآخر: أما وجد الله أحداً غيرك.

وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى أن أكلمك.

فقام عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال لهم ((إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني)).

وأقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويشتمونه، حتى اجتمع عليه الناس ووقفوا له سماطين -أي صفين- وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء.

وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه، وأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حبلة من عنب فجلس تحت ظلها إلى جدار، فلما جلس إليه واطمأن، تحركت شفتاه بالدعاء إلى الله والتضرع،

وقد امتلأ قلبه حزناً وأسفاً أنه لم يؤمن به ولم يصدقه أحد، ولم يكفهم ذلك حتى تعرضوا له بأنواع الأذى، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)).

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له: عداس، وقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب، واذهب به إلى هذا الرجل، فلما وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مد يده إليه قائلاً: ((باسم الله)) ثم أكل.

فقال عداس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟))، قال: أنا نصراني من أهل نينوى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((من قرية الرجل الصالح يونس بن متى)).

قال له: وما يدريك ما يونس ابن متى؟.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي)) ، فأكب عداس على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويديه ورجليه يقبلها.

فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك.

فلما جاء عداس قالا له: ويحك ما هذا؟

قال: يا سيدى، ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبى.

قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

٢- العودة إلى مكة وما حدث في الطريق

ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سالكاً الطريق إلى مكة بعد خروجه من البستان كئيباً محزوناً كسير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل ومعه ملك

الجبال، يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة.

كما روي عن عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب – وهو المسمى بقرن المنازل – فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: ((يا محمد، ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين))، والأخشبان: هما جبلان بمكة: أبو قبيس والذي يقابله، وهو قعيقعان، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئاً)).

وفي هذا الجواب تتجلى شخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم الفذة، وما كان عليه من الخلق العظيم والرحمة والرأفة حتى بأعدائه الذين آذوه وطردوه.

٣- إسلام الجن في وادي نخلة

ولما بلغ وادي نخلة، أقام فيه أياماً، وفي خلال إقامته صلى الله عليه وآله وسلم هناك بعث الله إليه نفراً من الجن يستمعون القرآن، كما قال الله تعالى: {وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم}.

وكما يقول تعالى في سورة الجن: {قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً}.

المسلك الثاني: أحداث العودة إلى مكة

وتتلخص باختصار أيضاً فيما يلي:

١- دخول مكة وموقف كريم للمطعم بن عدي

وبعد ذلك توجه إلى مكة، لعرض الإسلام عليهم مرة أخرى، وإبلاغ رسالة الله الخالدة بنشاط جديد، فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه))، فسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا دنا من مكة مكث بحراء، وبعث رجلاً من خزاعة إلى الأخنس بن شريق ليجيره، فقال: أنا حليف، والحليف لا يجير.

فبعث إلى سهيل بن عمرو، فقال سهيل: إن بني عامر لا تجير على بني كعب.

فبعث إلى المطعم بن عدي، فقال المطعم: نعم، ثم تسلح ودعا بنيه وقومه، فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمداً، ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن ادخل، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش، إني قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم.

فقال له أبو جهل: أمجير أنت أم متابع — أي مسلم –؟.

قال المطعم: بل مجير. قال أبو جهل: قد أجرنا من أجرت.

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الركن استلمه، وطاف بالبيت، وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته.

ولم ينس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمطعم هذا الصنيع، فقال في أسارى بدر: ((لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له)).

وكانت عودة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة في شهر ذي القعدة سنة عشر من البعثة.

٢- عرض الإسلام على القبائل والأفراد

لما عاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة بدأ بخطة عمل جديدة في الدعوة إلى الله تعالى، فبدأ بعرض الإسلام على القبائل والأفراد.

ولاقتراب موسم الحج كان الناس يأتون إلى مكة من كل فج عميق لأداء فريضة الحج، فانتهز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الفرصة، فأتاهم قبيلة قبيلة يعرض عليهم الإسلام ويدعوهم إليه، ويطلب منهم أن يؤووه وينصروه حتى يبلغ ما بعثه الله به.

٣- القبائل التي عرض عليها الإسلام

وكان من القبائل الذين أتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودعاهم إلى الإسلام، وعرض نفسه عليهم:

بنو عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة، وفزارة، وغسان، ومرة، وحنيفة، وسليم، وعبس، وبنو نصر، وبنو البكاء، وكندة، وكلب، والحارث بن كعب، وعذرة، والحضارمة، فلم يستجب منهم أحد.

ونذكر بعض القبائل التي عرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها الإسلام، وكيف كانت ردودهم، لتكون أنموذجاً لمن غيرها:

١ – بنو كلب: أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بطن منهم يقال لهم: بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى إنه قال لهم: ((يا بني عبد الله، إن الله قد أحسن اسم أبيكم))، فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.

٢ – بنو حنيفة: أتاهم في منازلهم فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه رداً منهم.

٣ – وأتى إلى بني عامر بن صعصعة: فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس: والله، لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال: ((الأمر إلى الله، يضعه حيث يشاء))، فقال له: أفتهدف

نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا، لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه.

ولما رجعت بنو عامر تحدثوا إلى شيخ لهم لم يواف الموسم لكبر سنه، وقالوا له : جاءنا فتى من قريش من بني عبد المطلب يزعم أنه نبي، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا، فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال: يا بني عامر وهل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ والذي نفس فلان بيده ما تقولها إسماعيلي قط، وإنها لحق، فأين رأيكم كان عنكم ؟.

٤- أفراد من المؤمنين من غير أهل مكة

وكما عرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام على القبائل والوفود، عرضه أيضاً على الأفراد والأشخاص، وحصل من بعضهم استجابة وآمن به عدة رجال نذكر منهم:

١- إسلام أبي ذر الغفاري:

وهو جندب بن جنادة، أبو ذر الغفاري، كان من سكان نواحي يثرب، ولما بلغه خبر مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم سارع إلى الإجابة، وإليك قصة إسلامه:

قال أبو ذر: كنت رجلاً من غفار، فبلغنا أن رجلاً قد خرج بمكة يزعم أنه نبي، فقلت لأخي: انطلق إلى هذا الرجل وكلمه، وائتني بخبره، فانطلق فلقيه، ثم رجع، فقلت: ما عندك؟.

فقال: والله، لقد رأيت رجلاً يأمر بالخير، وينهى عن الشر.

فقلت له: لم تشفني من الخبر، فأخذت جراباً وعصا، ثم أقبلت إلى مكة، فجعلت لا أعرفه، وأكره أن أسأل عنه، وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسجد.

قال : فمر بي علي، فقال: كأن الرجل غريب؟ فقلت: نعم.

قال: فانطلق إلى المنزل، فانطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أسأله ولا أخبره.

فلما أصبحت غدوت إلى المسجد لأسأل عنه، وليس أحد يخبرني عنه بشيء.

قال: فمر بي علي، فقال: أما آن للرجل يعرف منزله بعد؟

فقلت: لا، قال: فانطلق معي، فقال: ما أمرك؟ وما أقدمك هذه البلدة؟

فقلت له: إن كتمت علي أخبرتك، قال: فإني أفعل، فقلت له: بلغنا أنه قد خرج هاهنا رجل يزعم أنه نبي الله، فأرسلت أخي يكلمه فرجع ولم يشفني من الخبر، فأردت أن ألقاه.

فقال له: أما إنك قد رشدت، هذا وجهي إليه، ادخل حيث أدخل فإني إن رأيت أحدا أخافه عليك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي، وامض أنت، فمضى ومضيت معه حتى دخل، ودخلت معه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت له: اعرض علي الإسلام، فعرضه، فأسلمت مكاني.

فقال لي: ((يا أبا ذر، اكتم هذا الأمر، وارجع إلى بلدك، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل)).

فقلت: والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم، فجئت إلى المسجد، وقريش فيه، فقلت: يا معشر قريش، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقالوا: قوموا إلى هذا الصابئ، فقاموا، فضربت لأموت، فأدركنى العباس فأكب علي، ثم أقبل عليهم فقال: ويلكم تقتلون رجلاً من غفار؟ ومتجركم وممركم على غفار، فأقلعوا عني.

فلما أن أصبحت الغد، رجعت، فقلت مثل ما قلت بالأمس، فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ، فصنع بي ما صنع بالأمس، فأدركني العباس، فأكب علي وقال مثل مقالته بالأمس.

٢- إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي وآيته:

كان رجلاً شريفاً، شاعراً لبيباً، وكان رئيس قبيلة دوس، قدم مكة في عام ١١ من البعثة، فاستقبله أهلها قبل وصوله إليها، وبذلوا له أجل تحية وتقدير، وقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئاً.

قال الطفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً -أي قطناً-؛ خوفاً من أن يبلغني شيء من قوله، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا هو قائم يصلي عند الكعبة، فقمت قريباً منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسى: واثكل أمي، والله إني رجل لبيب شاعر؛ ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، فمكثت حتى انصرف إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فعرضت عليه قصة مقدمي،

وتخويف الناس إياي، وسد الأذن بالكرسف، ثم سماع بعض كلامه، وقلت له: اعرض علي أمرك، فعرض علي الإسلام، وتلى علي القرآن، فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت له: إني مطاع في قومي، وراجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية، فدعا.

وكانت آيته أنه لما دنا من قومه جعل الله نوراً في وجهه مثل المصباح، فقال: اللهم في غير وجهي، أخشى أن يقولوا: هذه مُثلة، فتحول النور إلى سوطه، فدعا أباه وزوجته إلى الإسلام فأسلما، وأبطأ عليه قومه في الإسلام، لكن لم يزل بهم حتى هاجر بعد الخندق، ومعه سبعون أو ثمانون بيتاً من قومه، وقد أبلى في الإسلام بلاءً حسناً، وقتل شهيداً يوم اليمامة.

٣- إسلام ضماد الأزدي:

كان من أزد شنوءة من اليمن، قدم مكة فسمع سفهاءها يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أني أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، فلقيه، فقال: يا محمد، إني أرقي من هذا الريح، فهل لك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد)).

فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه.

٤- إسلام ستة نفر من أهل يثرب

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يخرج إلى القبائل في ظلام الليل، بسبب ما كان يلقى من أهل مكة من التكذيب والصد عن سبيل الله حتى لا يحولوا بينه وبينهم أحد.

وفي موسم الحج من سنة ١١ من النبوة خرج ليلة ومعه علي عليه السلام، فمر على منازل ذهل وشيبان بن ثعلبة، وكلمهم في الإسلام غير أنهم توقفوا في قبول الإسلام.

ثم مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعقبة منى، فسمع أصوات رجال يتكلمون

فعمدهم حتى لحقهم، وكانوا ستة نفر من أهل يثرب كلهم من الخزرج، وهم:

١- أسعد بن زرارة.

٢- عوف بن الحارث بن رفاعة ابن عفراء.

٣- رافع بن مالك بن العجلان.

٤- قطبة بن عامر بن حديدة.

٥- عقبة بن عامر بن نابي.

٦- جابر بن عبد الله بن رئاب.

وكان أهل يثرب يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة، أن نبياً من الأنبياء يبعث في هذا الزمان سيخرج، فنتبعه، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما لحقهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم: ((من أنتم؟)).

قالوا: نفر من الخزرج.

قال: ((من موالي اليهود؟)) أي حلفائهم. قالوا: نعم.

قال: ((أفلا تجلسون أكلمكم؟)).

قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله، وشرح لهم الإسلام، وبين لهم حقيقة دعوته، وتلا عليهم القرآن. فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله يا قوم، إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه اليهود، فأسرعوا إلى إجابة دعوته، وأسلموا.

وقالوا: إنا قد تركنا قومنا بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

ولما رجع هؤلاء إلى المدينة حملوا إليها رسالة الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٥- حادثة الإسراء والمعراج

وفي خلال دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يمر به من الصعوبات، وقعت

حادثة الإسراء والمعراج، وكانت ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٠ من النبوة، على اختلاف في تحديد زمنه.

وقد اشتملت هذه الحادثة على رحلتين عظيمتين، وآيتين كبيرتين، ومعجزتين خالدتين، كل واحدة مستقلة بالإعجاز، وفيها آيات ودلائل واضحة لأهل العقول.

فأما الرحلة الأولى: فهي رحلة أرضية من مكة المكرمة من حجر إسماعيل من الكعبة المشرفة، إلى أرض فلسطين إلى بيت المقدس القبلة الأولى، وكان ذلك بعد العشاء، وقطع النبي تلك المسافة الطويلة الهائلة ذهاباً وإياباً في بعض ليلة، وهي مسافة لا تقطع في تلك المدة والفترة إلا في شهر ذهاباً وآخر إياباً، وقد تحدث الله عنها في سورة سماها باسم هذه الحادثة وهي سورة الإسراء، فقال تعالى: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إلى آخر الآيات}.

لتكون هذه الحادثة دليلاً كبيراً وآية واضحة على الرابطة المتصلة القوية بين دين النبي الخاتم ودين من سبقه من الأنبياء السابقين، وأنه دين من عند الله، أرسل به أنبياءه ورسله لهداية البشر.

وأما الرحلة الثاني: فهي رحلة سماوية علوية، من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى، واختراقاً للسموات السبع العليا، مروراً بالأنبياء وتسليماً عليهم، وتعريجاً على الملائكة ومصافحة لهم، ومشاهدة لكثير من الآيات، واطلاعاً على أشياء كثيرة من المغيبات المخفيات، حتى وصل سدرة المنتهى، وبلغ الدرجة والمكانة التي لم يصل إليها أحد قبله من الأنبياء صلوات الله عليه وآله، وهذه الرحلة تسمى المعراج.

ولقد كان الإعراج برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بروحه وجسده جميعاً، وليس معراجاً روحياً فقط، إذ لو كان إنما عرج بروحه فحسب، لكن ذلك مثل الرؤيا التي يراها النائم فقط، ولم يكن فيه الإعجاز العظيم على الحد الذي أخبر الله به، ولم يكن فيه الإكرام والتعظيم والتشريف على المستوى الذي أراده الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الآية العظيمة تحدث عنها القرآن في سورة النجم، في قوله تعالى {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا

وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}.

وهذا الإعراج العلوي، يبين الإتصال الوثيق والإتفاق الأكيد في الإيمان والتوحيد والإخلاص لله الواحد المجيد فيما بين أهل السماء وأهل الأرض، وأن دين الله واحد فيهما، وأن الأنبياء والمرسلين يتلقون أوامرهم وتكاليفهم، من حيث يتلقى الملائكة أوامرهم وتكاليفهم.

وقد كان في حادثتي الإسراء والمعراج تشريعات إسلامية، تؤذن بأن لتلك التشريعات خصوصية هامة، ومزيد عناية إلاهية، حيث كان تشريعها سماوياً علوياً، كي يهتم المسلمون بها، ويحرصون عليها، وتلك التشريعات منها ما هو ترسيخ لمبادئ وقواعد الإسلام، ومنها ما هو من تكاليف الأحكام، ومنها ما هو داع ومرغب في صالح الأعمال، ومنها ما هو زاجر وواعظ عن قبيح الأفعال.

ورأى عيراً لأهل مكة في الإياب والذهاب، وقد دلهم على بعير ندّ لهم، وشرب ماءهم من إناء مغطىً وهم نائمون، ثم ترك الإناء مغطى، وقد صار ذلك دليلاً على صدق دعواه في صباح ليلة الإسراء.

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قومه أخبرهم بما أراه الله عز وجل من آياته الكبرى، فاشتد تكذيبهم له وأذاهم واستهزاءهم وسخريتهم به، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس، فرفعه الله له، حتى عاينه، وأخبرهم بما فيه السواري والأبواب وغيرها.

وأخبرهم عن عيرهم في مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها، وأخبرهم عن البعير الذي يقدمها، وكان الأمر كما قال، فلم يزدهم ذلك إلا نفوراً، وأبى الظالمون إلا كفوراً.

وأحداثها وما فيها يطول بنا الكلام حوله، وقد أودعت أكثر التفصيلات في رسالة مستقلة اسمها (مطالع الأبراج في حادثة الإسراء والمعراج).

المسلك الثالث: إرهاصات ومقدمات الهجرة

وهذه الإرهاصات والمقدمات تتلخص في الآتي:

١- بيعة العقبة الأولى

قد تقدم أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا في موسم الحج سنة ١١ من البعثة، وواعدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإبلاغ رسالته في قومهم.

فلما جاء موسم الحج الثاني سنة ١٢ من البعثة، قدم اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد التقوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العام السابق، والسادس الذي لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رئاب، وسبعة غيرهم، وهم:

١- معاذ بن الحارث، ابن عفراء من بني النجار.

٢- ذكوان بن عبد القيس من بني زريق.

٣- عبادة بن الصامت من بني غنم.

٤- يزيد بن ثعلبة من حلفاء بني غنم.

٥- العباس بن عبادة بن نضلة من بني سالم.

٦- أبو الهيثم بن التيهان من بني عبد الأشهل.

٧- عويم بن ساعدة من بني عمرو بن عوف.

فالخمسة الأولون من الخزرج، والأخيران من الأوس.

فالتقى هؤلاء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند العقبة بمنى فبايعوه، كما روي عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((تعالوا بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا، فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله، فأمره إلى الله؛ إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه))، قال: فبايعناه على ذلك.

٢- مبعوث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة

وبعد أن تمت البيعة وانتهى الموسم بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع هؤلاء المبايعين مصعب بن عمير العبدرى رضي الله عنه، وهو أول سفير في يثرب؛ ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام، ويفقههم في الدين، وليقوم بنشر الإسلام.

فلما وصل مصعب بن عمير إلى يثرب نزل على أسعد بن زرارة، وأخذا يبثان الإسلام في أهل يثرب بجد وثبات، وإخلاص وحماس، وكان مصعب يعرف بالمقرئ.

وأقام مصعب في بيت أسعد بن زرارة يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون.

ثم عاد مصعب بن عمير إلى مكة قبل موسم الحج يحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشائر النجاح، ويخبره خبر قبائل يثرب، وما فيها من مواهب الخير، وما لها من قوة ومنعة.

٣- بيعة العقبة الثانية

وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من البعثة، جاء إلى مكة لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفساً من المسلمين من أهل يثرب، كانوا مع حجاج قومهم من المشركين، وقد كانوا أزمعوا على أن يذهبوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معهم إلى المدينة؟

فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم مراسلات سرية اتفقوا خلالها على أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى، وأن يكون الاجتماع في ظلام الليل بسرية تامة.

فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكان الإجتماع وقد سبقوه إليه، ومعه عمه العباس، وأمير المؤمنين علي عليه السلام وأبو بكر، فجعل علياً على مدخل الشعب من جهة، وأبو بكر من الجهة الآخرى، وفي ذلك الإجتماع التاريخي العظيم دار بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما رواه كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه حيث قال: خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعقبة من أوسط أيام

التشريق، فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر، سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا– فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعوناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً.

قال كعب: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، نتسلل تسلل القطا، مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، وامرأتان من نسائنا؛ نسيبة بنت كعب – أم عمارة – من بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو – أم منيع – من بني سلمة.

فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى جاءنا، ومعه عمه العباس بن عبد المطلب – وهو يومئذ على دين قومه – إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، وكان أول متكلم.

فقال: يا معشر الخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الإنحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.

قال كعب: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

قال كعب: فتكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: ((أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نسائكم وأبناءكم)).

فأخذ البراء ابن معرور بيده ثم قال : نعم، والذي بعثك بالحق نبياص، لنمنعنك مما نمنع أزرنا منه، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة، ورثناها كابراً عن كابر.

قال كعب: فاعترض القول – والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – أبو الهيثم بن التيهان، فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها – يعنى اليهود – فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: ((بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم)).

وفي تلك الأثناء وقبيل الشروع في البيعة، أراد بعض الأنصار أن يتأكدوا من بعضهم الآخر في مدى معرفتهم لخطورة الموقف، ولزومية المسؤلية، وتحتم الوفاء والتضحية.

فقال العباس بن عبادة بن نضلة: هل تدورن علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم.

قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس – فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((الجنة)).

قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه.

فلما أرادوا الدخول في البيعة أخذ بيده أسعد بن زرارة – وهو أصغر السبعين – فقال: رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه، وأجركم على الله، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو أعذر لكم عند الله.

فقالوا: يا أسعد، أمط عنا يدك، فوالله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقيلها.

فعند ذلك أخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيعة.

وكانت شروط البيعة كما رواه جابر بن عبد الله قال: قلنا: يا رسول الله، علام نبايعك؟.

قال: ((على السمع والطاعة في النشاط والكسل.

وعلى النفقة في العسر واليسر.

وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم.

وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة).

قال جابر: فقمنا إليه رجلاً رجلاً فأخذ علينا البيعة، يعطينا بذلك الجنة.

وأما بيعة المرأتين اللتين شهدتا الوقعة فكانت بالقول، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما صافح امرأة أجنبية قط.

٤- *اختيار النقباء*

وبعد أن تمت البيعة طلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم أن يختاروا منهم اثني عشر نقيباً، يكونون كفلاء على قومهم، ويتحملون المسئولية في تنفيذ البيعة، فقال للقوم: أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم.

فتم اختيار تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس:

فكان النقباء من الخزرج هم:

١- أسعد بن زرارة بن عدس.

٢- سعد بن الربيع بن عمرو.

٣- عبد الله بن رواحة بن ثعلبة.

٤- رافع بن مالك بن العجلان.

٥- البراء بن معرور بن صخر.

٦- عبد الله بن عمرو بن حرام.

٧- عبادة بن الصامت بن قيس.

٨ - سعد بن عبادة بن دليم.

٩- المنذر بن عمرو بن خنيس.

والنقباء من الأوس:

١- أسيد بن حضير بن سماك.

٢- سعد بن خيثمة بن الحارث.

٣. رفاعة بن عبد المنذر بن زبير.

ثم أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم ميثاقاً آخر لأنهم أصبحوا مسئولين، فقال لهم: ((أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي –أي المسلمين منهم –))، قالوا: نعم.

المسلك الرابع: قريش تحاول إفشال الهجرة

كان من أكبر الفوائد من بيعة العقبة الثانية هو تأسيس وطن يأوي إليه المسلمون، ويأمنوا بدينهم وأنفسهم فيه، ويهاجرون إليه، فأذن الله تعالى بالهجرة إليه، فبدأ المسلمون بالتجهز للهجرة، وأخذ المشركون يحولون بينهم وبين خروجهم، ويحاولون منعهم من ذلك.

ونلخص محاولات قريش في الآتي:

١- شيطان يكتشف البيعة

رغم السرية التامة، والتكتم الشديد، فإنهم ما إن أتموا عقد البيعة، وأبرموا الاتفاق، وهم في اللحظات الأخيرة وقد أوشكوا على التفرق، حتى اكتشفهم أحد الشياطين؛ حيث قام على مرتفع من الأرض، وصاح بأنفذ صوت سمع: يا أهل الجباجب – أي المنازل –. هل لكم في مذمم والصباة معه؟، قد اجتمعوا على حربكم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((هذا أزب العقبة، أما والله يا عدو الله لأتفرغن لك))، ثم أمرهم أن ينفضوا إلى رحالهم.

٢- استعداد الأنصار لضرب قريش

وما هو إلا أن سمع أولئك السبعون صوت الشيطان، حتى أثبتوا بداية الوفاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال العباس بن عبادة بن نضلة: والذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم))، فرجعوا وناموا حتى أصبحوا.

فلما أصبحوا توجه وفد كبير من زعماء مكة وأكابر مجرميها إلى أهل يثرب؛ وقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حيٍّ من العرب أبغض إلينا من أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم.

ولم يكن المشركون من الخزرج يعرفون شيئاً عن ذلك؛ فقاموا يحلفون بالله: ما كان من شيء

وما علمناه، حتى أتوا عبد الله بن أبي بن سلول، فجعل يقول: هذا باطل، وما كان هذا، وما كان قومي ليفتاتوا علي بمثل هذا، ولو كنت بيثرب ما صنع قومي هذا حتى يؤامروني.

فعاد وفد مكة وهم على يقين من كذب الخبر، ولما نفر الحجيج إلى بلدانهم، تأكد لديهم صحة الخبر، وأن البيعة قد تمت، فسارع فرسانهم بمطاردة أهل يثرب، ولكن بعد فوات الأوان، ولكنهم تمكنوا من إلقاء القبض على سعد بن عبادة، فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله، وجعلوا يضربونه ويجرونه ويجرون شعره حتى أدخلوه مكة، فجاء المطعم بن عدي والحارث بن حرب؛ وكان سعد يجير لهما قوافلهما المارة بالمدينة، فهَمَّ الأنصار حين فقدوه أن يكروا إليه، فإذا هو قد طلع عليهم.

٣- اجتماع دار الندوة

شعر المشركون بتفاقم الخطر الذي كان يهدد كيانهم، فصاروا يبحثون عن أنجح الوسائل لدفع هذا الخطر الذي سببه الوحيد هو حامل لواء دعوة الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي يوم الخميس ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤ من البعثة، بعد شهرين ونصف تقريباً من بيعة العقبة الكبرى، عقد المشركون اجتماعاً طارئاً في دار الندوة بمكة في أوائل النهار، ليفكروا في خطة حاسمة، فكان أخطر اجتماع في تاريخ الإسلام، حيث كانت نتيجة الإجتماع هي إرادة القضاء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد حضر في ذلك الاجتماع الخطير من شيطاطين القبائل:

أبو جهل بن هشام، عن قبيلة بني مخزوم.

جبير بن مطعم، وطعيمة بن عدى، والحارث بن عامر، عن بني نوفل بن عبد مناف.

شيبة وعتبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب، عن بني عبد شمس بن عبد مناف.

النضر بن الحارث، عن بني عبد الدار.

أبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود، وحكيم بن حزام، عن بني أسد بن عبد العزى.

نبيه ومنبه ابنا الحجاج، عن بني سهم.

أمية بن خلف، عن بني جمح.

ولما جاءوا إلى دار الندوة حسب الميعاد، اعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، فوقف على الباب، فقالوا: من الشيخ ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى ألا يعدمكم منه رأياً ونصحاً. قالوا : أجل، فادخل، فدخل معهم.

وبعد أن تكاملوا بدأوا بالمشاورات:

فقال أبو الأسود: نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا، ولا نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، فقد أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت.

فقال الشيخ النجدى: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب، ثم يسير بهم إليكم، بعد أن يتابعوه، حتى يطأكم بهم في بلادكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه رأياً غير هذا.

قال أبو البخترى: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أمثاله من الشعراء الذين كانوا قبله ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم.

قال الشيخ النجدى: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون، ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره.

وقال أبو جهل: والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد.

قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل، فعقلناه لهم.

قال الشيخ النجدى: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره.

وفي أثناء ذلك، وهم يجهزون مقدمات التنفيذ لهذه العملية الخطيرة، إذا بالوحي يكشف مخططاتهم، ويخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتلك المؤامرة، ويأمره بالهجرة، وأن لا يبيت في فراشه الذي كان يبيت فيه كل ليلة.

٤- فدائي يبيت في فراش النبي صلى الله عليه وآله

كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينام في أوائل الليل بعد صلاة العشاء، ويخرج بعد نصف الليل إلى المسجد الحرام، يصلي فيه صلاة الليل، فأمر علياً عليه السلام تلك الليلة أن يضطجع على فراشه، وقال له: ((يا علي اتشح ببردي الحضرمي الأخضر، ونم على فراشي فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله عز وجل)).

وقال له: ((إن قريشاً لن يفقدوني ما داموا يرونك)) فاضطجع على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعلت قريش تطل عليه فإذا رأوه قالوا: هو ذا نائم.

وعن ابن عباس قال: شرى علي عليه السلام نفسه، لبس ثوب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم نام مكانه قال: وكان المشركون يرمون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء أبو بكر وعلي نائم -حسب أنه نبي الله- فقال: يا نبي الله؛ قال: فقال علي: إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدْرِكْه، فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار.

قال: وجعل يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضور قد لف رأسه في الثوب لا يخرجه، حتى إذا أصبح كشف عن رأسه فقالوا: إنك للئيم كان صاحبك نرميه فلا يتضور وأنت تتضور، وقد استنكرنا ذلك.

وأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلهما الحياة، فأوحى الله عز وجل إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه؛ فنزلا، وكان جبريل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، فقال جبريل: بخٍ بخٍ مَنْ مثلك يا ابن أبي طالب يباهى بك الملائكة فأنزل الله على رسوله وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالب: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ}**[البقرة:٢٠٧]، فلما أصبحوا ورأوا علياً قالوا: لو خرج محمد لخرج بعلي.

وإنما خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب بمكة لما أراد الهجرة، لقضاء ديونه، ورد الودائع التي كانت عنده.

٥- قريش تحاصر منزل رسول الله صلى الله عليه وآله

فلما أرخى الليل سدوله، وساد الهدوء، ونام الناس، جاء الذين قد تم تجهيزهم لتنفيذ الخطة المشؤومة، إلى بيته صلى الله عليه وآله وسلم سراً، وشددوا تطويقه، واجتمعوا على بابه ينتظرون خروجه ليثبوا عليه، وهم يظنونه نائماً، وكانوا قد اختاروا لذلك أربعين رجلاً من فرسانهم، منهم أحد عشر رئيساً من أكابر رؤوساء القبائل، وهم:

١- أبو جهل بن هشام.

٢- الحكم بن أبي العاص.

٣- عقبة بن أبي معيط.

٤- النضر بن الحارث.

٥- أمية بن خلف.

٦- زمعة بن الأسود.

٧- طعيمة بن عدى.

٨ - أبو لهب.

٩- أبي بن خلف.

١٠- نبيه بن الحجاج.

١١- أخوه منبه بن الحجاج.

فباتوا منتبهين، وهم في غاية التيقظ والتنبه والحذر، وكانوا على ثقة ويقين جازم من نجاح هذه المؤامرة الدنية، وكان ميعاد تنفيذ تلك المؤامرة بعد منتصف الليل في وقت خروجه صلى الله عليه وآله وسلم من البيت.

ولكن الله غالب على أمره ففي ظل تلك الحراسة المشددة، والتطويق الكامل إذا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغادر البيت، ويخترق صفوفهم، وهو آخذ حفنة من التراب فجعل يذره على رؤوسهم، وقد أعمى الله أبصارهم فلا يرونه، فخرج وهو يتلو قوله تعالى: {وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون}،

فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بئر ميمونة، حتى لحق به أبو بكر ليلاً، ثم لحقا بغار ثور.

وأخذ المشركون المحاصرون يرمون بالحجارة فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عادتهم وهم يظنون أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبيناهم كذلك إذ جاءهم رجل ممن لم يكن معهم، ورآهم ببابه فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمداً، قال: خبتم وخسرتم، قد والله مر بكم، وذرّ على رءوسكم التراب، وانطلق لحاجته.

قالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رءوسهم.

ولكنهم تطلعوا من صير الباب فرأوا علياً عليه السلام نائماً، فقالوا: والله إن هذا لمحمد نائماً، عليه بُرْدُه، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا.

فلما أصبحوا إذا بعلي عليه السلام يقوم عن الفراش، فسقط في أيديهم، وسألوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: لا علم لي به، فضربوا علياً عليه السلام، وسحبوه إلى الكعبة، وحبسوه ساعة، لعلهم يظفرون بخبر.

٦- *الطريق إلى الغار*

وفي تلك الليلة ٢٧ من شهر صفر سنة ١٤ من البعثة، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أبو بكر من مكة على عجل قبل طلوع الفجر، وسلك طريقاً لا تلتفت إليها الأنظار، حيث ترك الطريق الرئيسي المتجه شمالاً، وسلك الطريق المتجه جنوباً جهة اليمن، سار في هذا الطريق نحو خمسة أميال حتى بلغ إلى جبل يعرف بجبل ثور، وهو جبل شامخ، وعر الطريق، صعب المرتقى، ذو أحجار كثيرة، فحفيت قدما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يمشي في الطريق على أطراف قدميه كي يخفى أثره، حتى انتهى إلى غار في قمة الجبل عرف بغار ثور.

واختفيا في الغار ثلاث ليال، ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد.

وكان علي عليه السلام يجهز لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين كان في الغار يأتيه بالطعام والشراب، وخَلَّفَه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليخرج أهله إليه فأخرجهم إليه، وأمره

أن يؤدي عنه أماناتِ ووصايا من كان يوصي إليه، وما كان يؤمن عليه فأدى عنه أمانته.

وقيل: وكان عبد الله بن أبي بكر يبيت عندهما، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة، فلا يسمع أمراً يُكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.

كان يرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في لبن منحتهما، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، وكان عامر بن فهيرة يتبع بغنمه أثر عبد الله بن أبي بكر بعد ذهابه إلى مكة ليعفي عليه.

فلما علمت قريش بخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم جن جنونها، وقررت استخدام جميع الوسائل التي يمكن بها القبض على الرجلين، فوضعت الحراسة المسلحة، والمراقبة الشديدة، على جميع الطرق النافذة من مكة في جميع الجهات، وقررت إعطاء مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة سوداء الحدق لمن يعيدهما إلى قريش حيين أو ميتين، كائناً من كان.

فجدت الفرسان والمشاة وقصاص الأثر في البحث والطلب، وانتشروا في الجبال والوديان، والوهاد والهضاب، لكن دون جدوى وبغير فائدة.

ومن عظيم حماية الله تعالى وحفظه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن المطاردون له وصلوا إلى باب الغار، فلم يجدوا أثراً يدل على وجود أحد بالداخل، بل وجدوا ما يدل على العكس، حيث وجدوا عنكبوتاً قد نسجت خيوطها على باب الغار، وحمامة قد باضت، وأسل الله ريحاً عفت آثار الأقدام، فرجع المطاردون ولم يبق بينه وبينهم إلا خطوات معدودة.

المسلك الخامس: **سلوك الطريق للهجرة وأحداثها**

وبعد المطاردة الحثيثة التي استمرت ثلاثة أيام دون جدوى، هدأت ثائرات قريش، وتوقف البحث والتفتيش، فتهيأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للخروج إلى المدينة.

وكان علي عليه السلام قد استأجر ثلاث رواحل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولأبي بكر ولدليلهما، **ونلخص طريق الهجرة وأحداثها في الأمور التالية:**

١- *الخروج إلى المدينة*

فلما كانت ليلة الاثنين غرة ربيع الأول سنة ١هـ، جاء عبد الله بن أريقط الليثي بالراحلتين، وكانا قد استأجراه ليدلهما على الطريق، وكان خريتاً ماهراً عارفاً بالطريق وكان على دين قريش، وأمناه على ذلك، وسلما إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما.

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر وارتحل معهما عامر بن فهيرة، وأخذ بهم الدليل عبد الله بن أريقط على طريق السواحل.

وأول ما سلك بهم بعد الخروج من الغار أنه أمعن في اتجاه الجنوب نحو اليمن، ثم اتجه غرباً نحو الساحل، حتى إذا وصل إلى طريق لم يألفه الناس، اتجه شمالاً على مقربة من شاطئ البحر الأحمر، وسلك طريقاً لم يكن يسلكه أحد إلا نادراً.

٢- *المواضع التي مر بها النبي صلى الله عليه وآله*

وقد ذكر أصحاب السير المواضع التي مر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الطريق، قال ابن إسحاق: لما خرج بهما الدليل سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان.

ثم سلك بهما على أسفل أمج، ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قديداً، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار.

ثم سلك بهما ثنية المرة، ثم سلك بهما لُقْفَاً، ثم أجاز بهما مدلجة لُقف، ثم استبطن بهما مدلجة مُجاج، ثم سلك بهما مَرجِحَ مُجاج، ثم تبطن بهما مرجح ذي الغضوين، ثم بطن ذي كشر، ثم أخذ بهما على الجداجد، ثم على الأجرد، ثم سلك بهما ذا سلم، ثم على

العبابيد، ثم أجاز بهما الفاجّة، ثم هبط بهما العَرج، ثم سلك بهما ثنية العائر، عن يمين ركوبة، حتى هبط بهما بطن رئم، ثم قدم بهما على قباء.

٣- بعض الأحداث التي وقعت في الطريق

وقد حصل في تلك الرحلة كثير من الأحداث الهامة نذكر منها ما يلي:

١- قصة أم معبد وشاتها

وفي اليوم الثاني أو الثالث مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخيمتي أم معبد الخزاعية، وكان موقعهما بالمشلل من ناحية قديد على بعد نحو ١٣٠ كيلو متراً من مكة، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبي بفناء الخيمة، ثم تطعم وتسقي من مر بها، فسألاها: هل عندها شيء؟.

فقالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، والشاء عازب، وكانت سنة شهباء.

فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: ((ما هذه الشاة يا أم معبد؟)).

قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم.

فقال: ((هل بها من لبن ؟)).

قالت: هي أجهد من ذلك.

فقال: ((أتأذنين لي أن أحلبها؟)).

قالت: نعم بأبي وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فمسح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده ضرعها، وسمى الله ودعا، فتفاجت عليه ودرت، فدعا بإناء لها يربض الرهط، فحلب فيه حتى علته الرغوة، فسقاها، فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب، وحلب فيه ثانياً حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها فارتحلوا.

فما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً يتساوكن هزلاً، فلما رأى اللبن عجب، فقال: من أين لك هذا؟ والشاة عازب، ولا حلوبة في البيت؟

فقالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت، ومن حاله كذا وكذا.

قال: أني والله أراه صاحب قريش الذي تطلبه، صفيه لي يا أم معبد، فوصفته بصفاته

الكريمة وصفاً بديعاً كأن السامع ينظر إليه وهو أمامه، وقد قدمنا ذلك.

فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا، لقد هممت أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.

وسمعوا بمكة صوتاً عالياً، يسمعونه ولا يرون القائل:

جزى الله ربّ الناس خير جزائه ... رفيقين حلاّ خيمتي أم معبدِ

هما نزلاها بالهُدى فاهتَدَتْ به ... فأفلح من أمسى رفيق محمدِ

فيا آل قصي ما زوى الله عنكم ... به من فعالٍ لا يجارى وسؤددِ

ليهن بني كعب مكان فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصدِ

سَلوا أختكم عن شأْنها وإنائها ... فإنكم إن تسألوا الشاةَ تشهد

دعاها بشاةٍ حائل فتحلبت ... عليه صريحاً ضرّة الشاة مزبد

فغادرها رهْناً لديها كَحالب ... ترددها في مصدرٍ ثم موْردِ

فلما سمع ذلك حسان بن ثابت شبَّب يجاوب الهاتف يقول:

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبيهم ... وقدس من يعزى إليه ويغتدي

ترحَّل عن قومٍ فضلت عقولُهم ... وحَل على قومٍ بنور مجددِ

هداهم به بعد الضلالة ربّهم ... وأرشدهم من يتبع الحق يرشدِ

وهل يستوي ضُلال قوم تسفهوا ... عمايتهم هادية كل مهتدي

وقد نزلت منه على أهل يثرب ... فكان هدى حلت عليهم بأسعدِ

نبي يرى مالا يرى الناس كلهم ... ويتلو كتاب الله في كل مسجد

وإن قال في يوم مقالة غائب ... فتصديقها في اليوم أو في ضحى غدِ

ليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصدِ

قالت أسماء بنت أبي بكر: ما درينا أين توجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة فأنشد هذه الأبيات، والناس يتبعونه ويسمعون صوته ولا يرونه حتى خرج من أعلاها.

قالت: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن وجهه إلى المدينة.

عوسجة أم معبد

وعن هند بنت الجون قالت: (نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيمة خالتها أم معبد ومعه أصحابٌ له، وكان من أمره في الشاة ما قد عرفه الناس، فقال في الخيمة هو وأصحابه حتى أبردوا، وكان يوماً قايضاً شديداً حره، فلما قام من رقدته دعا بماءٍ فغسل يديه فأنقاهما، ثم مضمض فاه ومجه إلى عوسجةٍ كانت إلى جانب خيمة خالتها -أي خالة هندٍ وهي أم معبد-.

فلما كان من الغد أصبحنا وقد غلظت العوسجة حتى صارت أعظم دوحةٍ عاديةٍ رأيتها، وشذب الله شوكتها، وساخت عروقها، واخضر ساقها وورقها، ثم أثمرت بعد ذلك وأينعت بثمرٍ أعظم ما يكون من الكمال، في لون الورس المسحوق، ورائحة العنبر، وطعم الشهد، والله ما أكل منها جائعٌ إلا شبع، ولا ظمآنٌ إلا روي، ولا سقيمٌ إلا برئ، ولا أكل من ورقها بعيرٌ ولا ناقةٌ ولا شاةٌ إلا در لبنها ورأينا النماء والبركة في أموالنا منذ نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخصبت بلادنا وأمرعت، فكنا نسمي تلك الشجرة المباركة، وكان من ينتابنا من حولنا من البوادي يستشفون بها، ويتزودون من ورقها، ويحملونها معهم في الأرض القفار، فتقوم لهم مقام الطعام والشراب.

فلم تزل كذلك وعلى ذلك، حتى أصبحنا ذات يومٍ وقد تساقط ثمرها واصفر ورقها، فحزنا لذلك وفزعنا له، فما كان إلا قليلاً حتى جاء نعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا هو قد قبض في ذلك اليوم.

وكانت بعد ذلك اليوم، تثمر دونه في الطعم والعظم والرائحة، وأقامت على ذلك ثلاثين سنةً.

فلما كان ذات يومٍ أصبحنا فإذا بها قد أشوكت من أولها إلى آخرها وذهبت نضارة عيدانها وتساقط جميع ثمرها، فما كان إلا يسيراً حتى وافانا مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ صلوات الله عليه، فما أثمرت بعد ذلك قليلاً ولا كثيراً وانقطع ثمرها.

ولم نزل ومن حولنا نأخذ من ورقها، ونداوي به مرضانا، ونستشفي به من أسقامنا، فأقامت على ذلك مدةً وبرهةً طويلةً، ثم أصبحنا وإذا بها يوماً قد انبعث من ساقها دمٌ عبيطٌ (أي طري) جارٍ، وورقها ذابلٌ يقطر ماءً كماء اللحم فعلمنا أن قد حدث حدثٌ فبتنا فزعين مهمومين نتوقع الداهية، فأتانا بعد ذلك قتل الحسين بن علي عليه السلام، وييبست الشجرة وجفت، وكسرتها الرياح والأمطار بعد ذلك، فذهبت واندرس أصلها).

٢- قصة سراقة بن مالك

قال سراقة: بينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج، إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقة، إني رأيت آنفاً أسودة بالساحل، أراها محمداً وأصحابه.

قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت، فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي، وهي من وراء أكمة، فتحبسها عليّ، وأخذت رمحي، فخرجت به من ظهر البيت، فخططت بزجه الأرض، وخفضت عاليه، حتى أتيت فرسي فركبتها، فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فقمت، فأهويت يدي إلى كنانتي، فاستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها، أضر هم أم لا؟ فخرج الذي أكره، فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات – ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام، فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أنه سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزأني، ولم يسألني إلا أنه قال: ((أخف عنا)) ، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب لي في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ورجع سراقة فوجد الناس في الطلب فجعل يقول: قد استبرأت لكم الخبر، قد كفيتم ما ها هنا.

٣- بريدة بن الحصيب وقومه

وفي الطريق لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بريدة بن الحصيب الأسلمي ومعه نحو ثمانين بيتاً، فأسلم وأسلموا، وصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العشاء الآخرة فصلوا خلفه، وأقام بريدة بأرض قومه حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أحد.

٤- مروره بأبي أوس الأسلمي

ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي أوس تميم بن حجر الأسلمي، بقحداوات بين الجحفة وهرشي - بوادي العرج – وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ترك راحلة أبطأت بهم في بعض الطريق، فكان هو وأبو بكر على جمل واحد، فحمله أوس على فحل من إبله، وبعث معهما غلاماً له اسمه مسعود، وقال له: اسلك بهما حيث تعلم من محارم الطريق ولا تفارقهما، فسلك بهما الطريق حتى أدخلهما المدينة، ثم رد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسعوداً إلى سيده، وأمره أن يأمر أوساً أن يَسِمَ إبله في أعناقها قيد الفرس –أي يجعل لها علامة–، وهو حلقتان، ومد بينهما مداً، فهي سمتهم، ولما أتى المشركون يوم أحد أرسل أوس غلامه مسعود بن هنيدة من العرج على قدميه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره بهم.

٤- النزول بقباء

وفي يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ١٤ من البعثة، وهي السنة الأولى من الهجرة نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقباء.

لما سمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم وافى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب،

فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا جدكم الذي تنتظرون، فثار المسلمون إلى السلاح، وتلقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بظهر الحرة.

وسُمع التكبير في بني عمرو بن عوف، وكبر المسلمون فرحاً بقدومه، وخرجوا للقائه، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة، فأحدقوا به مطيفين حوله، والسكينة تغشاه، والوحي ينزل عليه.

فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول.

وكانت المدينة كلها قد خرجت للاستقبال، وكان يوماً مشهوداً لم تشهد المدينة مثله في تاريخها.

ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقباء على كلثوم بن الهدم.

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء أربعة أيام: الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس مسجد قباء وصلى فيه، وهو أول مسجد أسس على التقوى.

٥- لحاق علي عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله

ومكث علي بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاثاً حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الودائع التي كانت عنده للناس، ثم هاجر ماشياً على قدميه حتى لحقهما بقباء، ونزل على كلثوم بن الهدم.

فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبر قدومه إلى المدينة قال: ((أدعو لي علياً)) قالوا: يا رسول الله لا يقدر أن يمشي على قدميه؛ فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رآه اعتنقه وبكى رحمة له مما رأى ما بقدميه من الورم وأنهما يقطران دماً فتفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يده فمسحهما ودعا له بالعافية فما شكاهما حتى استشهد.

ووصلت إليه زوجته سودة، وابنتاه فاطمة وأم كلثوم، وفاطمة بنت أسد وأسامة بن زيد، وأم أيمن، وكانوا برفقة أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٦- التوجه من قباء إلى المدينة وصلاة أول جمعة

فلما كان اليوم الخامس وهو يوم الجمعة ركب بأمر الله له، وأرسل إلى بني النجار –

أخواله – فجاءوا متقلدين سيوفهم، فسار نحو المدينة وهم حوله، وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فجَمَّع بهم في المسجد الذي في بطن الوادى، وكانوا مائة رجل.

٧- الاستقبال ودخول المدينة

ثم سار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الجمعة حتى دخل المدينة، ومن ذلك اليوم سميت بلدة يثرب بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يوماً مشهوداً، فقد ارتجت البيوت والسكك بأصوات التكبير والحمد والتسبيح، وأنشدوا الأبيات المشهورة:

طلع البدر علينا — من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا — ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا — جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة — مرحباً يا خير داع

وكان كل واحد من الأنصار يتمنى أن ينزل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليه، فكان لا يمر بدار من دور الأنصار إلا أخذوا خطام راحلته وهم يقولون: هلم إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فكان يقول لهم: ((خلوا سبيلها فإنها مأمورة))، فلم تزل سائرة به حتى وصلت إلى موضع المسجد النبوي اليوم فبركت، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلاً، ثم التفتت ورجعت فبركت في موضعها الأول، فنزل عنها، وذلك في بني النجار، أخواله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان ذلك من توفيق الله، فإنه أحب أن ينزل على أخواله، ليكرمهم بذلك، فجعل الناس يكلمون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النزول عليهم، وبادر أبو أيوب الأنصاري إلى رحله، فأدخله بيته، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((المرء مع رحله))، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته، فكانت عنده.

ولما وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة كانت كثيرة الوباء، فمرض أصحابه.

فدعا الله تعالى أن يزيل عنها الوباء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة)).

وقد استجاب الله دعاءه صلى الله عليه وآله وسلم، فأرى في المنام أن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت بالجحفة، وكان ذلك عبارة عن نقل وباء المدينة إلى الجحفة، وبذلك استراح المهاجرون عما كانوا يعانونه من شدة مناخ المدينة.

وإلى هنا انتهى قسم العهد المكي من حياته صلى الله عليه وآله وسلم بعد البعثة، بإيجاز وإختصار، ويتلوه العهد المدني إن شاء الله تعالى.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً

الباب الثالث: الهجرة وبعض أحداثها

وهذا بداية العهد المدني.

الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة تعني انتقال الدعوة الإسلامية إلى مرحلة جديدة، هو بناء مجتمع جديد آمن، يأوي إليه كل مسلم، ومن خلاله يتم بناء وتكوين دولة إسلامية مستقلة، تتمتع بكل مقوماتها، أرضاً وديناً ورجالاً، بقيادة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، تلك الشخصية الفذة، وذالك الرجل الحكيم، الذي يتلقى الأوامر والتعليمات من قبل الله تعالى.

وكانت المدينة المنورة هي الأرض الخصبة، والبيئة المناسبة، لقيام تلك الدولة لما تتمتع به المدينة المنورة من مقومات.

ولكن هذا التكوين لا يتأتى ولا يتسنى الحصول عليه في يوم ولا في شهر بل ولا حتى في عام، بل يحتاج إلى وقت مديد، وجهد جهيد، وتعاون وتكافل.

وقبل الدخول في التفصيلات نقدم مقدمة مختصرة نشير من خلالها إلى طبيعة سكان المدينة المنورة وكيفية التعامل معها:

كان سكان المدينة حين هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها ثلاث فئات:

الفئة الأولى: المسلمون.

الفئة الثانية: المشركون.

الفئة الثالثة: اليهود.

أما الفئة الأولى: وهم المسلمون، فكانوا على صنفين:

الأول: الأنصار، وهم أهل الدار والإيواء والنصرة، فالأرض أرضهم، والبلد بلدهم، وكانوا عبارة عن جماعات من قبائل الأوس والخزرج التي كانت تسكن المدينة، وكانوا يتمتعون بمكانتهم وأهليتهم بين قومهم، فلم يكن اعتناقهم للإسلام بالذي يهون من مقامهم، أو يستذلهم أو يستضعفهم بسببه قومهم، ولكن الأمر الذي يتطلب تدبيراً حكيماً، وحلاً سلمياً سريعاً، هو ما كلن بينهم من التنافر والعداوة القديمة، فهم وإن كانوا قد أسلموا إلا أن النعرات الجاهلية والعصبية كانت قد استحكمت لديهم، فهم بأمس الحاجة إلى العلاج السريع، والحل العاجل لهذه القضايا.

الثاني: **المهاجرون**، وهم الذين أذن لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة إلى المدينة، فلجأوا إلى المدينة لينجو بأنفسهم من القتل والأذى والتعذيب، الذي كان يمارسه جلاوزة المشركين من كفار قريش بمكة، وكانوا عدداً ليس بالقليل، وقد وجدوا لهم مستروحاً من الناحية الدينية، وإن كانت مقومات الحياة المعيشية صعبة بالنسبة إليهم، فليس لهم أموال ولا بيوت ولا أراض، والبعض منهم هاجر من دون زوجته.

وأما الفئة الثانية: فهم المشركون، من بقايا سكان المدينة، ولكنهم مع شركهم وكفرهم فقد كانوا بين رجل مرتاب في دينه وما هو عليه من الضلال، وبين رجل باق على شركه ولكنه لم يكن يكيد للمسلمين، أو يبطن لهم الشر، ولم يبقوا على شركهم طويلاً فسرعان ما دخلوا في الإسلام بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما الفئة الثالثة: وهم اليهود، القوم الأشد عداوة للإسلام، وهم أهل كيد ومكر ودهاء، وأصحاب خدع ومؤمرات وفساد، يبثون الشحناء، ويولدون البغضاء، وأهل عصبية لعرقهم ودينهم، وكانوا يتربصون بالعرب الضر، ويهيجون الشر، وكانوا أهل مهارة في الزراعة والصناعة والتجارة.

وكل قبيلة من اليهود قد حالفت قبيلة من قبائل المدينة، فكان في المدينة من اليهود ثلاث قبائل مشهورة:

١. **بنو قينقاع**: وكان الخزرج حلفاءهم، وكانت ديارهم داخل المدينة.

٢. **بنو النضير**: وكانت الخزرج حلفاءهم، وديارهم في الجهة الجنوبية من ضواحي المدينة.

٣. **بنو قريظة**: وكان الأوس حلفاءهم، وديارهم في الجهة الشرقية من ضواحي المدينة.

وهذه القبائل هي التي كانت تثير الحروب بين الأوس والخزرج منذ أمد بعيد، بل ساهمت وشاركت بأنفسها كل قبيلة مع حلفائها في أكبر حرب دارت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة وهي حرب بعاث.

ولعل الذي دفع بهم إلى اختيار المدينة للسكن بها، هو ما قد علموه في التوراة من بعثة نبي آخر الزمان، وأن منازله ستكون يثرب، ولهذا فقد كانوا يهددون سكان المدينة من العرب بأنهم سينتقمون منهم شر انتقام إذا بعث نبي آخر الزمان، ظناً منهم أنه من بني إسرائيل كما

قال تعالى {وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين}، فلما علموا أنه من العرب ازدادوا له عداوة، وفي بغضه ضراوة.

فكانت بعثة النبي صلى الله عليه وآله وهجرته إلى المدينة من أشد الصعوبات، وأصعب العقبات التي تلقاها اليهود، فلم يزالوا يكيدون للإسلام ولرسول الإسلام أنواع الكيد، ويترصدون لذلك أشد الرصد، وينفقون الأموال الطائلة في صد الناس عن الإسلام، وتأليبهم ضده، ولكنها بآءت بالفشل، وبطل كل ما كادوه من الحيل.

وقد استطاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتعامل مع كل فئة بما يليق بها:

أما الفئة الأولى: فهم أصحابه وأنصاره ولم يجد صعوبة في ذلك، بل مواقفهم الشريفة هي التي دفعت به إلى أن يختار الهجرة إليهم، والسكنى بينهم، وقد استطاع صلى الله عليه وآله وسلم أن يعالج الخلافات التي بينهم، وأن يطفئ الثارات والعداوات التي بينهم **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ}**، بفضل الله تعالى ومنه ونعمته **{هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ {٦٢} وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[الأنفال]**.

وأما الفئة الثانية: فسرعان ما استجابوا لله ورسوله ودخلوا في دين الله، إلا طائفة من المنافقين الذين كانوا بقيادة عبد الله بن أبي، الذي كان يكن العداء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأن مجيء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة سلبه الملك والسيادة التي كان يحلم أن ينالها على الأوس والخزرج، حيث كانوا قد اتفقوا على تتويجه بتاج الملك عليهم، فتوقدت نار العداوة في قلبه، ولكنه اضطر إلى أن يظهر الإسلام خوفاً على مكانته بين قومه وإن كان يبطن الكفر.

وأما الفئة الثالثة: فقد تعامل معهم في بادئ الأمر بما يتيح له نشر الإسلام، ويدفع كيدهم وعداوتهم في الظاهر، فصالحهم كما سيأتي، ولكن لما نقضوا الصلح وأخلوا به عاملهم بمعاملة من نوع آخر، كما سيظهر ذلك إن شاء الله تعالى.

ونلخص السيرة النبوية في العهد المدني، في المراحل التالية:

الأولى: مرحلة التأسيس والبناء للدولة الإسلامية.

الثانية: مرحلة الدفاع عن هذه الدولة من أعدائها سواء كانوا في الداخل كاليهود، أم في الخارج كقريش وحلفائها.

الثالثة: مرحلة النشر للدعوة في أصقاع الأرض.

الرابعة: مرحلة الاستقبال للوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجاً.

الخامسة: مرحلة الإكمال للدين، وخاتمة التبليغ.

السادسة: الإنتقال إلى الرفيق الأعلى.

ونأتي على ذكر هذه المراحل باختصار وإيجاز يتركز على أهم الأحداث والقضايا والأعمال التي كانت في تلك المراحل، فأقول وبالله أستعين وأصول:

المرحلة الأولى: التأسيس والبناء للدولة الإسلامية

من أهم الأعمال التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين دخل المدينة ما يلي:

الأول: بناء المسجد

ليكون مجمعاً للمسلمين في عباداتهم وقضاياهم، ومقراً صالحاً لتعليمهم معالم دينهم، ومركز انطلاق لتنفيذ الأوامر، ومكاناً مهيئاً لاستقبال الوفود وإيوائهم، وداراً يسكنه الفقراء واللاجئون، إلى غير ذلك من الفوائد الدينية المترتبة على المسجد.

وكانت مراحل البناء والعمارة، كما يلي:

١- إيجاد المكان المناسب لبناء المسجد:

اختار النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكاناً مناسباً ليبنى فيه المسجد، وذلك المكان هو الذي بركت فيه ناقته القصوى مقابل بيت أبي أيوب الأنصاري، وكان بستاناً ليتيمين فقيرين، هما سهل وسهيل ابني عمرو، وكانا في حجر أسعد بن زرارة، فاشتراه النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهما.

٢- تهيئة المكان للبناء والعمارة:

كان في ذلك البستان قبور للمشركين، وكان فيه بيوت خربة، ونخل وشجر من الغرقد، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقبور المشركين فنبشت، وبالخرب فسويت، وبالنخل والشجر فقطعت، وصفت في قبلة المسجد.

٣- التخطيط والهندسة المعمارية للمسجد:

فكان أساسه ثلاثة أذرع تقريباً، وطوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، وعرضه مثل ذلك، وبنيت الجدران من اللبن والطين، وجعلت أعمدته من جذوع النخل، وسقفه من جريد النخل، وفرشت أرضه بالرمال والحصباء، وجعلت له ثلاثة أبواب، وكانت القبلة إلى بيت المقدس، وجعلت عضادتاه من حجارة.

٤- المشاركة في البناء:

وقد شارك النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه في البناء فكان ينقل الأحجار على كتفه الطاهر، فإذا رآه أصحابه تجدد نشاطهم، وزاد اهتمامهم، فكانوا يرتجزون قائلين:

لإن قعدنا والنبي يعمل فذاك من العمل المضلل

وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يعمل وهو يرتجز ويقول:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه يعمل كعمل رجلين فكان يحمل على عاتقه حجرين، ودخل ذات يوم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد حملوه باللبن فقال: يا رسول الله قتلوني، يحملون علي ما لا يحملون، فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينفض التراب عن وفرت - يعني شعر رأسه- وكان رجلاً جعداً، وهو يقول: ((ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار)).

فقتل عمار بن ياسر مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين، قتله معاوية اللعين.

وبنيت بجانبه بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحجر واللبن، وسقفها بالجريد والجذوع، وهي التي جعلها صلى الله عليه وآله وسلم حجرات لأزواجه، وبعد تكاملها انتقل من بيت أبي أيوب إليها.

الثاني: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

من أعظم وأهم وأوائل الأعمال التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم المدينة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

حيث آخى صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، فجعل لكل واحد من المهاجرين أخاً من الأنصار، وكانت هذه المؤاخاة قائمة على أساس المواساة، فالمهاجرون لا نساء لهم ولا أموال ولا دور ولا ضياع، والأنصار كانوا بخلاف ذلك.

وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة، وأعجب القصص في المؤاساة والإيثار، فالذي كان له امرأتان كان يطلق إحداهما ليتزوجها المهاجري، وصاحب المال يقسم ماله نصفين، وصاحب النخل يجعل المهاجر عاملاً عليها ويقتسما الثمرة.

وكانت الأخوة أيضاً قائمة على التوارث بعد الموت بين الأخوين، حتى نزل قوله تعالى{وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض}[الأنفال:٧٥]، فنسخ التوارث بعقد الأخوة وجعلها للرحم.

وقد اختار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكل واحد نظيره كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار كان يؤاخي بين الرجل ونظيره، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: ((هذا أخي)).

قال حذيفة: فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد المسلمين وإمام المتقين ورسول رب العالمين والذي ليس له شبه ولا نظير وعلي عليه السلام أخوه.

وفي رواية أخرى: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين الناس وترك علياً حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً فقال: يا رسول الله آخيت بين الناس وتركتني؛ قال: ((ولمن تراني تركتك إنما تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذاكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسول الله، لا يدعيها أحد بعدك إلا كذاب)).

الثالث: وثيقة المعاهدة الإسلامية

لم تكن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار شاملة لكل أفراد المهاجرين والأنصار، ولئن شملت أفراد المهاجرين فالأنصار كانوا أكثر منهم، ولم يكن المهاجرون محصورين في أولئك العدد فقط، فقد توافد المهاجرون من كل بلد، فكان لابد من أمر عام يشمل السابق واللاحق، ويتم التعايش من خلاله بين جميع طبقات المسلمين، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعقد معاهدة إسلامية شاملة، تضمن لهم وحدتهم، وتعاونهم وتكافلهم الإجتماعي، ليتم بذلك بناء مجتمع يسوده المودة والإخاء والتعاون، والأخلاق الفاضلة، وكان نص المعاهدة كما يلي:

هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم:

١- أنهم أمة واحدة من دون الناس.

٢- المهاجرون من قريش على ربعتهم -أي حالهم التي جاء الإسلام وهم عليها- يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٣-كل قبيلة من الأنصار - وذكر قبائل الأنصار: بني عوف، بني ساعدة، بني الحارث، بني جشم، بني النجار، بني عوف بن عمرو، بني النبيت، بني الأوس- على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٤- وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم - أي مديناً أو ذا عيال- أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

٥- وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

٦- وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة - أي عظيمة - ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين.

٧- وأن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.

٨- ولا يُقتلُ مؤمن مؤمناً في كافر.

٩- ولا ينصر [مؤمن] كافراً على مؤمن.

١٠- وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم.

١١- وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

١٢- وأن سلم المؤمنين واحدة؛ لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.

١٣- وأن المؤمنين يبيء -أي يقتل به- بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

١٤- وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن.

١٥- وأنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول.

١٦- وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

١٧- وأنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

١٨- وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وبهذا تمت الوثيقة بين المسلمين.

الرابع: وثيقة المعاهدة بين المسلمين واليهود

لما كان اليهود محيطين بالمدينة المنورة، وهم قوم أهل غدر ومكر، ولا يأمن المسلمون شرهم وغدرهم، ولم يكن اليهود قد أظهروا أي مقاومة أو مواقف عدائية ضد الإسلام، وإن كانوا يبطنون الشر والعداوة، فأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يحوط جانب المسلمين من اليهود، وأن يحسن علاقة المسلمين بغيرهم ممن يختلطون بهم، لكي يتم التعايش بين المسلمين وبين غيرهم في أمن وسلام، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعقد معاهدة مع اليهود، تضمن لهم حريتهم الدينية والمالية، وتمثلت تلك المعاهدة في الآتي:

١- أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، وكذلك لغير بني عوف من اليهود.

٢-وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

٣- وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

٤- وأن بينهم النصح والنصحية، والبر دون الإثم.

٥- وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه.

٦- وأن النصر للمظلوم.

٧- وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٨-وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

٩- وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

١٠- وأنه لا تُجَارُ قريشٍ ولا من نصرها.

١١- وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعو إلى صلح يصالحونه ويلبسونه،

فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

١٢- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم.

١٣- وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم.

وقد أرسى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قواعد التعامل الصحيح بين أصحابه فيما بينهم، وفيما بين غيرهم، من خلال تلك المعاهدات، ومن خلال الحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة، والترغيب في فعلها، والتحذير عن الرذائل والترهيب منها، ورسم لهم مبادئ الأخوة وحقوقها، وكيف يتم تحققها بين الأخوة، فكان يحثهم على حسن الجوار، وعلى الصبر والقناعة، والإهتمام بالفقراء والمحتاجين منهم، ويحثهم على إطعام الطعام، وإفشاء السلام، وإطابة الكلام، وصلة الأرحام إلى غير ذلك من مكارم ومحاسن الأخلاق.

الخامس: موقف قريش من أهل المدينة

لقد كانت هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تشكل خطراً كبيراً على قريش، بل نزل ذلك عليهم كالصاعقة، فقامت باتخاذ المواقف والإجراءات التي أرادت من خلالها أن ترعب أهل المدينة ليقوموا بطرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو قتاله، فقامت باتخاذ مواقف حول الأنصار وأخرى حول المهاجرين:

فأما المواقف التي اتخذتها حول الأنصار فمنها ما يلي:

١- كتبوا كتاباً إلى المشركين بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول بصفته رئيساً على الأوس والخزرج قبل الهجرة، اشتمل على بعض الإستفزازات التي منها:

إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم.

فقام ابن أبي فجمع من معه من المشركين لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلقيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم: ((لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر ما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم

وإخوانكم))، فلما سمعوا كلامه تفرقوا.

٢- حاولت قريش أن تصدهم عن المسجد الحرام، بما تقوم به من الإساءة والتهديد لمن ذهب إلى مكة.

من ذلك: أن سعد بن معاذ خرج إلى مكة معتمراً، فنزل على أمية بن خلف بمكة.

فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلي أن أطوف البيت، فخرج به قريباً من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك؟ فقال: هذا سعد.

فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً، وقد آويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصروهم وتعينوهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً.

فقال له سعد رافعاً صوته: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعك ما هو أشد عليك منه، طريقك على أهل المدينة.

وأما المواقف التي اتخذتها قريش ضد المهاجرين:

فقد كانت قريش تكيد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمهاجرين معه، وقامت بتأليب قبائل العرب ضدهم، حتى وصل الحال برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يتخذ حرساً من أصحابه في الليل.

وأما أصحابه فكانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه، خوفاً من كيد قريش.

بهذه الخطوات والأسس، والتصرفات الحكيمة، والآراء السديدة السليمة، أرسى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قواعد التأسيس للدولة الإسلامية، فبدأت تبني كيانها، وتشيد بنيانها، وتثبت أركانها.

ولكن هذه الدولة الفتية، يحيط بها أعداء كثيرون، يتربصون بها، ويكيدون لها، ويحاولون القضاء عليها، وهي لا تزال في مهدها.

فالعدو الأكبر - الذي تصدى للدعوة في بدايتها، وألحق بمن تبعها أنواع الأذى، وأذاقهم مرارات العذاب، وبسببه هجر المسلمون أوطانهم وديارهم وأموالهم، وهاجروا إلى المدينة - لن يقر له قرار، ولن يهدأ له بال، ولن يترك المسلمين يتمتعون بحياتهم في بلدهم الجديد، لأن وجودهم يهدد كيانه، ويخوف أمانه، ويزلزل أركانه.

فقد أعمل هذا العدو اللدود كل حيلة، وفعل ما بوسعه ليصدهم عن دينهم، ولكن دون جدوى، وهاهو الآن يحتاج إلى أن يقطع المسافات والمراحل، ويتجشم عناء السفر، ووعثاء الطريق، ليصل إلى بلدهم لمحاولة القضاء عليهم، ويؤلب معه من القبائل، ليقذف بنفسه في المهواة والهلاك.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يدركون خطر هذا العدو، وأنه يحتاج إلى مقاومة قوية، ودفاع شديد، ويعلمون أن كبرياءه وطغيانه سيجره إلى أن يصل إليهم بحشوده، ويقصدهم بجنوده، فكان لا بد من الإعداد والتهيؤ لمثل هذه الأخطار المتوقعة، قبل أن تفاجئ.

ومن ناحية أخرى أولئك المهاجرون المستضعفون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، وأخذت أموالهم، وعذبوا وأوذوا، ينتظرون الفرصة كي ينتقموا من عدوهم، ويستعيدوا بعض حقوقهم المنهوبة.

ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن في بداية الأمر مأموراً بالقتال والحرب، لأن الإسلام كان لا يزل في نشأته، وبداية انتشاره وظهوره، ثم جاء الأذن من الله تعالى بالقتال، في مثل قوله تعالى { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج/٣٩]،فكانت هذه بدايات وأوائل المرحلة الثانية، وهذا حين الدخول في الكلام حولها:

فأقول وبالله أصول:

المرحلة الثانية: مرحلة الدفاع من الأعداء سواء كانوا في الداخل كاليهود، أم في الخارج كقريش وحلفائها

لما أذن الله تعالى للمسلمين بالقتال دخل المسلمون في خطة عمل جديدة، تحتاج إلى تنظيم أكثر، وتطوير أكبر، فالعرب وإن كانت تعتاد الحروب، وهم أهل مراس لها، ودراية بها، إلا أن هذا القتال يختلف اختلافاً كبيراً عما اعتادته العرب في حروبها وقتالها، لأن هذا حرب عن عقيدة ودين، حرب استرجاع واستعادة حقوق مأخوذة ومغتصبة، حرب لا تفرق بين القريب والبعيد، لأن البعيد الموافق في الدين قريب، والقريب المخالف في الدين بعيد.

وأيضاً هي حرب نوعية فالذين كانوا متناحرين قبل هذا الدين الكريم أصبحوا اليوم صفاً واحداً، ويضربون بسيف واحد، ويرمون بقوس واحد.

ولما كانت هذه المرحلة تحتاج إلى تدبير ورأي حكيم، فقد اتخذ القائد الحكيم، والنبي الكريم صلى الله عليه وآله سلم جميع الإجراءات والإحتياطات اللازمة.

فكان من أوائل الأعمال القتالية التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم السيطرة على طريق قريش التجارية، وهذا العمل يحتاج إلى تمهيد للدخول فيه.

لأن المعلوم أن طريق قريش التجارية كانت تمر بعدد من القبائل المجاورة للطريق، فتهديد الطريق أو السيطرة عليها يحتاج إلى أن يأمن المسلمون تلك القبائل من الإعتداء أو التحالف مع قريش، فبدلاً من أن تستغل قريش هذه القبائل لصالحها، سبقهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك فقام بعقد معاهدات مع القبائل، تضمن للمسلمين الأمان من جهتهم.

ثم بعد ذلك حصلت المواجهات العسكرية، ونشبت الحرب القتالية، التي تمثلت في مواجهتين قويتين، وحركتين متنوعتين، وقسمين مختلفين، وفي كل قسم أنواع كثيرة، اختلفت مقوماته، وتعددت مقاوماته، وتنوعت أسبابه ونتائجه:

القسم الأول: الغزوات. **والقسم الثاني**: السرايا.

وسنذكر كل واحد منهما على حدة، ونجعل ذلك مرتباً على السنوات ليسهل على الطالب حفظه وضبطه، ومن الله نستمد الإعانة والتوفيق:

القسم الأول: الغزوات

أما الغزاوت التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم قادها بنفسه، فهي كالتالي:

١- بلغ عدد الغزوات التي قادها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢٨) غزوة.

٢- الغزوات التي دار فيها القتال(٩)غزوات.

٣- الغزوات التي حققت أهدافها بدون قتال (١٩) غزوة، بسبب فرار العدو.

٤- الغزوات التي خرج فيها النبي لمهاجمة قبائل علم أنهم يدبرون العدوان (٧) غزوات.

وقد بدأت الغزوات من السنة الثانية للهجرة النبوية وحتى السنة التاسعة، وإليك بيانها باختصار بحسب سنوات الهجرة:

الغزوات التي كانت في السنة الثانية

الأولى: غزوة وَدَّان أو غزوة الأبواء:

تاريخها: ١٢ صفر.

مكانها: ودان، يبعد عن المدينة ٢٥٠ كم، وبه قبر آمنة أم النبي صلى الله عليه وآله.

قوات المسلمين: ٢٠٠ ما بين راكب وراجل.

قوات العدو: جيش من قريش وبني ضمرة.

هدفها: تهديد طريق قريش التجارية ما بين مكة والشام، والتحالف مع القبائل المسيطرة على الطريق.

أحداث الغزوة: لم يلتق المسلمون بجيش قريش، والتقوا ببني ضمرة وكبيرهم مخشي بن ضمرة، فصالحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن لا يقوموا بغزو المسلمين، ولا يكثروا عليهم جمعاً، ولا يعينوا عليهم عدواً، وكتب بينهم كتاب الصلح.

الثانية: غزوة بَوُاط (بالفتح أو الضم)

تاريخها: ربيع الأول.

مكانها: جبل من جبال جهينة بناحية ينبع يبعد عن المدينة ١٠٠كم تقريباً.

وقيل: واد غرب المدينة يبعد ٥٥كم تقريباً.

قوات المسلمين: ٢٠٠ ما بين راكب وراجل.

قوات المشركين: قافلة تجارية يحميها ١٠٠ راكب وراجل.

الهدف: الإستيلاء على قافلة قريش التي كان قوامها(٢٥٠٠) بعير.

الأحداث: علمت عيون القافلة بخروج المسلمين فأسرعت القافلة في حركتها وغيرت طريقها، ففاتت المسلمين، ورجعوا إلى المدينة.

الثالثة: غزوة العُشَيْرة

تاريخها: جماد الأول.

مكانها: موضع في منطقة ينبع يبعد عن المدينة ١٢٠ كم تقريباً.

جيش المسلمين: ٢٠٠ راكب وراجل.

جيش العدو: بنو مدلج وأحلافهم من بني ضمرة، وقافلة تجارية لقريش.

الهدف: أخذ قافلة قريش التي كان يقودها أبو سفيان.

أحداثها: علم أبو سفيان بالجيش فغير مسار القافلة فأفلتت من أيدي المسلمين، فأقام المسلمون بالعشيرة شهراً، وصالحوا بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة.

الرابعة: غزوة بدر الأولى

تاريخها: جماد الآخر.

مكانها: وادي سَفَوان بناحية بدر، وبدر يبعد عن المدينة ١٥٠كم.

جيش المسلمين: ٢٠٠ راكب وراجل تقريباً.

جيش العدو: غير محددة بقيادة كرز بن جابر الفهري.

هدفها: مطاردة المشركين الذين أغاروا على مراعي المدينة وأخذوا بعض إبل المسلمين ومواشيهم.

الأحداث: خرج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مطاردتهم حتى وصل وادي سفوان، وفاته كرز بن جابر فلم يدركه، فعاد إلى المدينة.

الخامسة: غزوة بدر الكبرى

تاريخها: ١٧ رمضان.

مكانها: بدر، يبعد عن المدينة ١٥٥ كم.

قوات المسلمين: من ٣١٠ إلى ٣١٥ رجل، معهم فرسان، وسبعون بعيراً.

قوات العدو: ٩٥٠ رجل، معهم ٢٠٠ فرس، وعدد كثير من الإبل.

الهدف من الغزوة: كان هدف المسلمين في بادئ الأمر عند خروجهم من المدينة هو: الإستيلاء على قافلة قريش بقيادة أبي سفيان والتي يحميها ٣٠ إلى ٤٠ رجلاً، وقيل ٧٠، وتتكون من ١٠٠٠ بعير.

ولكن عندما وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى وادي ذفران الذي يبعد عن المدينة ١١٠ كم تقريباً، بلغه خروج قريش لحماية القافلة، فاستشار أصحابه ثم قرر الوصول إلى بدر لإدراك القافلة، أو ملاقاة قريش وحربها.

أحداث المعركة: الكلام حول غزوة بدر يحتاج إلى شرح كثير، ولكن نلخصه فيما يلي:

١- اختار النبي صلى الله عليه وآله وسلم موضعاً مرتفعاً يشرف منه على منطقة القتال، وبنى فيه العريش.

٢- رتب المسلمين بشكل صفوف، وهو تنظيم جديد لم تعرفه العرب من قبل.

٣- لم يكن للمشركين قائد أو تنظيم، بل قاتلوا على شكل أفراد.

٤- بدأ المشركون بالهجوم فحاول أحدهم الشرب من حوض الماء فقتله المسلمون.

٥- برز عتبة وشيبة والوليد، فبرز إليهم علي وحمزة وأبو عبيدة بن الحارث، فقتل علي الوليدَ، وحمزة عتبة، واختلف أبو عبيدة وشيبة ضربتين قتل كل واحد صاحبه.

٦- هجم المشركون فردهم المسلمون بوابل من السهام التي أربكتهم وجرحت رجالهم.

٧- نزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من العريش يقود الصفوف بنفسه لتقترب من المشركين الذين بدأت صفوفهم تتبعثر وقد فقدت قاداتها وشجعانها.

٨- أمر النبي صلى الله عليه وآله المسلمين بأن يشدوا على المشركين، فطاردوا فلول المشركين، والتحم القتال بين الفريقين التحاماً شديداً.

٩- أيد الله عز وجل المسلمين بالملائكة المردفين المسومين، لتثبيت المسلمين.

١٠- انتهت المعركة بانتصار المسلمين على المشركين، وأخذوا في جمع الغنائم والأسرى.

نتائجها: كان لغزوة بدر دور كبير في نفوس المسلمين، وتقويت عزائمهم، وشد أزرهم، وارتفاع نفسياتهم، وكانت نتائجها كما يلي:

١- انتصار المسلمين على المشركين.

٢- استشهاد ١٤ من المسلمين.

٣- قتل ٧٠ من المشركين وأسر ٧٠، قتل من الأسرى ٢، وأطلق سراح الباقين، الأغنياء بالمفاداة بالمال، والمتعلمين بتعليم أطفال المسلمين القرآءة والكتابة، والفقراء بلا شيء.

٤- دخل الرعب الكبير في قلوب المشركين وعلموا أن الإسلام أصبح ذا قوة ومنعة وعزة.

السادسة: غزوة بني سُليم

تاريخها: أوائل شوال.

مكانها: قرقرة الكدر، في الجنوب الشرقي للمدينة يبعد ١٠٠كم تقريباً.

قوات المسلمين: ٢٠٠ ما بين راكب وراجل.

قوات العدو: بنو سليم وغطفان.

الهدف: القضاء على بني سليم وغطفان الذين تجمعوا في قرقرة الكدر لمهاجمة المدينة.

الأحداث: وصل المسلمون، فلم يجدوا أحداً، لأنهم فروا عند سماعهم بقدوم المسلمين، فأخذ المسلمون ما وجدوا من الإبل، وهي(٥٠٠) بعير تقريباً، وأقاموا ثلاثة أيام ثم انصرفوا.

السابعة: غزوة بني قينقاع

تاريخها: ١٥ شوال.

مكانها: منازل يهود بني قينقاع في جنوب شرق المدينة في منطقة العوالي حالياً، تبعد ٣كم تقريباً عن المسجد النبوي.

قوات المسلمين: المسلمون في المدينة.

قوات العدو: يهود بني قينقاع، مقاتلتهم ٧٠٠ تقريباً.

الهدف: القضاء على يهود قينقاع، بسبب نقضهم للعهد، لأنهم تعرضوا لامرأة مسلمة تبيع حليها في أسواقهم، فاستغاثت فوثب أحد المسلمين على الصائغ فقتله، فشد اليهود على المسلم فقتلوه، ثم التجأوا إلى حصونهم يجتمعون بها.

أحداث الغزوة: حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٥ ليلة حتى نزلوا على حكمه، فتوسط لهم رأس المنافقين عبدالله بن أبي فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأجلاهم عن المدينة، فلحقوا بأذرعات في الشام، وأخذ من حصونهم سلاحاً وآلة كثيرة.

الثامنة: غزوة السويق

تاريخها: ذو الحجة.

مكانها: قرقرة الكدر وقد تقدم.

قوات المسلمين: ٢٠٠ راكب.

قوات المشركين: ٢٠٠ راكب، وقيل: ٤٠ راكباً.

الهدف: مطاردة أبو سفيان ومن معه الذين أغاروا على العريض، وقتلوا رجلين من المسلمين، وحرقوا نخلاً ثم هربوا.

الأحداث: طارد المسلمون القوة الهاربة حتى وصلوا قرقرة الكدر، ولكن الهاربون أمعنوا في الفرار حتى أنهم ألقوا أرزاقهم تخففاً، وكان أكثرها السويق، فأخذها المسلمون، فسميت بذلك غزوة السويق.

الغزوات التي كانت في السنة الثالثة

التاسعة: غزوة ذي أمر

تاريخها: شهر محرم سنة ٣هـ.

مكانها: ذو أمر، موضع بنجد، بينه وبين المدينة ١٠٠كم تقريباً.

قوات المسلمين: ٤٥٠ ما بين راكب وراجل.

قوات العدو: بنو ثعلبة وبنو محارب.

هدف الغزوة: القضاء على جمع من غطفان بني ثعلبة ومحارب تجمعوا للغارة على المدينة.

الأحداث: خرج المسلمون حتى وصلوا ذي أمر، فلما علم بهم العدو هربوا إلى الجبال، وبقي المسلمون هناك شهراً عند ماء ذي أمر، ثم رجعوا إلى المدينة بلا قتال.

العاشرة: غزوة بحران(بفتح الباء أو ضمها)

تاريخها: ربيع الأول.

مكانها: بحران موضع بين الفرع والمدينة على مسافة ٩٠كم تقريباً.

قوات المسلمين: ٣٠٠ راكب وراجل.

قوات العدو: بنو سليم.

هدف غزوة: القضاء على تجمع بني سليم في بحران للإغارة على المدينة.

الأحداث: هربوا وتفرقوا لما سمعوا بمقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمكثوا بها حوالي شهين، ثم رجعوا المدينة بلا قتال.

الحادية عشرة: غزوة أحد

تاريخها: يوم السبت ١٥ شوال.

مكانها: جبل أحد في ضواحي المدينة، يقع في شمال المدينة، يبعد ٤كم عن الحرم.

قوات المسلمين: ٧٠٠ راجل، منهم ٥٠ فارساً.

قوات العدو: ٣٠٠٠ راجل منهم ٢٠٠ فارس، و٧٠٠ دارع، ومعهم ٣٠٠٠ بعير.

الهدف: الدفاع عن المدينة وصد قريش التي جاءت للثأر من يوم بدر، ومحاولة القضاء على الإسلام.

الأحداث: غزوة أحد من أهم الغزوات وتحتاج إلى شرح طويل ولكن نلخص أهم الأحداث فيها كما يلي:

١- لما وصل المشركون قريباً من المدينة نزلوا بناحية أحد، فلما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون بقدوم قريش إلى المدينة استشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين في التحصن بالمدينة ولم يرَ الخروج عنها لرؤيا كان قد رآها، وهي أنه في درع حصينة، ورأى بقراً تذبح، وثلماً في سيفه، وكأنه يردف كبشاً، فأول الدرع الحصينة بالمدينة، والبقر بقتل رجال من أصحابه، والثلم بقتل رجل من أهل بيته، والكبش بقتل كبش كتيبة العدو، ولكن الذين لم يحضروا بدراً كانوا متشهين للقاء العدو فأشاروا بالخروج عن المدينة، فنزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رأيهم.

٢- خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزل بالشعب من جبل أحد جاعلاً ظهره للجبل ومستقبلاً للمدينة، جاعلاً جبل الرماة على يساره.

٣- وضع على جبل عَيْنَيْن(جبل الرماة) خمسين رامياً لحماية ظهور المسلمين، وأمرهم بلزوم أماكنهم وأن لا يبرحوا منها، حتى لو رأوا الطير تنزل من السماء فتأخذهم بأكتافهم.

٤- صف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه أمام العدو، فبدأت قريش بالقتال فردهم المسلمون بهجوم قوي، فحاولوا الإلتفاف خلف المسلمين ولكن الرماة منعوهم من ذلك، واشتد الحال بالمشركين، حتى اضطروا للإنسحاب عن معسكرهم تاركين معسكرهم ونسائهم والكثير من الغنائم.

٥- انهزم المشركون في بادئ الأمر فأخذ المسلمون في جمع الغنائم، فلما رأى الرماة ذلك سارع أكثرهم في النزول خوفاً من فوات الغنائم، فمنعهم عبد الله بن جبير فلم يلتفتوا إلى قوله.

٦- حين نزل أكثر الرماة انتهز خالد بن الوليد وكان على مجنبة جيش قريش في ٢٠٠ فارس، فعاد على الرماة فهاجم البقية وقتلهم واحتل الجبل، ونادى في قريش، فعاودت

الهجوم في وقت انشغال المسلمين بجمع الغنائم، وقد وضعوا السيوف في أغمادها، واعتقدوا النصر وهزيمة قريش.

٧- لما عاودت قريش الكرة بعد الفرة انهالوا على المسلمين ضرباً وطعناً وقتلاً، فاضطربت صفوف المسلمين، وقتل كثير منهم، حتى أن بعضهم ليضرب بعضاً من شدة الدهش وهو لا يدري.

٨- حاولت قريش قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يستطيعوا، ولكن رسول الله جرح وجهه، وكسرت رباعيته، وتخمشت ركبتاه، وسال الدم عن وجهه، وصاح صائح الشيطان بأن محمداً قد قتل، فانحاز في جماعة من المسلمين إلى الشعب فصار فئة للمسلمين حتى تلاحقوا به.

٩- خافت قريش أن يكون للمسلمين كمين آخر يفاجئهم من جهة المدينة أو أي جهة أخرى وفيهم جراحات وقد تعبوا من الحرب، فرأت إيقاف القتال والإكتفاء بما قد أصابت والعودة إلى مكة، بعد أن علمت قريش استحالة القضاء على الإسلام فتحولت على جثث القتلى تمثل بهم، ثم انطلقوا إلى مكة قافلين.

نتائج الغزوة:

١- استشهد من المسلمين (٧١) شهيداً فيهم حمزة بن عبد المطلب.

٢- قتل من المشركين ٢٢ مشركاً.

٣- تبين للمسلمين أنهم إنما أتوا من قبل المخالفة لأوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أولاً في رأيه البقاء في المدينة، ثانياً في قصة الرماة.

٤- نجح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في الدفاع عن المدينة رغم الموقف الصعيب، والمواجهة الحرجة.

٥- فشلت قريش في قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو القضاء على قوة المسلمين أو إحداث خسائر كبيرة فيهم.

٦- ظهر للمسلمين كثير من المنافقين الذين كانوا مع عبد الله بن أبي الذي رجع من منتصف الطريق بثلث الجيش الذين غرهم واستهواهم.

الثانية عشرة: غزوة حمراء الأسد

تاريخها: يوم الأحد ١٥ شوال.

مكانها: جبل أحمر جنوب المدينة، على ٢٠ كم.

قوات المسلمين: ٦٣٠ ما بين راكب وراجل تقريباً.

قوات العدو: ٢٨٨٠ ما بين راكب وراجل.

الهدف: مطاردة قريش، ومنعها من العودة للقضاء على المسلمين بالمدينة، ورفع الروح المعنوية للمسلمين بعد أحد.

الأحداث: عندما علمت قريش بخروج المسلمين نحوهم آثروا الفرار خوفاً من المسلمين، وبقي المسلمون في حمراء الأسد ثلاثة أيام، ثم عادوا إلى المدينة.

الغزوات التي كانت في السنة الرابعة

الثالثة عشرة: غزوة بني النضير

تاريخها: ربيع الأول.

مكانها: منازل بني النضير جنوب المدينة، تبعد عن المسجد النبوي ٤كم تقريباً، تسمى قربان حالياً.

قوات المسلمين: مسلمو المدينة.

قوات العدو: يهود بني النضير، ١٥٠٠ تقريباً.

هدف الغزوة: القضاء على بني النضير لنقضهم العهد بتآمرهم على اغتيال النبي صلى الله عليه وآله.

الأحداث: ذهب النبي إلى بني النضير يستعين بهم في دية قتيلين معاهدين قتلا خطأ، فحاولوا اغتياله، فأتاه الوحي بمكرهم، فعاد إلى المدينة، وأرسل إليهم يطلب خروجهم من المدينة، فتحصنوا، فحاصرهم عدة ليال، فقذف الله الرعب في قلوبهم، فطلبوا إجلائهم عن المدينة، فوافق رسول الله بشرط أن يأخذوا ما تحمله الإبل فقط إلا السلاح، فخرجوا إلى خيبر والشام، وكانت أموالهم فيئاً قسمها النبي بين المهاجرين.

الرابعة عشرة: غزوة ذات الرقاع

تاريخها: شعبان.

مكانها: ذات الرقاع، موضع بنجد من غطفان من منازل بني ثعلبة تبعد ٩٠كم تقريباً.

وسميت ذات الرقاع: لأن المسلمين لفوا رقاع الأقمشة على أرجلهم.

قوات المسلمين: ٤٠٠ بين راكب وراجل.

قوات العدو: القضاء على تجمع بني ثعلبة وحارب للإغارة على المدينة.

الأحداث: التقى الفريقان، فلم يتقاتلا، وصلى النبي بأصحابه صلاة الخوف، ثم انصرف الجميع إلى منازلهم بلا قتال.

الخامسة عشرة: بدر الآخرة

تاريخها: شعبان.

مكانها: بدر.

قوات المسلمين: ١٠٠٠ راكب وراجل.

قوات العدو: ٢٠٠٠ راكب وراجل.

هدف الغزوة: ملاقاة المشركين في بدر حسب الموعد بعد أحد.

الأحداث: وصل المسلمون بدراً وأقاموا بها ٨ أيام ينتظرون قريشاً، التي خرجت حتى قريباً من عسفان ثم تخاذل أبو سفيان عن المضي، ورجعوا مكة، والمسلمون عادوا إلى المدينة وقد أثبتوا قوتهم.

الغزوات التي كانت في السنة الخامسة

السادة عشرة: غزوة دُومة الجندل

تاريخها: ربيع الأول.

مكانها: دومة الجندل، تبعد عن المدينة ٩٠٠كم سفراً، و٦٠٠كم مباشرة.

قوات المسلمين: ١٠٠٠ ألف ما بين راكب وراجل.

قوات العدو: القبائل الساكنة في دومة الجندل.

الهدف: القضاء على تجمع تلك القبائل التي تقطع الطريق وتهم بمهاجمة المدينة.

الأحداث: عندما سمعت القبائل بقرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هربوا خوفاً من لقاء المسلمين، فلم يلقوا بها أحداً فأصابوا من ماشيتهم، وأقاموا عدة أيام ثم رجعوا إلى المدينة.

السابعة عشرة: غزوة بني المصطلق، وتسمى المريسيع

تاريخها: شعبان.

مكانها: المريسيع، ماء لبني خزاعة يقع في وادي قديد، يبعد عن المدينة ٣٠٠كم تقريباً.

قوات المسلمين: ١٠٠٠ رجل تقريباً بينهم ٣٠ فارساً.

قوات العدو: بنو المصطلق.

الهدف: القضاء على تجمع بني المصطلق بقيادة الحارث بن أبي ضرار حيث كانوا يتجمعون لمهاجمة المدينة.

الأحداث: لما علم بنو المصطلق بخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم هرب أكثرهم، وبقي الحارث، فالتقى الفريقان، فتراموا بالنبل، ثم هجم المسلمون على العدو فقتلوا عشرة، وأسروا الباقين، واستشهد مسلم واحد، وغنم المسلمون (٢٠٠٠) ألفا بعير، و(٥٠٠٠) خمسة آلاف شاة.

الثامنة عشرة: غزوة الخندق

تاريخها: شوال، واستمرت قرابة شهر.

مكانها: المدينة المنورة.

قوات المسلمين: ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف رجل، وقيل ١٥٠٠ ألف وخمسمائة رجل.

قوات العدو: ١٠٠٠٠ عشرة آلاف رجل من قريش وغطفان وغيرهم.

هدف الغزوة: الدفاع عن المدينة المنورة ضد الأحزاب الذين تجمعوا للقضاء على الإسلام والمسلمين، الذين حرضهم بعض يهود بني النضير على ذلك.

الأحداث: غزوة الأحزاب من الغزوات الهامة التي تحدث عنها القرآن الكريم، وشرح بعضاً من أحوالها، وهي تحتاج إلى شرح طويل نوجزه ونختصره فيما يلي:

١- ذهب نفر من يهود بني النضير إلى قريش وغطفان وألبوهم وحرضوهم على التحزب والإجتماع للقضاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأجابوهم إلى ذلك، فلما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتجمع القبائل من قريش وغطفان لمحاولة القضاء على الإسلام وأنهم أتوا بالعدد والعدة الكبيرة، شاور أصحابه في الأمر، فاجتمع رأيهم على البقاء في المدينة، فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ناحية جبل سلع يتبؤا مكاناً يليق بعسكر المسلمين أن يعسكروا فيه.

٢- أشار سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق حول المدينة، لتكون المدينة محمية من جميع الجوانب، لأن المدينة من جهتي الشرق والغرب محصنتان بالحرتين الشرقية والغربية، ومن الجنوب بالنخيل وجزء من الحرة وبني قريظة، والجهة الشمالية هي المفتوحة، فحفر الخندق في الجهة الشمالية جهة جبل سلع، والخندق شيء لم تعرفه العرب من قبل، ولا عملته في حروبها.

٣- امتد الخندق من الحرة الشرقية إلى الغربية بطول ٣كم تقريباً، وكان عرضه من ٧ إلى ١٠ متر تقريباً، وعمقه من ٣ إلى ٥ متر، وكان عدد العاملين فيه ١٥٠٠ رجل، وعمل فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده الطاهرة، واستمرت عملية الحفر ٦ أيام، وأخذ المسلمون مواد الحفر من بني قريظة وهم لا زالوا في الصلح.

٤- لما أقبلت الأحزاب بقضها وقضيضها، وكفرها وعتوها واستكبارها، فوجئت بأن رأت الخندق، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد رتب أصحابه على مجانب الخندق على

شكل كتائب، فأطاف الأحزاب بالخندق رجاء أن يروا ممراً يعبروا منه فأحجم فرسانهم وعجزوا عن العبور.

٥- حصل بين المسلمين والمشركين مناوشات خفيفة قتالية أكثرها ليلية، حاول المشركون من خلالها إما عبور الخندق، أو الوصول إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خلال الوقوف أمام خيمته والضرب بالسهام نحوها، ولكن الله تعالى لم يمكنهم من ذلك فكانت كتائب المسلمين لهم بالمرصاد، يعودوا في كل ذلك خائبين.

٦- حاولت الأحزاب الإستعانة ببني قريظة ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأرسل الأحزاب حيي بن أخطب اليهودي إليهم، فلم يزل بهم حتى نقضوا ما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصلح والعهد، فلما علم النبي صلى الله عيه وآله وسلم وأصحابه بما صنعت بنو قريظة، اهتموا واغتموا لذلك الأمر، فأصابهم من الأمر ما حكاه الله تعالى بقوله **{إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً}** فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجعل حراسة مكونة من ثلاثمائة فارس في جهة الجنوب من المدينة خوفاً من بني قريظة أن يغيروا على المدينة وليس بها إلا الأطفال والنساء، فأصاب المسلمون من الشدة في هذه الحال ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

٧- بقيت الأحزاب تحاصر المدينة ١٥ يوماً وقيل أكثر، فلما أراد الله تعالى إذلال الأحزاب وهزيمتهم هيء الأسباب، ويسر ذلك للمسلمين، فكان من ذلك ما يلي:

أ- حاول بعض الفرسان المعدودين في قريش أن يعبروا الخندق وهم قرابة أربعين فارساً، فرأوا فرجة بسيطة فتمكن ثلاثة منهم من العبور خلالها بفرسانهم، وهم عمرو بن عبد ود العامري، وعكرمة بن أبي جهل، والمغيرة بن نوفل المخزومي، فنادى عمرو بأعلى صوته وهو يجول بفرسه ورمحه أمام المسلمين: هل من مبارز، ألستم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار، فلم يجبه أحد منهم وكأن على رؤوسهم الطير، إلا علياً عليه السلام فإنه يقول: أنا له يا رسول الله، فأذن له النبي بعد أن ناداهم العامري ثلاث مرات، فخرج إليه علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: برز الإسلام كله للشرك كله، فكره عمرو

لقاء علي ولكن علياً أحب قتله وهزمه، فدعاه علي إلى الإسلام فأبى، ودعاه إلى العودة من حيث أتى، فأبى، فدعاه إلى البراز، وكان عمرو راكباً فنزل وعقر فرسه، فتناوشا وتضاربا وتصارعا وتبارزا وتنازلا وتسابقا والتحما وانفصلا، وتقاربا وتباعدا، والمسلمون والمشركون كلهم ينظرون إلى هذه المبارزة الشديدة، فثار الغبار بينهما فغطاهما، فضربه علي عليه السلام في رجله فقطعها، ثم برك على صدره، فانجلت الغبرة وعلي على صدره، وعمرو قد اشتد غضبه فبصق في وجه علي بصقة ملأت وجهه، وأمره أن يجهز عليه، ولكن علياً قام وجال في الميدان وسيفه في يده وعدوه مجدل أمامه، لكي يرى المسلمون تأييد الله تعالى لدينه، ويرى المشركون أن كبريائهم وعتوهم مدحوراً، ثم أجهز عليه وقتله، فكفى الله المؤمنين القتال بقتل علي عمراً، ودخل على المشركين من قتله ذل كبير، فهرب نوفل فسقط به خيله في الخندق، فزل علي عليه السلام فقتله، وأما عكرمة فنجا.

ب- أنعم الله على نعيم بن مسعود الثقفي فأسلم دون أن يعلم قومه، فقدم على النبي بين المغرب والعشاء وهو يصلي، فأخبره بإسلامه وبأن يأمره بما شاء، فأمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخذل بين الأحزاب ما استطاع، فتمكن من التفريق بين بني قريظة وقريش وغطفان فتمكن من ذلك، حتى أيس كل منهم من الآخر.

ج- قذف الله الرعب في قلوب الأحزاب بأن أرسل عليهم ريحاً شديدة ورعداً وأمطاراً وعواصف اقتلعت خيامهم وكفأت قدورهم، فلما أصبح ارتحلوا عن المدينة، مهزومين خائبين.

نتائج الغزوة:

١- استشهد ٦ من المسلمين، منهم سعد بن معاذ جرح ومرض، ثم مات بعد غزوة بني قريظة.

٢- قتل ٣ من صناديد المشركين.

٣- فشل الأحزاب في محاولة القضاء على الإسلام وأهله.

الغزوة التاسعة عشرة: غزوة بني قريظة

تاريخها: ذو القعدة.

مكانها: منازل بني قريظة في الجنوب الشرقي من المدينة المنورة، تبعد ٥كم تقريباً عن مسجد النبي صلى الله عليه وآله.

قوات المسلمين: ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف رجل.

قوات العدو: ٧٠٠ سبعمائة رجل تقريباً.

الهدف: القضاء على بني قريظة لنقضهم العهد وانضمامهم إلى الأحزاب في الخندق.

أحداث الغزوة: بعد انتهاء غزوة الخندق، توجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد صلاة الظهر إلى بني قريظة، قائلاً لأصحابه (لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة)، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مدة ١٥ يوماً، فطلبوا الجلاء من المدينة كما فعل ببني النضير، فرفض صلى الله عليه وآله وسلم إلا الإستسلام وأن ينزلوا على حكمه، فنزلوا على حكمه، فحكم فيهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم سعد بن معاذ، فحكم بقتل مقاتلتهم، وسبي ذراريهم ونسائهم، وتغنم أموالهم، فقتل رجالهم ما عدا ٣ أسلموا.

الغزوات التي كانت في السنة السادسة

الغزوة العشرون: غزوة بني لحيان

تاريخها: جماد الأول.

مكانها: غران، يبعد عن مكة ٩٠ كم تقريباً.

قوات المسلمين: أكثر من ١٠٠٠ رجل.

قوات العدو: بنو لحيان.

هدف الغزوة: معاقبة بني لحيان بسبب غدرهم بستة من دعاة المسلمين وقتلهم عند ماء الرجيع قبل عامين، وكذلك التأثير على معنويات قريش وغيرهم.

أحداث الغزوة: أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مفاجأة القوم فأظهر أنه يريد الشام، وتحرك باتجاه الشام، حتى انتشر الخبر، ثم عاد راجعاً باتجاه مكة مسرعاً في حركته حتى بلغ منازل بني لحيان بغران، لكنهم هربوا في رؤوس الجبال، ثم سار بمائتي راكب باتجاه مكة حتى بلغ عسفان، فسمعت به قريش ولم تخرج له، ثم عاد إلى المدينة.

الغزوة الحادية والعشرون: غزوة ذو قرد، وتسمى الغابة

تاريخها: جماد الأول.

مكانها: ذو قرد، جبل بأعلى وادي النقمى شمال شرق المدينة، تبعد عنها ٣٥كم تقريباً.

قوات المسلمين: ٥٠٠ إلى ٧٠٠ رجل.

قوات العدو: ٤٠ راكب تقريباً.

هدف الغزوة: مطاردة عيينة بن حصن الفزاري مع جماعة من غطفان الذين أغاروا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي الإبل الحوامل ذات اللبن، وهي ترعى بالغابة (وهي تبعد عن المسجد النبوي ٦كم تقريباً) وقتلوا حارسها واحتملوا امرأته، وساقوا الإبل وفروا نحو نجد.

أحداث الغزوة: أبصر سلمة بن الأكوع بالعدو فأنذر المسلمين وطارد العدو وحده

حتى لحقه به المسلمون، فطاردوهم حتى وصلوا إلى ماء بذي قرد، وتمكنوا من تخليص بعض الإبل والمرأة، وقد استشهد اثنان من المسلمين، وقتل اثنان من المشركين، وهرب الباقون ببعض الإبل.

الغزوة الثانية والعشرون: غزوة الحديبية

تاريخها: ذو القعدة.

مكانها: الحديبية، موضع به بئر ماء، يبعد عن مكة ٢٢كم تقريباً على طريق جدة يعرف اليوم بالشميسي.

قوات المسلمين: ١٤٠٠ رجل تقريباً.

قوات المشركين: قريش مع بعض حلفائها.

هدف الغزوة: أداء مناسك العمرة.

الأحداث: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى في المنام أنه طاف بالبيت وحلق وأخذ مفاتيح البيت، فبشر أصحابه بالفتح، فاستنفرهم إلى العمرة، فتهيؤا للمسير معه، وخرج في غير أهبة الحرب، وليس معهم إلا السيوف في القرب، وأحرم وساق الهدي وأشعرها وقلدها، وكان لا يمر بقبيلة أو حي من جهينة أو غيرهم من الأعراب إلا استحثهم على الخروج معه فيتعذرون بأموالهم وزروعهم، فعلمت قريش بخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتشاورت في أمرها فقالت: والله لا ندعه يدخل، تسمع به العرب أنه دخل مكة وطاف ورجع سالماً، فجمعت جمعها، وحشدت قوتها وأحباشها وحلفائها فخرجت تعترضه في الطريق، فلما وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عسفان، علم بخروج قريش لصده عن البيت، فسلك طريقاً جانبيه نحو الساحل، حتى وصل الحديبية، فأرسلت قريش خمسين فارساً لمهاجمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لمهاجمة المسلمين، فأسرهم المسلمون، فأطلق سراحهم ليبين للمشركين حسن النية، وأنه لا يريد سوى العمرة.

فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عروة بن مسعود الثقفي وبديل بن ورقاء وغيرهما، فأعطاهم النبي النصفة، وقال لهم: لماذا يمنعوننا من البيت وقد أحرمنا وسقنا

الهدي، وليس لنا نية في الحرب، ولكن من حاربنا حاربناه، فذهبوا إلى قريش وأخبروهم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بذل النصفة من نفسه، فأبت قريش إلا منعه.

فأرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً أول إليهم يستعلم منهم الخبر فعقروا بعيره وهموا بقتله، ولكنه نجا، ثم أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عثمان بن عفان، فأبطأ، فظن النبي وأصحابه أن قد قتل، فبايع النبي أصحابه بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت، وقيل على أن لا يفروا، فأقبل عثمان بعد البيعة.

فلما تأكدت قريش من صدق نية النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسلت سهيل بن عمرو مفاوضاً عنها، فتم صلح الحديبية بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقريش، فكتب كتاب الصلح بينهم، وكان الكاتب علياً عليه السلام، وكانت بنود الصلح كما يلي:

أ- عودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين تلك السنة بدون عمرة، وعودتهم للعمرة في العام القادم.

ب- وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين.

ج- من شاء أن يدخل في حلف النبي وعهده دخل، ومن شاء أن يدخل في حلف قريش دخل.

د- من خرج من مكة إلى المدينة يرده النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن خرج من المدينة إلى مكة فلا ترده قريش.

ولقد أصاب كثير من ضعفة النفوس من المسلمين شك وريب فيما فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموافقته لقريش على الصلح، حتى أسأ عمر بن الخطاب الأدب على النبي عدة مرات، وهمَّ بالتخذيل لو وجد أنصاراً، ولكن كان صلح الحديبية هو الفتح الكبير للمسلمين، ولكن لا يعلمون ذلك، فقد كانت بنود الصلح كلها في صالح الإسلام والمسلمين، وكانت نتائجه كما يلي:

نتائج الغزوة:

١- اعتراف قريش بالدولة الإسلامية وقوتها.

٢- إقرار المشركين بحق المسلمين في أداء العمرة، وهو اعتراف ضمني بالإسلام.

٣- تمكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بعث البعوث إلى الملوك لدعوتهم إلى الإسلام لما أمن من عدوه الكبير قريش.

٤- انفتح المجال للقبائل التي كانت تتهيب من قريش في الدخول في عهد المسلمين، فدخلت خزاعة في حلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٥- أسلم أناس كثيرون أثناء الصلح، أكثر ممن دخله من بدء الدعوة إلى الصلح، حتى أصبحت قوة المسلمين عشرة آلاف مقاتل بعد سنة ونصف من الصلح.

٦- أمن المهاجرون إلى الحبشة فعادوا بعد ذلك إلى المدينة.

٧- تمهدت الطريق أمام المسلمين لفتح مكة.

الغزوات التي كانت في السنة السابعة

الغزوة الثالثة والعشرون: غزوة فتح خيبر

تاريخها: شهر محرم.

مكانها: خيبر، بلدة معروفة شمال المدينة تبعد ١٦٥ كم على طريق الشام.

الهدف: القضاء على اليهود بخيبر بسبب تحريضهم ودعمهم لغطفان والقبائل المجاورة على مهاجمة المسلمين.

الأحداث: نلخصها فيما يلي:

١- سلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم طريقاً تحول بين مساندة غطفان لليهود حتى بلغ ماء الرجيع.

٢- وصل المسلمون إلى خيبر ليلاً دون علم اليهود، فلما أصبحوا وفتحوا باب الحصن للخروج فوجؤوا بالجيش، فهربوا وأغلقوا باب الحصن وقالوا: محمد والخميس.

٣- بدأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حصار حصون اليهود، وكانت مناطقهم التي تتواجد بها حصونهم ثلاث مناطق:

النطاة: وفيها: حصن ناعم، والصعب وقلة وقد جمعوا فيها المقاتلة.

الشق: وفيها: حصن البريء وأبي.

والكتيبة: وفيها: القموص والوطيح، والسلالم.

وكان فتح تلك الحصون كما يلي:

أ- حصار حصن ناعم ثلاثة أيام، في كل يوم يرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتيبة مع قائد، في كلها يرجعون بلا فتح، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم الثالث ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح عليه))، فأعطاها علياً، فقتل الحارث اليهودي، ومرحب اليهودي، ثم بعدها معركة شديدة، ثم فتح علياً الباب بيده.

ب- فتح حصن الصعب بعد معركة شديدة، وكان مليئاً بالطعام.

ج- فتح حصن القلة بعد حصار ثلاثة أيام ثم معركة.

د- فتح حصن أبي بعد قتال شديد انتهى بفتح الحصن.

هـ- فتح حصن البريء بعد رمي شديد بالنبل والحجارة من قبل اليهود.

و- فتح القموص بعد حصار ٢٠ يوم.

ز- استسلم حصنا الوطيح والسلالم بعد حصار ١٤ يوماً فكانا فيئاً للمسلمين.

وبعد الفتح أعاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيبر تحت أيدي اليهود على أن يكون للمسلمين نصف غلتها، حتى يأذن الله بإجلائهم منها.

الفتوحات التي ترتبت على فتح خيبر

كان فتح خيبر فتحاً عظيماً على المسلمين، وقذف الله تعالى بفتحه في قلوب اليهود رعباً وخوفاً شديداً، فما إن علم بقية اليهود في فدك ووادي القرى وتيماء بما فتح الله على نبيه من خيبر حتى سقط في أيديهم، وحصل من أمرهم ما يلي مختصراً:

١- علم يهود فدك (التي تبعد عن خيبر ١٢٠كم شرقاً) بفتح خيبر فأجلوا عنها بلا خيل ولا ركاب خوفاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرجع لهم نصف الأرض على نفس الإتفاق بينه وبين أهل خيبر.

٢- حاول يهود وادي القرى(١٠٠كم غرب خيبر) قتال المسلمين عند عودتهم إلى المدينة، ونشبت معركة استمرت إلى المساء، وفي اليوم التالي نشب القتال حتى استسلم اليهود بنفس شروط خيبر.

٣- صالح يهود تيماء (تبعد عن خيبر ٢٠٠كم تقريباً شمال خيبر) بنفس صلح أهل خيبر.

الغزوة الرابعة والعشرون: غزوة عمرة القضاء

تاريخها: ذو الحجة.

مكانها: مكة المكرمة.

قوات المسلمين: ٢٠٠٠ رجل بين راكب وراجل.

قوات العدو: قريش.

الهدف: أداء مناسك العمرة حسب شروط الحديبية.

أحداث الغزوة: استنفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه للعمرة، فخرج معه كل من كان معه في الحديبية إلا من مات أو استشهد، وخرج معه غيرهم، فأحرم من ذي الحليفة وساق معه الهدي، وكان معه ٢٠٠ مقاتل مدججين بالسلاح لحماية المسلمين، وحذراً من غدر قريش، فذعرت قريش وقالت: إن محمداً جاء بالسلاح معه، والإتفاق بيننا وبينه أن يدخل مكة وليس معه إلا سلاح المسافر، فأرسلت مبعوثين، فقال لهم: إنا لن ندخل بهم مكة، فأوقف النبي أولئك المقاتلين قرب التنعيم بموضع يعرف بأياج، فلما قرب دخوله من مكة، خرجت قريش إلى رؤوس الجبال حنقاً أن لا يروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يطوفون بالبيت، فدخلوا مكة وليس معهم إلا السيوف في أغمادها، وطافوا بالبيت وسعوا، ثم نحروا الهدي، وأرسل إلى أصحابه الذين بأياج ليأتوا ويؤدوا مناسك العمرة، وبقي غيرهم مكانهم، وأقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمكة ثلاثة أيام، ثم طلبت قريش خروجه، فخرج عائداً إلى المدينة.

الغزوات التي كانت في السنة الثامنة

الغزوة الخامسة والعشرون: غزوة فتح مكة

تاريخها: رمضان.

مكانها: مكة المكرمة.

قوات المسلمين: ١٠٠٠٠ آلاف مقاتل.

قوات العدو: قريش وحلفاؤها بنو بكر.

هدف الغزوة: فتح مكة، والقضاء على قريش وحلفائها، بسبب نقضهم لصلح الحديبية، حين أيدوا حلفائهم من بني بكر في هجومهم على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلاً فقتلت منهم، فاستغاثت خزاعة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وطلبت النصرة، فقال النبي صلوات الله عليه وآله: لا نصرت إن لم أنصركم.

الأحداث: فتح مكة من أكبر الغزوات وأعظمها، وفيها أبان الله تعالى أمر نبيه، وأظهر دينه، ونلخص أحداثها كما يلي:

١- أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم رسله وبعوثه إلى القبائل بأن يجتمعوا في المدينة في رمضان، فاجتمعت القبائل من جهينة ومزينة، وغفار، وأسلم وأشجع، وبعث إلى بني سليم فلقيته بقديد.

٢- خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمن معه من أصحابه وأهل القبائل المجاورة من المدينة، وأخفى على الناس وجهته ونيته، حتى يعمى الخبر على قريش، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم اعم على قريش الأخبار والعيون، فلم يدر الناس أين وجهتهم، وبقي الأمر خافياً على قريش حتى وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجيشه إلى مر الظهران(واد على ٢٢كم شمال مكة) فعسكر هناك، وأمر بإشعال النيران حتى تراها قريش وترعب وتجزع وتستسلم، فأشعلت نيران كثيرة.

٣- أرسلت قريش من يترصد لها الخبر فخرج أبو سفيان في نفرين معه، فلما رأى كثرة الجيش وقوته الكبيرة، ذهل ورعب وخاف، ورجع إلى قريش بعد أن رأى القبائل وهي تمر

في راياتها، مدججة بسلاحها، محذراً لهم من المقاومة، وأنه لا طاقة لهم بمحمد ومن معه، وأبلغهم مقالة النبي له (من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن).

٤- قسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الجيش إلى أربعة أقسام يدخلوا منها إلى مكة، ونهاهم عن القتال إلا من اضطر إليه، وكانت هذه الأقسام كالتالي:

أ- كتيبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخضراء واللواء بيد علي عليه السلام، وفيها المهاجرون يدخلوا من الشمال الغربي، من جهة كداء جهة المدينة.

ب- الميسرة بقيادة الزبير تدخل مكة من الشمال، من جهة منى.

ج- الميمنة بقيادة خالد بن الوليد تدخل من الجنوب جهة كدي.

د- الأنصار بقيادة قيس بن سعد بن عبادة تدخل من الغرب جهة الحجون.

٥- دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم متواضعاً مطأطئاً رأسه حتى كادت لحيته الطاهرة أن تمس سرج البعير، ودخل المسلمون من كل جهة، وضجت أرجاء مكة وربوعها بالتكبير، ولم يكن هناك قتال يذكر إلا بعض المقاومة واجهها خالد في دخوله، وبذلك تم فتح مكة عنوة.

نتائج الغزوة:

١- فتح الله مكة على نبيه والمسلمين، والقضاء على جبروت قريش وكفرها نهائياً.

٢- عفا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل مكة، إلا رجالاً ونساء سماهم بأسمائهم، ومن ثم أسلم أهل مكة، وانتشر الإسلام فيمن جاورهم.

٣- حطم النبي الأصنام وأزال كل مظاهر الشرك، وأخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن أبي طلحة، ودخلها وطمس آثار الشرك منها، ثم رده إليهم.

٤- استشهد اثنان من المسلمين، وقتل ١٣ من المشركين وجرح البعض.

الغزوة السادسة والعشرون: غزوة حنين

تاريخها: شوال.

مكانها: حنين، واد يبعد عن مكة ٢٦كم شرقاً، يعرف بالشرائع اليوم.

قوات المسلمين: ١٢٠٠٠ مقاتل.

قوات العدو: أكثر قبيلتي هوازن وثقيف.

الهدف: القضاء على تجمع هوازن وغطفان قبل مهاجمتهم للمسلمين.

الأحداث:

١- لما علمت هوازن وثقيف بفتح مكة، مشى أشرافهم بعضهم إلى بعض، وقالوا لبعضهم الآخر: إن محمداً قد لقي رجالاً لا علم لهم بالحرب، فابدؤه قبل أن يبدأكم، فتجمعت القبائل من هوازن وثقيف، وخرجوا بأموالهم ومتاعهم ونسائهم وأطفالهم وإبلهم وشائهم، فاجتمعوا في أوطاس (وهو واد شمال شرق مكة، يبعد عنها ١٩٠كم تقريباً).

٢- تقدموا بعد ذلك إلى وادي حنين حيث تمركزوا في رؤوس الجبال ومضايق الوادي، وهو واد منحدر أجوف كأنه يسير إلى هاوية، مظلم الأماكن، وعر المسلك، صعب المنال، كثير الشعاب، فتمكن العدو فيه من الإختفاء.

٣- استنفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين فخرج معه عدد كبير في قوة عظيمة، ولكنها أعجبتهم أنفسهم، وقال أبو بكر: لن نهزم اليوم من قلة، فوصلوا إلى وادي حنين فجراً، فرماهم العدو بوابل من السهام الكثيف التي ردت مقدمة جيش المسلمين إلى الوراء منسحبة إلى الخلف هاربة من وقع السهام وحر النبل، وتبعها أهل مكة، ثم المسلمين أجمعين.

٤- ثبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سبعة أو ثمانية من أصحابه المخلصين وهم: علي والعباس وأبو سفيان بن الحارث، والفضل بن العباس، وربيعة بن الحارث، وأيمن بن عبيد الخزرجي، وحارثة بن النعمان، وأسامة بن زيد، وهو على بغلته والعباس آخذ بلجامها، وأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينادي: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، وناد العباس في الناس: يا أصحاب الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، يا أصحاب السمرة، يا أصحاب بيعة الرضوان، حتى تراجع نحواً من مائة صمدوا للمشركين، وجالدوا أشد جلاد وقتال، وأشتد القتال، وبدأ المسلمون في التراجع.

٥- بنصر الله وتأييده وثبات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من الأوفياء الأبطال هزم الله المشركين وولوا الأدبار منهزمين لا يلوون على شيء مما معهم، مخلفين نساءهم وأولادهم وأموالهم غنيمة للمسلمين.

٦- انسحبت ثقيف إلى الطائف، وتحصنوا في حصنهم، فأما هوازن فانهزموا إلى أوطاس، فارسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم سرية إلى الوادي فقاتلت من به وهرب الباقون.

نتائج الغزوة:

١- القضاء على تجمع هوازن وثقيف.

٢- استشهد من المسلمين عدد غير محدد.

٣- قتل من المشركين عدد كبير أكثر من مائة.

٤- غنم المسلمون غنائم كثيرة جداً وهي:

٢٤٠٠٠ أربعة وعشرون بعير، ٤٠٠٠٠ أربعون ألف شاة، ٤٠٠٠ أربعة آلاف أوقية من الفضة، ٦٠٠٠ ستة آلاف من السبي، ووزعها النبي حين رجع من غزوة الطائف.

الغزوة السابعة والعشرون: غزوة الطائف

تاريخها: شوال.

مكانها: الطائف.

قوات المسلمين: ١٢٠٠٠ مقاتل.

قوات العدو: قبيلة ثقيف وبعض من هرب من هوازن.

الهدف: فتح الطائف، والقضاء على ثقيف وهوازن الهاربين من حنين، والمتحصنين في حصون الطائف.

الأحداث: نهض النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد حنين من فوره إلى الطائف ليتبع من هرب من ثقيف وهوازن، وسلك طريق السيل.

وصل المسلمون إلى الطائف وكانت حصونها منيعة جداً، فرموهم بالنبل والسهام حتى أصيب عدد من المسلمين، فابتعدوا عن مرمى النبل والسهام.

حاول المسلمون رمي الحصون بالمنجنيق، ولكن دون جدوى، وحاولوا فتحها بالدبابات الخشبية، ولكن ثقيف صبت عليهم الحديد المنصهر فأحرقتها.

وكان ثقيف قد استعدوا ووفروا لهم الطعام الكثير بكميات وفيرة تكفي لمدة طويلة، فحاصرهم المسلمون قرابة شهر، فعلموا باستعدادهم، واستعصى عليهم فتحها، فقرر النبي الرحيل عنها، آملاً إسلام أهلها طوعاً.

واستشهد في هذه الغزوة ١٢ من المسلمين، وأسلم ٢٠ عبداً من الطائف.

وعند عودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف أحرم بعمرة من الجعرانة، ثم رجع إلى المدينة.

الغزوات التي كانت في السنة التاسعة

الغزوة الثامنة والعشرون: غزوة تبوك

تاريخها: رجب.

مكانها: تبوك، مدينة معروفة شمال المملكة السعودية، تبعد عن المدينة ٦٨٠ كم ، أما عن طريق خيبر إلى تبوك فتبعد ٧٨٠ كم.

قوات المسلمين: ٣٠٠٠٠ ثلاثون ألف مقاتل، منهم ١٠٠٠٠ عشرة آلاف فارس.

قوات العدو: جيش كبير من الروم، يساندهم عرب لخم وجذام وعاملة وغسان.

الهدف: قتال الروم وحلفائهم الذين تجمعوا بالبلقاء لمهاجمة المدينة للقضاء على المسلمين.

أحداث الغزوة:

١- بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ملك الروم قد جمع الجيش لمهاجمة المدينة، فاستنفر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه، وأرسل إلى القبائل المجاورة، وأخبرهم أنه يريد تبوك، وأمرهم بالتهيؤ والتجهز لبعد المسافة وشدة الحر وكثرة العدو، وحثهم على النفقة والصدقة في سبيل الله، فتسابق المؤمنون في الصدقة كل على قدر حاله وماله، وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة، لصعوبتها، لأنها كانت في وقت حر شديد، وقحط وجدب في البلاد، ووقت نضوج الثمرة.

٢- خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام في المدينة لطول مدة اللبث في السفر وبعد المسافة، فقال المنافقون في ذلك: إن النبي ما ترك ابن عمه إلا استثقالاً له، فخرج علي عليه السلام حتى لحق النبي بالجرف معسكراً، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى علياً: ما جاء بك، فقال له علي مقالة المنافقين، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، وقال له ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)).

٣- تخلف كثير من المنافقين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقالوا لا تنفروا في الحر، وقد أنزل الله تعالى في المنافقين الكثير لا سيما في غزوة تبوك.

٤- انطلق الجيش عبر الصحراء فوادي القرى ثم الحجر حتى وصل إلى تبوك، فلما وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجد الروم قد انسحبوا إلى الشام، ويقال بأن الخبر الذي بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تجهزهم كان غير صحيح.

٥- أقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها ٢٠ يوماً صالح خلالها أهل أيلة، والجرباء وأذرح، ودومة الجندل، ثم عاد إلى المدينة المنورة في شهر رمضان.

وكانت هذه آخر غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

القسم الثاني: السرايا والبعوث:

السرية والبعث: جماعة يرسلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مهمة، وأقلها واحد، ولا يحضرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه، والسرايا فكثيرة جداً، وسنذكر منها ما اشتهر في كتب التواريخ والسير ومن الله نستمد المعونة والتوفيق، فأقول وبالله التوفيق:

السرايا التي وقعت في السنة الأولى

الأولى: سرية سيف البحر

تاريخها: في رمضان سنة ١هـ.

جهتها: سيف البحر من ناحية العيص.

أميرها: حمزة بن عبد المطلب.

وكان لواء حمزة أول لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أبيض، وحمله أبو مرثد كناز بن حصين الغنوي.

بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاثين رجلاً من المهاجرين، ليعترضوا قافلة لقريش جاءت من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل، فلبغوا سيف البحر من ناحية العيص، فالتقوا واصطفوا للقتال، فمشى بالصلح بينهم مجدي بن عمرو الجنبي -وكان حليفاً للفريقين جميعاً- حتى جحز بينهم فلم يقتتلوا.

الثانية: سرية رابغ :

تاريخها: في شوال سنة ١ من الهجرة.

جهتها: رابغ.

أميرها: عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

وكان لواء عبيدة أبيض، وحامله مسطح بن أثاثة بن المطلب بن عبد مناف.

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبيدة بن الحارث في ستين رجلاً من المهاجرين، فلقي أبا سفيان وهو في مائتين من المشركين على بطن رابغ، فترامى الفريقان بالنبل، ولم يقع قتال.

وفي هذه السرية انضم رجلان من أهل مكة إلى المسلمين، وكانا مسلمين خرجا مع الكفار ليتمكنا من الوصول إلى المسلمين، وهما المقداد بن عمرو البهراني، وعتبة بن غزوان المازني.

الثالثة: سرية الخرّار

تاريخها: في ذي العقدة سنة ١ هـ.

جهتها: الخرَّار- من الجحفة قريباً من خم-.

أميرها: سعد بن أبي وقاص.

كان لواء سعد رضى الله عنه أبيض، وحمله المقداد بن عمرو.

بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عشرين رجلاً ليعترضوا عيراً لقريش، وعهد إليه ألا يجاوز الخرار، فخرجوا مشاة يكمنون بالنهار، ويسيرون بالليل، حتى بلغوا الخرار بعد خمسة أيام، فوجدوا العير قد مرت في اليوم الأول.

السرايا التي كانت في السنة الثانية

الرابعة: سرية نخلة :

تاريخها: في رجب سنة ٢ هـ.

جهتها: بطن نخلة.

أميرها: عبد الله بن جحش الأسدي.

بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثمانية نفر من المهاجرين، وكتب له كتاباً، وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، فسار عبد الله ثم قرأ الكتاب بعد يومين، فإذا فيه: (إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم).

فسار حتى نزل بطن نخلة، فمرت عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة، فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة، والحكم بن كيسان مولى بني المغيرة، وكان ذلك في آخر يوم من رجب وأول يوم من شعبان، فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم، ثم اجتمعوا على اللقاء، فرمى أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسروا عثمان والحكم وأفلت نوفل، ثم قدموا بالعير والأسيرين إلى المدينة، وقد عزلوا من ذلك الخمس، وهو أول خمس كان في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول أسيرين في الإسلام.

وأنكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فعلوه، وقال: (ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام)، وتوقف عن التصرف في العير فلم يأخذ منها شيئاً وحبس الأسيرين، حتى نزل قوله تعالى: **{يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل}**(البقرة/ ٢١٧)، فقسم رسول الله صلى عليه وآله وسلم العير، وأخذ الخمس.

وأطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأسيرين، وأدى دية المقتول إلى أوليائه.

وكانت هذه السرية ضربة قاضية وجهت إلى المشركين، فبعدها تخوف المشركون، وتحققوا من

الخطر الحقيقي، ووقعوا فيما كانوا يخشونه، فقد علموا أن المسلمين في غاية التيقظ والمراقبة لكل تحركاتهم التجارية، وأنهم يستطيعون أن يصلوا إليهم ولو كانوا بعيدين ثم يقلتوا ويأسروا رجالهم، ويأخذوا أموالهم، ويرجعوا سالمين غانمين، وعلم المشركون أن تجارتهم إلى الشام أصبحت أمام خطر يهددها، فازدادوا غيظاً، وصمموا على إبادة المسلمين في عقر دارهم.

ثم جاء الأذن من الله تعالى لرسوله وللمسلين بقتال المشركين، فكانت غزوة بدر الكبرى.

وفي شهر شعبان من سنة ٢ هـ أمر الله تعالى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام.

السرايا التي كانت في السنة الثالثة

الخامسة: سرية زيد بن حارثة

تاريخها: في جمادي الآخرة سنة ٣ هـ، قبل غزوة أحد.

جهتها: الفردة – بالفاء– وقيل –بالقاف–: اسم ماء من مياه نجد.

أميرها: زيد بن حارثة الكلبي.

وتفصيلها: أن صفوان بن أمية قال لقريش: إن محمداً وصحبه عوروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، وهم لا يبرحون الساحل؟ وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه، فما ندري أين نسلك؟ وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رءوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء، وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف، وإلى الحبشة في الشتاء.

فقال الأسود بن عبد المطلب لصفوان: تنكب الطريق على الساحل وخذ طريق العراق، ولكن هذه الطريق طويلة جداً حيث تمر في شرقي المدينة على مسافة بعيدة جداً، وتمر بلاد نجد إلى الشام، ولم تكن قريش تعرفها، فأشار الأسود بن عبد المطلب على صفوان أن يتخذ فرات بن حيان دليلاً له، وهو من بني بكر بن وائل.

فخرجت عير قريش بقيادة صفوان بن أمية، ولكن سرعان ما وصلت أنباء هذه القافلة إلى المدينة. وذلك: أن سليط بن النعمان، كان قد أسلم بمكة خفية، فاجتمع في مجلس شرب قبل تحريم الخمر . مع نعيم بن مسعود الأشجعي قبل أن يسلم، فلما سكر نعيم تحدث عن العير وطريقها، فأسرع سليط إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره.

فجهز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية قوامها مائة راكب بقيادة زيد بن حارثة الكلبي، فأسرع زيد حتى داهم القافلة بغتة، وهم على غرة من أمرهم، وقد نزلوا على ماء في أرض نجد يقال له: فردة – بالفاء وقيل بالقاف – فاستولى عليها كلها، وفر صفوان ومن معه بدون أي مقاومة.

وأسر المسلمون دليل القافلة فرات بن حيان، وحملوا غنيمة كبيرة من الأواني والفضة كانت تحملها القافلة، قدرت قيمتها بمائة ألف، وقسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الغنيمة على السرية، وأخذ الخمس الذي بلغ عشرين ألف درهم، وأسلم فرات بن حيان.

فكانت هذه السرية نكبة كبيرة على قريش بعد غزوة بدر، اشتد بسببها قلق قريش، وازدادت هماً وغيظاً، فتهيؤا للقاء المسلمين في تعبئة كاملة، وغزوهم إلى المدينة المنورة، فكان ذلك من التمهيد لمعركة أحد.

السرايا والبعوث التي كانت في السنة الرابعة

السادسة: سرية أبي سلمة

تاريخها: أول شهر محرم سنة ٤ هـ.

جهتها: قطن من أرض نجد.

أميرها: أبو سلمة بن عبد الأسد.

لما انهزم المسلمون في غزوة أحد أراد بنو أسد بن خزيمة بقيادة طليحة وسلمة ابني خويلد الأسدي محاربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسارا في قومهما ومن أطاعهما قاصدين حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما بلغ خبرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث أبا سلمة في مائة وخمسين مقاتلاً من المهاجرين والأنصار، وعقد له لواء، فباغتهم أبو سلمة في ديارهم قبل أن يقوموا بغارتهم، فهربوا وتفرقوا، وأصاب المسلمون إبلاً وشاء لهم فاستاقوها، وعادوا إلى المدينة سالمين غانمين لم يلقوا حرباً.

وكان أبو سلمة قد أصابه جرح يوم أحد، فتأثر به فلم يلبث بعد عودته أن مات.

السابعة: سرية عبد الله بن أنيس

تاريخها: في الخامس المحرم سنة ٤ هـ، وقيل: سنة ٥ هـ بعد الخندق.

جهتها: وادي عرنة.

بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي اللحياني يحشد الجموع لحرب المسلمين، فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أنيس ليقتله.

قال عبدالله بن أنيس: بعثني رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم إلى خالد بن سفيان الهذلي، وكان نحو عُرَنَةَ وَعَرَفات فقال: ((اذهب فاقتله))، قال: فرأيته وحضرَتْ صلاةُ العصر فقلت: إني لأخاف أن يكون بيني وبينه ما أن أؤخرَ الصلاة، فانطلقت أمشي وأنا أصلِّي أومىء إيماءً نحوه، فلما دنوتُ منه قال لي: من أنت؟ قلت: رجل من العرب، بلغني

أنك تجمع لهذا الرجل فجئتك في ذاك، قال: إني لفي ذاك، فمشيت معه ساعةً، حتى إذا أمكنني علوته بسيفي حتى برد.

ولما قتله كان يكمن النهار ويسير الليل حتى قدم المدينة، بعد ثمانية عشر ليلة، وكان قدومه يوم السبت لسبع بقين من المحرم، وجاء برأسه، فوضعه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عصا وقال: ((هذه آية بيني وبينك يوم القيامة))، فلما حضرته الوفاة أوصى أن تجعل معه في أكفانه.

الثامنة: بعث الرجيع

تاريخه: في شهر صفر سنة ٤هـ.

أميرها: مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وقيل: عاصم بن ثابت.

قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوم من عضل والقارة، من بني خزيمة بن مدركة، وأظهروا إسلامهم، وسألوا أن يبعث معهم من يعلمهم الدين، ويقرئهم القرآن، فبعث معهم ستة نفر وقيل: بل عشرة، فذهبوا معهم، فلما كانوا بالرجيع – وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز بين رابغ وجدة– استصرخوا عليهم حياً من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام، واقتصوا آثارهم حتى لحقوهم، فأحاطوا بهم، فلجأوا إلى فدفد، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً، فأبى عاصم النزول وقاتلهم في أصحابه، فقتل منهم سبعة بالنبل، وبقي خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر، فأعطوهم العهد والميثاق مرة أخري، فنزلوا إليهم ولكنهم غدروا بهم وربطوهم بأوتار قسيهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، ورفض أن يصحبهم، فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد فباعوهما بمكة، وكانا قد قَتَلا من رؤوس المشركين يوم بدر.

فأما خبيب: فاشتراه بنو الحارث بن عامر بن نوفل، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم مسجوناً، ثم أجمعوا على قتله، فخرجوا به من الحرم إلى التنعيم، فلما أجمعوا على صلبه قال: دعوني حتى أصلي ركعتين، فتركوه فصلاهما، فلما سلم قال:

والله لولا أن تقولوا: إن ما بي جزع لزدت، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً.

فقال له أبو سفيان: أيسرك أن محمداً عندنا نضرب عنقه، وأنك في أهلك؟

فقال: لا والله، ما يسرني أني في أهلي وأن محمداً في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه.

ثم صلبوه ووكلوا به من يحرس جثته، فجاء عمرو بن أمية الضمري، فاحتمله بخدعة ليلاً، فذهب به فدفنه، وكان الذي قتل خبيب هو عقبة بن الحارث.

وروي أن خبيباً أول من سن الركعتين عند القتل، وروي أنه كان يأكل قطف العنب وهو أسير، وما بمكة يومئذ ثمرة.

وأما زيد بن الدثنة: فابتاعه صفوان بن أمية فقتله بأبيه.

وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده وكان قد قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر ـ وهي الزنابير ـ فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء.

وقيل بأن عاصماً كان قد أعطى الله عهداً ألا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً، فحفظه الله بعد وفاته كما يحفظه في حياته.

التاسعة: بعث بئر معونة

تاريخها: في شهر صفر سنة ٤ هـ.

جهتها: بئر معونة -وهي أرض بين بني عامر وبني سليم-.

وسببها: أن أبا البراء عامر بن مالك الملقب بملاعب الأسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة، فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، فقال: يا رسول الله، لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم، فقال صلى الله عليه وآله: ((إني أخاف عليهم أهل نجد))، فقال أبو البراء: أنا جار لهم، فبعث معه سبعين رجلاً، وقيل: بل كانوا أربعين، وأمر عليهم المنذر بن عمرو الساعدي، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم، ويقال لهم: القراء، فساروا يحتطبون بالنهار ويتدارسون القرآن،

ويصلون بالليل، حتى نزلوا بئر معونة، فبعثوا حرام بن ملحان الأنصاري بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل، فلم ينظر فيه، وأمر رجلاً فطعنه بالحربة من خلفه، فلما أنفذها فيه ورأى الدم، قال حرام: الله أكبر، فزت ورب الكعبة.

ثم استصرخ بني عامر إلى قتال الباقين، فلم يجيبوه لأجل جوار أبي براء وقالوا: لا نخل جواره، فاستصرخ بني سليم، فأجابته عصية ورعل وذكوان، فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد بن النجار، فإنه ارتث من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق.

وكان عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن عقبة بن عامر في سرح المسلمين فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة، فنزل المنذر، فقاتل المشركين حتى قُتل مع أصحابه، وأسر عمرو بن أمية الضمري، فلما أخبر أنه من مضر جز عامر ناصيته، وأعتقه عن رقبة كانت على أمه.

فرجع عمرو بن أمية الضمري فلما كان في أثناء الطريق نزل في ظل شجرة، فجاء رجلان من بني كلاب فنزلا معه، فلما ناما فتك بهما عمرو، وهو يرى أنه قد أخذ بثأر أصحابه، وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يعلم به.

ولما قدم المدينة أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخطب الفادح، والمصاب الجلل، بمصرع السبعين رجلاً، فتألم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألماً شديداً، وتغلب عليه الحزن والقلق، ودعا على تلك القبائل التي قامت بالغدر والفتك بأصحابه، ولقنت بلعنهم شهراً في صلاته.

ولما أخبره عمرو بما فعل في أمر القتيلين، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((لقد قتلت قتيلين لأدينهما))، وانشغل بجمع ديتهما من المسلمين ومن حلفائهم من اليهود، وكان هذا سبب غزوة بني النضير، كما سيأتي.

السرايا التي كانت في السنة الخامسة

العاشرة: سرية لقتل سلام بن أبي الحقيق

تاريخها: في ذي القعدة، وقيل: لأربع خلون من ذي الحجة سنة ٥ هـ.

جهتها: خيبر، وقيل: بل الحجاز.

أميرها: عبدالله بن عتيك.

هدفها: قتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي.

كان سلام بن أبي الحقيق من مجرمي اليهود الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأعانهم بالأموال الكثيرة، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما فرغ المسلمون من أمر بني قريظة أرسل رسول الله في قتله خمسة رجال، من بني سلمة من الخزرج بقيادة عبد الله بن عتيك.

فخرجوا متجهين نحو حصن أبي رافع، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، دخلوا على أبي رافع فقتلوه، وقيل بأن الذي تحامل عليه بالسيف حتى قتله هو عبد الله بن أنيس، وقيل: بل قتله عبد الله بن عتيك، وكان قتله ليلاً، وأوقد اليهود النيران واشتدوا في كل وجه يبحثون عن الجاني، فاختبأوا في مأمن حتى يئسوا من العثور عليهم، وانكسرت ساق عبد الله بن عتيك فحمله أصحابه، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال لعبد الله بن عتيك: (ابسط رجلك)، فبسطها، فمسح النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليها فكأنه لم يشتكها.

الحادية عشرة: سرية محمد بن مسلمة

تاريخها: العاشر من محرم سنة ٦هـ، وهي أول سرية بعد غزوتي الأحزاب وقريظة.

جهتها: القرطاء بناحية ضرية بالبكرات من أرض نجد.

أميرها: محمد بن مسلمة الأنصاري.

هدفها: القضاء على القرطاء من قبائل هوازن المتعاونين مع المشركين يوم الأحزاب.

وكان عدد هذه السرية ثلاثين راكباً، فكانوا يكمنون النهار، ويسيرون الليل، فلما أغاروا عليهم هربوا، فقتل منهم عشرة، واستاق المسلمون نعماً وشاء، وقدموا المدينة لليلة بقيت من المحرم.

وفي طريق عودتهم لقيهم ثمامة بن أثال الحنفي سيد بني حنيفة، وكان قد خرج متنكراً لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر مسيلمة الكذاب، فأخذه المسلمون، فلما جاءوا به ربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((ما ذا عندك يا ثمامة ؟)) فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه.

ثم مر به مرة أخرى؛ فقال له مثل ذلك، فرد عليه كما رد عليه أولاً.

ثم مر مرة ثالثة فقال له مثل ذلك، فرد عليه كما رد عليه أولاً، ثم قال: ((أطلقوا ثمامة))، فأطلقوه، فذهب ثمامة إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم جاءه فأسلم، وقال: والله، ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلى من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان على وجه الأرض دين أبغض إلى من دينك، فقد أصبح دينك أحب الأديان إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فبشره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمره أن يعتمر، فلما قدم على قريش قالوا: صبأت يا ثمامة، قال: لا والله، ولكني أسلمت مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانصرف إلى بلاده، ومنع الحمل إلى مكة، حتى جهدت قريش، وكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة أن يخلي لهم حمل الطعام، ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

السرايا التي كانت في السنة السادسة

الثانية عشرة: سرية عكاشة بن محصن

تاريخها: في ربيع الأول أو الآخر سنة ٦هـ.

جهتها: إلى الغمر –ماء لبني أسد–.

أميرها: عكاشة بن محصن الأسدي.

أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أربعين رجلاً إلى الغمر، فلما علموا به هربوا، وبث سراياه في بني أسد فأصاب المسلمون مائتي بعير ساقوها إلى المدينة.

الثالثة عشرة: سرية محمد بن مسلمة

تاريخها: في ربيع الأول أو الآخر سنة ٦ هـ .

جهتها: إلى ذي القصة من ديار بني ثعلبة.

أميرها: محمد بن مسلمة الأنصاري.

خرج ابن مسلمة في عشرة رجال إلى ذي القصة، فوردوا ليلاً، فكمن لهم القوم وهم مائة، فلما ناموا أحاطوا بهم، فقتلوهم وجرح ابن مسلمة وحمل إلى المدينة.

الرابعة عشرة: سرية أبي عبيدة بن الجراح

تاريخها: في ربيع الآخر سنة ٦ هـ،

جهتها: إلى ذي القصة.

أميرها: أبو عبيدة بن الجراح.

بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقتل أصحاب محمد بن مسلمة، فخرج ومعه أربعون رجلاً ليأخذوا بثأرهم، فساروا ليلتهم مشاة، ووافوا بني ثعلبة مع الصبح فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصابوا رجلاً واحداً فأسلم، وغنموا نعماً وشاء ومتاعاً.

الخامسة عشرة: سرية زيد بن حارثة

تاريخها: في ربيع الآخر سنة ٦هـ.

جهتها: إلى الجموم – ماء لبني سليم في مر الظهران–.

أميرها: زيد بن حارثة الكلبي.

خرج إليهم زيد فلقي امرأة من مزينة يقال لها: حليمة، فدلته على محلة من بني سليم، فأصابوا فيها نعماً وشاء وأسرى، فلما رجع زيد بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمزينية وزوجها.

السادسة عشرة: سرية زيد بن حارثة إلى العيص

تاريخها: في جمادي الأولي سنة ٦ هـ.

جهتها: العيص تبعد عن المدينة أربعة أميال.

أميرها: زيد بن حارثة.

بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مائة وسبعين راكباً، يطلبون عيراً لقريش سلكت طريق العراق، وأميرها أبو العاص بن الربيع، فظفروا بها، وأخذوا أموالها، وأفلت أبو العاص، فأتى زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستجار بها، –وكانت زوجته– وسألها أن تطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرد أموال العير عليه ففعلت، وأشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الناس برد الأموال من غير أن يكرههم، فردوها، ثم رجع أبو العاص إلى مكة، وأدى الودائع إلى أهلها، ثم أسلم وهاجر، فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بالنكاح الأول بعد ثلاث سنين ونيف، لأن آية تحريم المسلمات على الكفار لم تكن قد نزلت.

السابعة عشرة: سرية زيد أيضا إلى الطرف أو الطرق

تاريخها: في جمادى الآخرة سنة ٦ هـ.

جهتها: إلى الطرف أو الطرق.

أميرها: زيد بن حارثة.

خرج زيد في خمسة عشر رجلاً إلى بني ثعلبة فهربوا، وخافوا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سار إليهم، فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً، وغاب أربع ليال، ثم عاد.

الثامنة عشرة: سرية زيد إلى وادي القرى

تاريخها: في رجب سنة ٦هـ.

جهتها: إلى وادي القرى.

أميرها: زيد بن حارثة.

خرج زيد في اثني عشر رجلاً إلى وادي القرى لمراقبة تحركات العدو إن كان له تحرك، فهجم عليهم، فبلغ ذلك سكان وادي القرى، فهجموا عليهم، فقتلوا تسعة، ونجى ثلاثة فيهم زيد بن حارثة.

التاسعة عشرة: سرية عبد الرحمن إلى دومة الجندل

تاريخها: في شعبان سنة ٦هـ.

جهتها: إلى ديار بني كلب بدومة الجندل.

أميرها: عبد الرحمن بن عوف.

أرسله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سبعمائة رجل إلى بني كلب يدعوهم إلى الإسلام، فأقعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه وعممه بيده، وقال له: ((هكذا فاعتم يا ابن عوف))، ثم أوصاه وقال له: ((إن أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم))، فمكث عبد الرحمن بن عوف ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، وهم يأبون إلا مقاتلته، ثم أسلم كبيرهم وملكهم وهو الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً، فأسلم القوم معه، وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ، وفرض الجزية على من أقام على دينه منهم، ثم عاد إلى المدينة.

العشرون: سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد

تاريخها: في شعبان سنة ٦هـ.

جهتها: إلى بني سعد بن بكر بفدك.

أميرها: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وذلك أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنهم قد أجمعوا أن يمدوا يهود خيبر،

فبعث إليهم أمير المؤمنين علياً عليه السلام في مائة رجل، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأصاب عيناً لهم -أي جاسوساً- فأقر أنهم بعثوه إلى خيبر يعرضون عليهم نصرتهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر، ودلهم ذلك العين على موضع تجمع بني سعد، فأغار عليهم علي عليه السلام، فأخذ خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن، وكان رئيسهم وبر بن عليم.

الحادية والعشرون: سرية إلى وادي القرى

تاريخها: في رمضان سنة ٦هـ.

جهتها: إلى بطن من فزارة في ناحية وادي القرى، فيهم أم قرفة.

أميرها: زيد بن حارثة، وقيل: أبو بكر .

كان بنو فزارة يريدون اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت أم قرفة رئيسة فيهم، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية، وكانت شيطانة من أشد الناس عداوة، وقد جهزت ثلاثين فارساً من أهل بيتها لذلك.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه السرية فشنوا الغارة عليهم بعد الفجر، فقُتل من قُتل، وهرب من هرب، وأخذت أم قرفة وابنتها، فأما أم قرفة فقتلت، وقتل الثلاثون الذين أعدتهم لقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأما بنت أم قرفة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها إلى مكة، وفدى بها أسرى من المسلمين هناك.

الثانية والعشرون: سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين

تاريخها: في شوال سنة ٦ هـ.

جهتها: لمطاردة العرنيين.

أميرها: كرز بن جابر الفهري.

وذلك أن رهطاً من عُكل وعُرينة قدموا إلى المدينة، وأظهروا الإسلام، وأقاموا بالمدينة فاستوخموها، فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى إبل الصدقة، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها، فلما صحُّوا قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

واستاقوا الإبل، وكفروا بعد إسلامهم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرين من الصحابة، في طلبهم بقيادة كرز الفهري، ودعا على العرنيين: ((اللهم أعم عليهم الطريق، واجعلها عليهم أضيق من مسك)) فأعمى الله عليهم السبيل فأُدركوا وأخذوا، فقُطعت أيديهم وأرجلهم، وسملت أعينهم، ثم تركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا.

الثالثة والعشرون: سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام

تاريخها: في شوال سنة ٦هـ.

جهتها: إلى خيبر.

أميرها: عبد الله بن رواحة.

كان أسير بن رزام قد تأمر على اليهود بخيبر بعد قتل أبي رافع، وكان يريد حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجمع القبائل لحربه، وكان قد ذهب إلى قبائل غطفان ليجمعها على ذلك، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن رواحة في ثلاثين فارساً، وقالوا له: بعثنا إليك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليستعملك على خيبر ويحسن إليك، فطمع في ذلك وخرج في ثلاثين من اليهود، ثم ندم في الطريق، وهم بعبد الله بن أنيس ليقتله، فبادره عبد الله بن أنيس فقتله، ثم مالوا على أصحابه فقتلوهم عن آخرهم، ولم ينجو منهم إلا رجل واحد، ولم يُصب أحد من المسلمين.

الرابعة والعشرون: سرية لقتل أبي سفيان

تاريخها: في شوال سنة ٦ هـ.

جهتها: إلى مكة لقتل أبي سفيان.

كان أبو سفيان قد أرسل رجلاً أعرابياً لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أبي سلمة إلى مكة لاغتيال أبي سفيان، فلم يتمكنا من ذلك.

وهذه السرايا كانت بعد الأحزاب، وبني قريظة.

السرايا التي كانت في السنة السابعة

الخامسة والعشرون: سرية غالب الليثي إلى قديد

تاريخها: في صفر أو ربيع الأول سنة ٧هـ.

جهتها: إلى بني الملوح بقديد.

أميرها: غالب بن عبد الله الليثي.

كان بنو الملوح قد قتلوا أصحاب بشير بن سويد، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، غالباً الليثي في بضعة عشر رجلاً ليغيروا على بني الملوح، فشنوا الغارة في الليل فقتلوا من قتلوا، وساقوا النعم، وطاردهم جيش كبير من المشركين، حتى إذا قربوا من المسلمين نزل مطر وامتلأ الوادي سيلاً، فحال بين الفريقين، ونجى المسلمون.

السادسة والعشرون: سرية حسمي

تاريخها: في جمادى الآخرة سنة ٧هـ.

جهتها: إلى حسمى – بكسر الحاء- أرض ببادية الشام، وراء وادي القرى.

أميرها: زيد بن حارثة.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث دحية بن خليفة الكلبي بكتابه إلى قيصر ملك الروم، فأجازه بمال وكسوة، فلما كان دحية بحسمي في الطريق لقيه قوم من بني جُذام، فقطعوا الطريق عليه، وأخذوا ما معه، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يدخل بيته، فأخبره، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد بن حارثة إلى حسمي، في خمسمائة رجل، فشن زيد الغارة على جذام، فقتل رئيس القوم وابنه، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، واستاق نعمهم ونساءهم، فأخذ من الإبل ألف بعير، ومن الشاء خمسة آلاف، ومن السبي مائتان من النساء والصبيان.

وكانت طائفة من بني جذام قد أسلموا يقال لهم بنو الضب، فأقبل زيد بن رفاعة الجذامي في رجال من قومه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فذكروا له ما فعل زيد،

فقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم، وأمر برد الغنائم والسبي، فبعث معهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ومعه سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليكون أمارة لزيد في رد ما أخذ، فرد عليهم جميع ذلك.

السابعة والعشرون: سرية عمر بن الخطاب إلى تربة

تاريخها: في شعبان سنة ٧هـ.

جهتها: تُربة من أرض بني عامر، على أربعة أميال من المدينة، وقيل: واد بالقرب من مكة يصب في بستان بني عامر.

أميرها: عمر بن الخطاب.

بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاثين رجلاً فكانوا يسيرون الليل ويستخفون في النهار، وأتى الخبر إلى هوازن فهربوا، وجاء عمر إلى أماكنهم فلم يلق أحداً، فانصرف راجعاً إلى المدينة.

الثامنة والعشرون: سرية أبي بكر إلى بني كلاب

تاريخها: شعبان سنة ٧هـ، وقيل: سنة ٦هـ.

جهتها: إلى بني كلاب، وقيل: إلى فزارة.

أميرها: أبو بكر بن أبي قحافة.

بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبيَّت أناساً من هوازن فقتل منهم.

التاسعة والعشرون: سرية بشير بن سعد إلى بني مرة

تاريخها: في شعبان سنة ٧هـ.

جهتها: إلى بني مرة بناحية فدك.

أميرها: بشير بن سعد الأنصاري.

بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاثين رجلاً، فخرج إليهم واستاق الإبل والشاء، ثم رجع، فأدركه الطلب عند الليل، فرموهم بالنبل حتى فني نبل بشير وأصحابه، فقتلوا جميعاً إلا

بشير، فإنه جرح، فوصل إلى فدك، فأقام عند يهود حتى برأت جراحه، ثم رجع إلى المدينة.

الثلاثون: سرية غالب الليثي إلى الميفعة

تاريخها: في رمضان سنة ٧هـ.

جهتها: إلى الميفعة إلى بني عوال وبني عبد بن ثعلبة، وهي وراء بطن نخل من بلاد نجد.

أميرها: غالب بن عبد الله الليثي.

بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مائة وثلاثين رجلاً، فقتلوا وغنموا.

الحادية والثلاثون: سرية بشير بن سعد الأنصاري

تاريخها: في شوال سنة ٧ هـ

جهتها: إلى الجناب، إلى يمن وجَبار –بالفتح– من لغطفان، بعارض خيبر ووادي القرى.

أميرها: بشير بن سعد الأنصاري.

بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في ثلاثمائة من المسلمين، للقاء جمع كبير تجمعوا للإغارة على أطراف المدينة، فساروا الليل وكمنوا النهار، فلما بلغهم مسير بشير هربوا، وأصاب بشير نعماً كثيرة، وأسر رجلين، فقدم بهما المدينة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلما.

الثانية والثلاثون: سرية أبي حدرد الأسلمي إلى الغابة

تاريخها: قبل عمرة القضاء سنة ٧هـ.

جهتها: إلى الغابة.

أميرها: أبو حدرد الأسلمي.

بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن رجلاً من جشم أقبل في عدد كبير إلى الغابة، يريد أن يجمع قيساً على محاربة المسلمين، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا حدرد مع رجلين ليأتوا بخبر القوم، فوصلوا إلى القوم مع غروب الشمس، فكمن أبو حدرد في ناحية، وصاحباه في ناحية أخرى، وأبطأ على القوم راعيهم حتى دخل وقت

العشاء، فقام رئيس القوم وحده، فلما مر بأبي حدرد رماه بسهم في فؤاده فسقط ولم يتكلم، فاحتز أبو حدرد رأسه، وشد في ناحية العسكر، وكبر، وكبر صاحباه وشدا على القوم، فما كان من القوم إلا الفرار، واستاق المسلمون الثلاثة الكثير من الإبل والغنم.

وبعد رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عمرة القضاء أرسل سرايا، منها:

الثالثة والثلاثون: سرية ابن أبي العوجاء

تاريخها: في ذي الحجة سنة ٧ هـ.

جهتها: إلى بني سليم يدعوهم إلى الإسلام.

أميرها: ابن أبي العوجاء.

بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خمسين رجلاً إلى بني سليم؛ ليدعوهم إلى الإسلام، فدعاهم، فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا، ثم قاتلوا قتالاً شديداً، جرح فيه أبو العوجاء، وأسر رجلان من العدو.

السرايا التي كانت في السنة الثامنة

ومما ترتب على فتح مكة البعوثات والسرايا التالية:

١- الرابعة والثلاثون: سرية خالد لهدم العزى

تاريخها: لخمس ليال بقين من شهر رمضان سنة ٨ هـ، بعد الفتح.

جهتها: إلى منطقة نخلة لهدم العزى، وكانت العزى صنماً لقريش وجميع بني كنانة، وهي أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بني شيبان.

أميرها: خالد بن الوليد.

لما اطمأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد فتح مكة بعث خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً، لهدم العزى، فلما انتهى إليها هدمها، ولما رجع سأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((هل رأيت شيئاً؟)) قال: لا، قال: ((فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها))، فرجع خالد متغيظاً، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس، فجعل السادن يصيح بها، فضربها خالد فجزلها باثنتين، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره، فقال: ((نعم، تلك العزى، وقد أيست أن تعبد في بلادكم أبداً)).

٢- الخامسة والثلاثون: سرية عمرو بن العاص لهدم سواع

تاريخها: في رمضان سنة ٨هـ، بعد الفتح.

جهتها: إلى سواع ليهدمه، وهو صنم لهذيل برهاط، على بعد ١٥٠ كيلو متراً، شمال شرقي مكة.

أميرها: عمرو بن العاص.

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن العاص لهدم سواع، فلما انتهى إليه، قال له السادن: ما تريد؟ قال عمرو: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أهدمه، فقال السادن: لا تقدر على ذلك، قال عمرو: لمَ؟ قال تمنع.

فدنا منه فكسره، وأمر أصحابه فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئاً، ثم قال

للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

٣- السادسة والثلاثون: سرية سعد بن زيد الأشهلي لهدم مناة

تاريخها: في رمضان سنة ٨هـ، بعد الفتح.

جهتها: إلى مناة -صنم للأوس والخزرج وغسان وغيرهم، كانت بالمشلل عند قديد- لهدمها.

أميرها: سعد بن زيد الأشهلي.

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارساً إلى مناة، فلما انتهى سعد إليها قال له سادنها: ما تريد؟ قال: أريد هدم مناة، قال: أنت وذاك، فأقبل إليها سعد، وخرجت امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس، تدعو بالويل، وتضرب صدرها، فقال لها السادن: مناة دونك بعض عصاتك، فضربها سعد فقتلها، وأقبل إلى الصنم فهدمه وكسره، ولم يجدوا في خزانته شيئاً.

٤- السابعة والثلاثون: سرية خالد إلى بني جذيمة

تاريخها: شوال سنة ٨هـ.

جهتها: إلى بني جذيمة داعياً لهم إلى الإسلام لا مقاتلاً.

أميرها: خالد بن الوليد.

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني جذيمة يدعوهم إلى الإسلام، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم، فانتهى إليهم فدعاهم إلى الإسلام فقالوا: نحن مسلمون، قال: فاستأسروا، ففعلوا، فأمر بضرب أعناقهم، وكان بينهم وبين خالد في الجاهلية إحن، ولما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما فعل خالد، رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه، وقال: ((اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)) مرتين.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم، حتى ميلغة الكلب، وبقي معه بقية من المال، فقال عليه السلام: البقية لكم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما أصاب خالد مما لا نعلمه ولا تعلمونه، ولما عاد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بما فعل، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: ((أصبت)).

الثامنة والثلاثون: سرية غالب بن عبد الله الليثي

تاريخها: في صفر سنة ٨هـ.

جهتها: إلى بني مرة للأخذ بثأر بشير بن سعد وأصحابه.

أميرها: غالب بن عبد الله الليثي.

بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مائتي رجل إلى مصاب بشير بن سعد ومن معه، فهجموا عليهم، فقتلوا المقاتلة، واستاقوا الماشية، وسبوا الذرية، وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيك بن مرداس بعد أن قال: لا إله إلا الله، فلما قدموا وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عنَّفه عليه وقال: (أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟) فقال: إنما قالها متعوذاً من القتل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((أفلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟)).

التاسعة والثلاثون: سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلح

تاريخها: في ربيع الأول سنة ٨هـ.

جهتها: إلى ذات أطلح وراء وادي القرى.

أميرها: كعب بن عمير الغفاري.

كانت بنو قضاعة قد حشدت جموعاً كبيرة للغارة على المسلمين، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعب بن عمير الأنصاري في خمسة عشر رجلاً، فلقوا العدو، فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبل حتى استشهدوا جميعاً إلا رجل واحد جرح، فتحامل حتى وصل المدينة، فشق مصرعهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهم أن يبعث بعثاً آخر، فبلغه أنهم قد انتقلوا إلى موضع آخر فتركهم.

الأربعون: سرية شجاع الأسدي إلى ذات عرق

تاريخها: في ربيع الأول سنة ٨ هـ.

جهتها: إلى بني عامر من هوازن في ذات عرق.

أميرها: شجاع بن وهب الأسدي.

كانت هوازن قد أمدت الأعداء عدة مرات، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شجاع بن وهب الأسدي في خمسة وعشرين رجلاً، فأغاروا على القوم وهم غارُّون، فاستاقوا نعماً وشاء وسبياً من العدو، ولم يلقوا كيداً، ثم قدم وفدهم مسلمين فرد رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم السبي.

الحادية والأربعون: سرية معركة مؤتة

تاريخها: وقعت في جمادى الأولى سنة ٨ هـ.

جهتها: إلى بلاد الشام للقاء الروم.

أميرها: جعفر بن أبي طالب إلى أن استشهد، ثم زيد بن حارثة إلى أن استشهد، ثم عبد الله بن رواحة إلى أن استشهد، ثم خالد بن الوليد.

ومؤتة -بضم الميم وسكون الواو مهموزة-: قرية بأدنى بلقاء الشام، بينها وبين بيت المقدس مرحلتان، وهي أكبر معركة وقعت في السرايا.

سببها: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى عظيم بُصرى، فأخذه شرحبيل بن عمرو الغساني وكان عاملاً على البلقاء من أرض الشام من قبل قيصر، فضرب عنقه.

فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فندب الناس للخروج، فجهز جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل.

ثم عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللواء، وهو لواء أبيض، وأوصى الأمراء أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا بالله عليهم، وقاتلوهم، وقال لهم: (اغزوا بسم الله، وفي سبيل الله، من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا امرأة، ولا كبيراً فانياً، ولا منعزلاً بصومعة، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة، ولا تهدموا بناء).

ولما تهيأ الجيش للخروج مشى الناس إلى أمراء رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم،

يودعونهم ويدعون لهم، وناداهم المسلمون: دفع الله عنكم، وردّكم صالحين سالمين غانمين.

وبكى عبد الله بن رواحة –أحد أمراء الجيش– فقالوا: ما يبكيك؟

فقال: أما والله ما بي حب الدنيا، ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمَاً مَقْضِيَّاً}، فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود؟.

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع، فوقف وودعهم.

وتحرك الجيش الإسلامي في اتجاه الشمال حتى نزل معان، من أرض الشام، وحينئذ أتتهم الأخبار بأن هرقل نازل بمآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وقد انضم إليهم من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلي مائة ألف آخرون.

لم يكن المسلمون يتوقعون لقاء هذا الجيش الكبير الذي باغتهم في هذه الأرض البعيدة، فاحتار المسلمون، وأقاموا في معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وينظرون ويتشاورون، فقالوا: نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له.

ولكن عبد الله بن رواحة عارض هذا الرأي، وشجع الناس، قائلاً: يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطَلِقُوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة.

فوافقوا على رأي عبد الله بن رواحة، ثم تحركوا إلى أرض العدو، حتى لقيتهم جموع هرقل بقرية من قرى البلقاء يقال لها: [شارف]، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى مؤتة، فعسكروا هناك، وتعبأوا للقتال، فجعلوا على ميمنتهم قطبة بن قتادة العذري، وعلى الميسرة عبادة بن مالك الأنصاري.

فالتقى الفريقان في مؤتة، وبدأ القتال المرير، ثلاثة آلاف رجل يواجهون مائتي ألف مقاتل، في هذه المعركة العجيبة التي تأخذ الدهشة والحيرة من قرأها أو سمع بها.

وهذه تفاصيل المعركة باختصار:

روي أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم كان جالساً في المسجد، وقد خُفضَ له كل رفع، وهو ينظر إليهم يقتتلون، والناس عنده، وكأن على رؤوسهم الطير، وهو يقول: ((تهيأ القوم، وتعبأوا والتقوا))، ثم قال: ((قُتِل جعفر؛ إنا لله وإنا إليه راجعون))، وأخذ رسول الله التقطع في بطنه -أي المغص-.

قال: وكان في يد جعفرٍ عرقٌ من لحمٍ ينهسه يتقوى به إذ سمع الحطمة في المسلمين فطرح العرق من يده وما فيه، ثم أخذ السيف وتقدم وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبةٌ وباردٌ شرابها

والروم رومٌ قد دنى عذابها ... عليّ إن لاقيتها ضرابها

وقاتل حتى قتل، فصلى عليه رسول الله ـ صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم ـ ودعا له، ثم قال: ((استغفروا لأخيكم، فإنه شهيد قد دخل الجنة، فهو يطير فيها بجناحين من ياقوت، حيث يشاء من الجنة)).

وروي أن جعفراً قاتل على فرس يقال لها الشقراء فلما أرهقه القتال اقتحم عن فرسه فعقرها، ثم قاتل حتى قطعت يمينه، فأخذ الراية بشماله، ولم يزل بها حتى قطعت شماله، فاحتضنها بعضديه، فلم يزل رافعاً لها حتى قتل.

ويقال: بأن رومياً ضربه ضربة قطعته نصفين، وأثابه الله بجناحيه جناحين في الجنة، يطير بهما حيث يشاء؛ ولذلك سمي بجعفر الطيار، وبجعفر ذي الجناحين.

وروي أن جعفراً أصيب بخمسين بين طعنة وضربة، ليس منها شيء في دبره، يعني ظهره.

وروي أنه وجد في جسده بضعاً وتسعين بين طعنة ورمية كل ذلك فيما أقبل من جسده.

ثم أخذ الراية زيد بن حارثة -حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل يقاتل ببسالة بالغة، ليس لها نظير، فلم يزل يقاتل حتى شاط في رماح القوم، وخر صريعاً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ومضى قدماً حتى استشهد))، ثم صلى عليه؛ وقال: ((استغفروا له، فقد دخل الجنة وهو يسعى)).

ثم قال رسوله الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أخذ الراية عبدالله بن رواحة، ثم دخل معترضاً))، فشق ذلك على الأنصار، فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم:

((أصابته الجراح))، قيل: يا رسول الله فما اعتراضه؟ قال: ((لما أصابته الجراح نكل، فعاتب نفسه، فَشَجُع، فاستشهد، فدخل الجنة)).

فلما قتل عبد الله بن رواحة آخر الأمراء الذين عينهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تقدم رجل من بني عجلان، اسمه ثابت بن أقرم، فأخذ الراية وقال: يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت.

قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية قاتل بها قتالاً مريراً في اليوم الأول طوال النهار.

وفي اليوم الثاني دبَّر خالد مكيدة حربية ألقت الرعب في قلوب الجيش الروماني، حتى نجح في الإنحياز بالمسلمين من غير أن يقوم جيش الروم بأي مطاردة للمسلمين، لأن المسلمين لو انسحبوا من المعركة بدون تدبير لقام الروم بمطاردتهم، ولما تمكن المسلمون من النجاة من ذلك الجيش الكبير.

فقام خالد بتغيير التعبئة لجيش المسلمين، فجعل المقدمة مؤخرة، والميمنة ميسرة، فلما رآهم الروم أنكروا ذلك، وقالوا: قد جاءهم مدد، فرعبوا، فلما التقى الجيشان، ابتدأت المعركة وأخذ خالد يتأخر بالمسلمين قليلاً قليلاً، دون أن يختل نظام الجيش وتعبئته، فلم يتبعهم الرومان ظناً منهم أن المسلمين قد أعدوا الكمائن في الصحراء، وأن المسلمين يخدعونهم ليجروهم إلى الصحراء.

فبدأ العدو بالإنحياز إلى بلاده، ولم يفكر في مطاردة المسلمين، ونجح المسلمون بعون الله وتأييده في الإنسحاب سالمين، حتى عادوا إلى المدينة.

واستشهد من المسلمين اثنا عشر رجلاً.

ولم يعرف عدد قتلى الروم والذي يظهر أنهم عدد كثير.

الثانية والأربعون: سرية ذات السلاسل الأولى

تاريخها: جماد الآخرة سنة ٨هـ.

جهتها: ذات السلاسل، وهي منطقة وراء وادي القرى، بينها وبين المدينة عشرة أيام.

أميرها: عمرو بن العاص.

بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن جمعاً من بَلِيٍّ وقضاعةَ قد تجمعوا، يريدون أن يدنوا من أطراف المدينة، فبعث عمرو بن العاص في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار؛ ومعهم ثلاثون فرساً، وعقد له لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء، وأمره أن يستعين بمن مرّ به من بلي وعذرة وبلقين، لأن عمراً كان له رحم فيهم، لأن أم أبيه كانت بلوية من بلي، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتألفهم بذلك.

وكانت تلك القبائل قد اجتمعت مع الروم في معركة مؤتة ضد المسلمين، فأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤدبهم كي لا يحتشدوا مرة أخرى ضد المسلمين.

فساروا الليل وكمنوا النهار، فلما قربوا من القوم بلغهم أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث عمروٌ رافعَ الجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره بكثرتهم ويطلبه المدد، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا عبيدة بن الجراح في مائتين، وعقد له لواء، وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا.

فسارا حتى وطئا بلاد قضاعة، وبلغا أقصى بلاد بلي، ولقيا في آخر ذلك جمعاً، فقاتلهم المسلمون فانهزموا وهربوا في البلاد وتفرقوا.

الثالثة والأربعون: سرية ذات السلاسل الثانية

تاريخها: جمادى الآخرة سنة ٨هـ.

جهتها: ذات السلاسل، اسم ماء في وادي اليابس، من بلاد بني سليم.

أميرها: أمير المؤمنين علي عليه السلام.

بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن جموعاً كبيرة لبني سليم قد تجمعوا في وادي اليابس، للإنقضاض على المدينة، فأرسل أبا بكر في سرية بلغ عددها سبعمائة رجل، فلم ينجحوا، ثم أرسل عمر في سرية أخرى فكمن لهم بنو سليم في فم الوادي فهزموهم، فعادوا منهزمين، ثم أرسل خالداً فعاد مهزوماً أيضاً، ثم أرسل أمير المؤمنين علياً عليه

السلام، فسار إليهم بمن معه حتى إذا قَرُبَ منهم، أمر أصحابه بتكميم أفواه الخيل كي لا يسمعوا صهيلها، وأن يحيطوا بالقوم من جميع جهات الوادي، ثم هجم عليهم بعد صلاة الفجر وهم نيام لم يشعروا بذلك، وكان الفتح على يديه، وقتل منهم مائة وعشرين رجلاً، وقتل رئيسهم: الحارث بن بشر بن مكيدة، وأسر منهم جماعة، وعاد بغنائم كثيرة، وتلقاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرحاً بمقدمه والفتح.

وقيل: بأنها سميت ذات السلاسل: لأن الأعداء ربطوا أنفسهم بالسلاسل كي لا يفروا، ذكر هذه السرية أبو العباس الحسني في المصابيح إجمالاً.

الرابعة والأربعون: سرية الخَبَط

تاريخها: في رجب سنة ٨هـ.

جهتها: إلى حي من جهينة بساحل البحر.

أميرها: أبو عبيدة بن الجراح.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: بعثنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاثمائة راكب، أميرنا أبو عبيدة بن الجراح، نرصد عيراً لقريش، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخَبَط – وهو ورق شجر السمر–، فسمي جيش الخَبَط، فنحر رجل ثلاث جزائر، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم إن أبا عبيدة نهاه، فألقى إلينا البحر دابة يقال لها: العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، وادَّهنا منه حتى ثابت منه أجسامنا، وصلحت، وأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه، فنظر إلى أطول رجل في الجيش وأطول جمل، فحمل عليه، ومر تحته، وتزودنا من لحمة وشائق، فلما قدمنا المدينة، أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرنا له ذلك، فقال: ((هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم من لحمه شيء تطعمونا ؟)) فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه.

الخامسة والأربعون: سرية أبي قتادة إلى خضرة

تاريخها: في شعبان سنة ٨ هـ.

جهتها: إلى خضرة من أرض محارب بنجد.

أميرها: أبو قتادة الأنصاري

وذلك أن بني غطفان كانوا يتجمعون في خضرة من أرض محارب بنجد، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا قتادة في خمسة عشر رجلاً، فساروا في الليل وكمنوا بالنهار، فهجموا على جمع منهم، فجردوا سيوفهم وكبروا، فقتلوا منهم كثيراً، وغنموا مائتي بعير، وألفي شاة، وسبياً كثيراً، وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة.

السادسة والأربعون: سرية إضم

تاريخها: أول شهر رمضان سنة ٨هـ، قبل الفتح.

جهتها: إلى بطن إضم، فيما بين ذي خشب وذي المروة، على ثلاثة برد من المدينة، لغرض التعمية والإخفاء.

أميرها: أبو قتادة بن ربعي.

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعد العدة ويتأهب لفتح مكة، فأراد أن يعمي على الناس جهته التي يريد أن يتجه إليها، فبعث أبا قتادة في ثمانية رجال، ليظن الظان أنه صلى الله عليه وآله وسلم يتوجه إلى تلك الناحية، ولتذهب بذلك الأخبار، وواصلت السرية سيرها، حتى إذا وصلت إلى حيثما أُمرت، بلغها أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج إلى مكة، فساروا إليه حتى لحقوه بالسقيا مما يلي الجحفة.

السرايا التي كانت في السنة التاسعة

السابعة والأربعون: سرية عيينة بن حصن الفزاري

تاريخها: في المحرم سنة ٩هـ.

جهتها: إلى بني تميم.

أميرها: عيينة بن حصن الفزاري.

كان بنو تميم قد أغروا القبائل، ومنعوهم عن أداء الجزية، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيينة بن حصن في خمسين فارساً، لم يكن فيهم مهاجري ولا أنصاري، فخرج عيينة بن حصن يسير الليل، ويكمن النهار، حتى هجم عليهم في الصحراء فولى القوم مدبرين، وأخذ منهم أحد عشر رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبياً، وساقهم إلى المدينة، فأنزلوا في دار رملة بنت الحارث.

وقَدِمَ فيهم عشرة من رؤسائهم، فجاءوا إلى باب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنادوا: يا محمد، اخرج إلينا، فخرج، فتعلقوا به، وجعلوا يكلمونه، فوقف معهم، ثم مضى حتى صلى الظهر، ثم جلس في صحن المسجد، فأظهروا رغبتهم في المفاخرة والمباهاة، وقدموا خطيبهم عطارد بن حاجب فتكلم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثابت بن قيس بن شماس فأجابهم، ثم قدموا شاعرهم الزبرقان بن بدر، فأنشد مفاخراً، فأجابه شاعر الإسلام حسان بن ثابت على البديهة.

ولما فرغ الخطيبان والشاعران قال الأقرع بن حابس: خطيبه أخطب من خطيبنا، وشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا، وأقوالهم أعلى من أقوالنا، ثم أسلموا، فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأحسن جوائزهم، ورد لهم نساءهم وأبناءهم.

الثامنة والأربعون: سرية قطنة بن عامر إلى خثعم

تاريخها: شهر صفر سنة ٩هـ.

جهتها: إلى حي من خثعم بناحية تبالة، بالقرب من تُربة من أعمال مكة.

أميرها: قطنة بن عامر الأنصاري.

خرج قطنة في عشرين رجلاً على عشرة أبعرة يعتقبونها، فشن الغارة، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعاً، وقتل قطنة مع من قتل، وساق المسلمون النعم والنساء والشاء إلى المدينة.

وروي أنهم اعتصموا بالسجود فأسرع فيهم القتل فأمر لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنصف العقل، لاحتمال أن يكون سجودهم لله توبة إليه، أو أن يكون سجودهم خضوعاً وتعظيماً كما يفعله المشركون لعظمائهم.

التاسعة والأربعون: سرية الضحاك إلى بني كلاب

تاريخها: في ربيع الأول سنة ٩هـ.

جهتها: إلى بني كلاب.

أميرها: الضحاك بن سفيان الكلابي.

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه السرية إلى بني كلاب؛ يدعوهم إلى الإسلام، فأبوا فقاتلهم المسلمون فهزموهم، وقتلوا منهم رجلاً وهرب الباقون.

الخمسون: سرية علقمة إلى الساحل.

تاريخها: في شهر ربيع الآخر سنة ٩هـ.

جهتها: إلى ساحل جدة.

أميرها: علقمة بن مجزز المدلجي.

كان رجال من الحبشة قد اجتمعوا بالقرب من سواحل جدة للنهب، فخاض علقمة البحر حتى انتهى إلى الجزيرة التي هم فيها، فلما سمعوا بمسير المسلمين إليهم هربوا.

الحادية والخمسون: سرية أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى الفلس

تاريخها: في شهر ربيع الأول سنة ٩ هـ .

جهتها: إلى صنم لطيء يقال له: الفلس ليهدمه.

أميرها: أمير المؤمنين علي عليه السلام.

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائة وخمسين من وجوه الأنصار، معهم مائة بعير وخمسون فرساً، ومعه راية سوداء ولواء أبيض، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم الطائي مع الفجر، فهدموا الصنم، وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وكان في السبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام، ووجد المسلمون في خزانة الفلس ثلاثة أسياف هي: الرسوب والمخذم واليماني، وثلاثة أدرع، وفي الطريق قسموا الغنائم، وعزلوا الصفي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يقسموا آل حاتم.

ولما جاءوا إلى المدينة استعطفت سفانة بنت حاتم الطائي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقالت له: يا رسول الله، غاب الوافد، وانقطع الوالد، وأنا عجوز كبيرة، ما بي من خدمة، فَمُنَّ عليّ، مَنَّ اللهُ عليك .

ثم قال لها: (من وافدك ؟) قالت: عدي بن حاتم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الذي فر من الله ورسوله ؟) ثم مضى، وقالت مثل له ذلك في اليوم الثاني، وقال لها مثل ما قال. فلما كان اليوم الرابع أشار إليها أمير المؤمنين علي عليه السلام أن تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكلمته، فمن عليها.

وفي رواية أنها قالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي العرب فإني ابنة سرة قومي، كان أبي يفك العاني، ويقري الضيف، ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ومارد طالب حاجة قط عنها، إني ابنة حاتم الطائي.

فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: هذه صفة المؤمن لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه خلّوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق.

ورجعت أخت عدي بن حاتم إلى أخيها عدي بالشام، فحسنت له القدوم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقالت له: لقد فعل فعلة ما كان أبوك يفعلها، ائته راغباً أو راهباً، فجاءه عدي بغير أمان ولا كتاب.

فلما جلس بين يديه حمد الله وأثنى عليه، وقال له: (يا عدي، أسلم تسلم).

فقال عدي: إني من أهل دين. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنا أعلم بدينك منك)).

فقال عدي: أنت أعلم بديني مني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((نعم، ألست من الركوسية، وأنت تأكل مرباع قومك ؟) فقال عدي: بلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((فإن هذا لا يحل لك في دينك)). قال عدي: فلم يَعْدُ أن قالها فتواضعت لها، ثم أسلم عدي وحسن إسلامه.

الثانية والخمسون: سرية خالد إلى أكيدر دومة الجندل

تاريخها: في شهر شعبان سنة ٩هـ.

جهتها: من تبوك إلى دومة الجندل، إلى ملكها أكيدر، وكان نصرانياً.

أميرها: خالد بن الوليد.

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في تبوك خالد بن الوليد إلى ملك دومة الجندل، وهو من ملوك كندة واسمه: أكيدر، في أربعمائة وعشرين فارساً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لخالد ((إنك ستجده يصيد البقر فأتوا به، وإن أبى فاقتلوه))، فسار خالد بجيشه، فلما كان بمرأى العين قريباً من الحصن، أقبلت بقر الوحش بكثرة حتى وصلت إلى القصر، وأخذت تحك بقرونها باب القصر، وهو على سطح له مع زوجته وكانت ليلة مقمرة، فأشرفت امرأته فرأت البقر، فقالت: ما رأيت كالليلة من يترك مثل هذا؟!، ولقد كانوا يكمنون لها شهراً أو أكثر حتى يروها، فخرج أكيدر لصيدها، ومعه أخوه حسان في نفر، فتلقاه خالد في خيله، فأُسر أكيدر، وقُتل أخوه حسان، وأخذه وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحقن دمه، وصالحه على ألفي بعير، وثمانمائة رأس من الغنم، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح، وصالحه على إعطاء الجزية.

الثالثة والخمسون: سرية تبليغ برآءة

تاريخها: شهر القعدة أو الحجة سنة ٩هـ.

جهتها: إلى مكة لتبليغ البرآءة من المشركين.

أميرها: أمير المؤمنين علي عليه السلام.

قال علي عليه السلام: (لما نزلت عشر آيات من براءة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة، ثم دعا لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((أدرك أبا بكر فحيث ما لقيته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة واقرأها عليهم)) فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: ((لا، ولكن جبريل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك)).

وكانت بنود البرآءة كما يلي:

١- لا يحج بعد هذا العام مشرك.

٢- لا يطوف بالبيت عريان.

٣- من كان له عهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعهده إلى مدته.

٤- من لم يكن له عهد فله أربعة أشهر يأمن فيها، فإذا انقضت الأربعة الأشهر فلا أمان له إلا بالإسلام.

وكان هذا التبليغ توطئة وتمهيداً لحج النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما سيأتي ذلك.

السرايا التي كانت في السنة العاشرة

الرابعة والخمسون: سرية أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى اليمن

تاريخها: رمضان سنة ١٠هـ.

جهتها: إلى بلاد مذحج من أرض اليمن يدعوهم إلى الإسلام.

أميرها: أمير المؤمنين علي عليه السلام.

أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام في ثلاثمائة فارس، إلى قبائل مذحج، وعقد له لواء، وأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمامته فلفها مثنيةً مربعة فجعلها في رأس الرمح، ثم دفعها إليه، وعممه بيده المباركة، وقال له: امض ولا تلتفت.

فقال علي عليه السلام: ما أصنع؟!

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، وادعهم إلى قول لا إله إلا الله، فإن قالوا: نعم، فأمرهم بالصلاة، فإن أجابوا، فلا تبغ منهم غير ذلك، والله لئن يهدي الله على يديك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت))، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى مذحج، فلما انتهى إليهم، دعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا أصحابه عليه السلام بالنبل والحجارة، فصف عليه السلام أصحابه، وحمل عليهم فقاتلهم قتالاً شديداً، حتى قتل منهم عشرين رجلاً، وانهزموا وتفرقوا، فكف عليه السلام عن طلبهم، ثم دعاهم بعدها إلى الإسلام مرة أخرى، فأسرع جماعة من رؤسائهم إلى إجابته ومتابعته، وقالوا: نحن على مَن وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حقّ الله تعالى، فجمع عليه السلام الغنائم، وجزأها على خمسة أجزاء، ثم أخرج الخمس، وقسم بقية الغنائم بين أصحابه، ثم كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمه بذلك، فكتب إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يوافيه الموسم للحج، فرجع أمير المؤمنين عليه السلام حتى وافى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة، وأحرم بما أحرم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الخامسة والخمسون: سرية جرير البجلي إلى ذي الخلصة

تاريخها: بعد حجة الوداع قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشهرين تقريباً.

جهتها: ذو الخلصة، وهو بيت بالعبلاء، فيه نصب تعبد كان يدعى الكعبة اليمانية، وكان لأوس وخثعم وبجيلة، من أرض تبالة.

أميرها: جرير بن عبد الله البجلي.

شهد جرير حجة الوداع مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم بعثه لهدم ذي الخلصة، ثم إلى ذي الكلاع وذي أمر يدعوهم إلى الإسلام.

أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مائة وخمسين فارساً من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ألا تريحني من ذي الخلصة))، فانطلق بمن معه، فلما أتاها حرقها بالنار وكسرها، ثم بعث إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً من أحمس يبشره بذلك، فبرّك النبي صلى الله عليه وآله وسلم على خيل أحمس خمس مرات.

السرايا التي كانت في السنة الحادية عشرة

السادسة والخمسون (آخر السرايا): سرية أسامة بن زيد إلى الروم

تاريخها: أواخر شهر صفر من السنة ١١هـ.

أميرها: أسامة بن زيد بن حارثة.

جهتها: تخوم البلقاء من فلسطين بأرض الشام.

لما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة (١١)هـ، أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس بالتهيؤ لغزو الروم، فلما كان اليوم الثاني دعا أسامة بن زيد وقال له: ((سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فأغر صباحاً على أهل أبناء وحرق عليهم، وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون والطلائع أمامك)).

وتكلم أناس من المنافقين في تولية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأسامة وطعنوا في توليته، وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين.

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فغضب غضباً شديداً فخرج وقد عصب رأسه فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

((أما بعد: أيها الناس فما مقالة بلغتني من بعضكم في تأمير أسامة، ولإن طعنتم في إمارته لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده، فاستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم))، ثم نزل المنبر ودخل بيته.

وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة لتوديع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويخرجون إلى العسكر بالجراف، وهو يقول ((أنفذوا جيش أسامة، لا يتخلف عن جيش أسامة إلا عاص لله ورسوله)).

وكان أسامة ابن عشرين عاماً، وقيل: أقل.

فلما كان يوم الأربعاء بدأ الوجع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأتته الحمى والصداع.

فلما كان يوم الخميس عقد لأسامة لواءاً بيده، فخرج بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بريدة الأسلمي، وعسكر بالجراف –على ثلاثة أميال من المدينة إلى جهة الشام– فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب وخرج.

فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه.

وفي يوم الاثنين دخل عليه أسامة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((اغد على بركة الله))، فودعه أسامة، وخرج إلى معسكره.

فأمر الناس بالرحيل، ثم جاءهم خبر وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل الجيش إلى المدينة، ولم ينفذوا كما أمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسيأتي بقية الكلام حول هذا إن شاء الله تعالى في خبر وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذه أشهر السرايا والبعوثات التي أرسلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واستقصاؤها يحتاج إلى تطويل أكثر، والله سبحانه وتعالى أعلم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

المرحلة الثالثة: نشر الدعوة في أصقاع الأرض وملوكها

كان صلح الحديبية من تهيئة الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وتسهيله لنشر دينه وشريعته، فقد تفرغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أثناء فترة صلح الحديبية لنشر الدين في أصقاع البسيطة، ومكاتبة ملوك الأرض لدعوتهم إلى الإسلام.

فما هو إلا أن رجع صلى الله عليه وآله وسلم بعد الحديبية حتى كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام.

ففي غرة شهر محرم في أول السنة السابعة للهجرة بدأت المكاتبات، فاختار من أصحابه رسلاً لهم معرفة وخبرة وأرسلهم إلى الملوك.

وقبل ذلك اتخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاتماً من فضة ليختم به الكتب التي يرسل بها إلى الملوك وكان نقش ذلك الخاتم: محمد رسول الله.

محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر.

وسنلخص تلك المكاتبات كالآتي:-

الأول: مكاتبة ملك الحبشة

الرسول: عمرو بن أمية الضمري.

إلى الملك: النجاشي، واسمه: أصحمة بن الأبجر.

السنة: في آخر السنة السادسة، أو في أول السابعة.

نص الكتاب: ((بسم الله الرحمن الرحيم:

هذا كتاب من محمد رسول الله، إلى النجاشي، الأصحم عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبه ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الإسلام، فإني أنا رسوله فأسلم تسلم، {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون}، فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك)).

موقف الملك من الكتاب: لما بلَغ عمرو بن أمية الضمري كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى النجاشي، أخذه النجاشي، ووضعه على عينه، ونزل عن سريره على الأرض، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب، وكتب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً قال فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم:

إلى محمد رسول الله، من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسي، فورب السماء والأرض إن عيسي لا يزيد على ما ذكرت تفروقاً، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قَرَينا ابن عمك وأصحابك، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد طلب من النجاشي أن يرسل جعفراً ومن معه من مهاجري الحبشة، فأرسلهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري، فقدم بهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بخيبر.

وتوفي النجاشي في رجب سنة تسع من الهجرة بعد تبوك، ونعاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم وفاته إلى المسلمين وقال: ((إن أخاكم النجاشي قد مات))، وصلى عليه صلاة الجنازة صلاة الغائب، ورفع له النعش حتى رآه وصلى عليه.

ولما مات وتخلف على عرشه ملك آخر كتب إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً آخر، ولا يُدرى هل أسلم أم لا؟

الثاني: مكاتبة المقوقس ملك مصر

الرسول: حاطب بن أبي بلتعة.

الملك: جريج بن متى، الملقب المقوقس، ملك مصر والإسكندرية.

السنة: أول السنة السابعة.

نص الكتاب: ((بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط، {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون})).

حوار الرسول مع الملك: لما دخل حاطب على المقوقس قال له: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك.

فقال المقوقس: إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه.

فقال حاطب: ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسي بعيسي إلا كبشارة عيسي بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، فكل نبي أدرك قوماً فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به.

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهي عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى، وسأنظر.

موقف الملك من الكتاب وجوابه:

وأخذ المقوقس كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجعله في حُق من عاج، وختم عليه، ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما

مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت بغلة لتركبها، والسلام عليك).

والجاريتان هما:

مارية بنت شمعون: اتخذها النبي صلى الله عليه وآله وسلم سرية له، وهي أم ولده إبراهيم.

وأختها سيرين: وهبها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحسان بن ثابت الأنصاري، وهي أم ولده عبد الرحمن.

والبغلة الشهباء: هي دلدل، بقيت إلى زمن معاوية.

ويقال بأنه أرسل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً:

ألف مثقال من الذهب.

وعشرين ثوباً ليناً من قباطي مصر.

وخصي يقال له: مأبور -بالباء الموحدة من أسفل-، وقيل: مأثور -بالثاء المثلثة-.

وحمار أشهب يقال له عبير، ويقال يعفور.

وعسل من عسل بنهاء - وهي بلدة في مصر عسلها مشهور بالجودة- فأعجب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عسلها، ودعا فيه بالبركة.

ولم يسلم المقوقس بل مات على النصرانية.

الثالث: مكاتبة قيصر ملك الروم

الرسول: دحية بن خليفة الكلبي.

إلى الملك: قيصر ملك الروم، واسمه هرقل.

نص الكتاب: ((بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى.

أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون})[آل عمران/٦٤].

حوار قيصر حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

عن ابن عباس قال: حدثني أبو سفيان من فيه إلى فيَّ قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى هرقل، وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم (بصرى)، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل.

فقال هرقل: هاهنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟.

فقالوا: نعم، فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟.

قال أبو سفيان: فقلت أنا، فأجلسوني بين يده وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بترجمانه فقال: قلهم: إني سائل عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي فإن كذبني، فكذبوه.

قال أبو سفيان: وأيم الله، لولا أن يؤثر عليَّ الكذب لكذبت.

ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟

قال: قلت: هو فينا ذو حسب.

قال: فهل كان من آبائه ملك؟

قال: قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟.

قلت: لا.

قال: أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟.

قال: قلت: بل ضعفاؤهم.

قال: يزيدون أم ينقصون؟.

قال: قلت: لا، بل يزيدون.

قال: هل يرتد أحدهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟

قال: قلت: لا.

قال: فهل قاتلتموه؟.

قلت: نعم.

قال: فكيف قتالكم إياه؟

قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالاً، يصيب منَّا ونصيب منه.

قال: فهل يغدر؟

قال قلت: لا، ونحن منه في هدنة هذه المدة، لا ندري ما هو صانع فيها.

قال: والله ما أمكنتني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه.

قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟.

قلت: لا.

ثم قال لترجمانه: قله إني سألتك عن حسبه فيكم؟ فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل، تبعث في أحساب قومها.

وسألتك أكان من آبائه ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت: ولو كان من آبائه ملك، قلت: رجل يطلب ملك آبائه.

وسألتك عن أتباعه: أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم ليكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله.

وسألتك: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب.

وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟، فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك: هل قاتلتموه؟، فزعمت أنكم قاتلتموه فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً، فينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة.

وسألتك: هل يغدر؟، فزعمت أن لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله؟، فزعمت أن لا، فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله، قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله.

ثم قال: بِمَ يأمركم؟.

قلت: يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصلة، والعفاف.

قال: إن يك ما تقول فيه حقاً فإنه نبي، ولقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أك أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي.

قال: ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقرأه.

فلما فرغ من قراءة الكتاب، ارتفعت الأصوات، وكثر اللغط، وأمر بنا فأخرجنا، قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه سيظهر حتى أدخل الله عَليَّ الإسلام.

فدعا هرقل عظماء الروم فجمعهم في دار له، فقال: يا معشر الروم، هل لكم بالفلاح والرشد، آخر الأبد، وأن يثبت لكم ملككم.

قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت.

فقال: عليَّ بهم فدعاهم، فقال: إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحببت فسجدوا له ورضوا عنه.

موقف هرقل من الكتاب: لقد أثر كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نفسية هرقل تأثيراً بليغاً، حتى همّ أن يسلم، ولكنه خاف على ملكه، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ضن اللئيم بملكه)).

وقد أجاز هرقل دحية بن خليفة الكلبي، حامل كتاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمال وكسوة، ولما كان دحية بحسمي في الطريق لقيه ناس من جذام، فقطعوها عليه، فلم يتركوا معه شيئاً، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يدخل بيته، فأخبره، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى حسمي في سرية، وقد تقدم ذكر ذلك في سرايا السنة السابعة.

الرابع: مكاتبة كسرى ملك الفرس

الرسول: عبد الله بن حذافة السهمي.

إلى الملك: كسرى الفرس، واسمه: أبرويز بن أنوشروان.

نص الكتاب: ((بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لينذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك).

موقف كسرى من الكتاب: لما قرئ الكتاب على كسرى، -وكان من كراع أدم- قال لعبد الله: أعجز صاحبكم أن يكتب إلا في كراع ثم شققه ومزقه، وقيل: حرقه بالنار.

وقال في غطرسة وتجبر: عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي.

فلما عاد عبد الله بن حذافة، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بجوابه، قال صلى الله عليه وآله: ((مُزِّق ملكه)).

انتقام الله من كسرى:

كتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن: ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به.

فبعث باذان رجلين من عنده، أحدهما: جليسه وكاتبه بانويه.

وثانيهما: خرخسرو من الفرس، وبعث معهما بكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى، فلما قدما المدينة، ودخلا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال له بانويه: إن شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره بأن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني إليك لتنطلق معي، فإن أحببت كتبت فيك كتاباً ينفعك، وإن أبيت فهو مهلكك ومهلك قومك.

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله: ((ارجعا حتى تأتياني غداً)).

وكان شيرويه بن كسرى على أبيه قد قام على أبيه فقتله، وأخذ الملك لنفسه، وكان ذلك في ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع.

فأعلم الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك.

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله أحضرهما وأخبرهما بذلك، فقالا: ما ندري؟

فقال ((بلى، أخبرا عني باذان أن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملكه، وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك من الأبناء))، ثم أعطى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله خرخسرو منطقة فيها ذهب وفضة، كان أهديت إليه، ثم فارقاه ومضيا إلى باذان، فأخبراه بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: والله، ما هذا بكلام ملك، ولا أرى الرجل إلا نبياً كما يقول، ولننظرن ما قال، فإن كان حقاً فإنه لنبي بني إسرائيل، فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يقول:

أما بعد: فإني قتلت كسرى أبرويز ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما استحل من قتل خيارهم وأشرافهم وجوره فيهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر في الرجل الذي كان كتب كسرى أبرويز إليك فيه فخذه، ولا تهجه حتى يأتيك فيه أمري.

فلما قرأ باذان كتاب شيرويه قال: إن هذا الرجل لرسول الله حقاً، فأسلم، وأسلمت الأبناء من فارس ممن كان منهم باليمن.

الخامس: مكاتبة صاحب اليمامة

الرسول: سليط بن عمرو العامري.

إلى حاكم اليمامة: هوذة بن علي الحنفي.

نص الكتاب: ((بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله، إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى.

واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعلُ لك ما تحت يديك)).

موقفه من الكتاب: لما قدم سليط على هوذة بالكتاب مختوماً أنزله وحباه، وقرأ عليه الكتاب، فرد عليه رداً دون رد، وكتب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك)، وأجاز سليطاً بجائزة، وكساه أثواباً من نسج هجر.

فقدم بذلك كله على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه فقال: ((لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت، باد، وباد ما في يديه)).

ومات هوذة عام الفتح.

السادس: مكاتبة ملك البلقاء (دمشق)

الرسول: شجاع بن وهب الأسدي.

إلى ملك: البلقاء (دمشق)، واسمه الحارث بن أبي شمر الغساني.

نص الكتاب: ((بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله، إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقي لك ملكك)).

موقفه من الكتاب:

لما أبلغه الكتاب رمي به وقال : من ينزع ملكي مني؟ أنا سائر إليه، ولم يسلم.

واستأذن قيصر في حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمنعه من ذلك.

ثم أجاز الحارثُ شجاع بن وهب بالكسوة والنفقة، ورده بالحسنى.

السابع: مكاتبة ملكي عمان

الرسول: عمرو بن العاص.

إلى ملكي: عمان، جيفر وأخيه عبد ابني الجلندي

السنة: في ذي القعدة سنة ثمان للهجرة.

نص الكتاب: ((بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما)).

موقفهما من الكتاب:

فخرج عمرو حتى انتهى إلى عمان، فلما قدمها عمدَ إلى عبد – وكان أحلم الرجلين،

وأسهلهما خلقاً- فقال له: إني رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليك وإلى أخيك.

قال: وما تدعو إليه؟

قلت: أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبدت من دونه، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهي عنه؟

قال عمرو: يأمر بطاعة الله عز وجل وينهي عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهي عن الظلم والعدوان، وعن الزنا، وعن الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب.

قال عبد: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً.

قال عمرو: إنه إن أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فيردها على فقيرهم.

قال عبد: إن هذا لخلق حسن، وما الصدقة؟

فأخبره عمرو بما فرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصدقات في الأموال.

فمكث عمرو عنده أياماً، ثم إنه دعاه يوماً فدخل عليه، فقال: تكلم بحاجتك.

فدفع إليه الكتاب مختوماً، ففض خاتمه، وقرأ حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قراءته، ثم قال: دعني يومي هذا، وارجع إلي غداً.

ثم أجابا إلى الإسلام، وصدقا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وخليا بين عمرو وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا له عوناً على من خالفه.

ومات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمرو عندهما.

الثامن: مكاتبة حاكم البحرين

الرسول: العلاء بن الحضرمي.

إلى ملك: البحرين، واسمه المنذر بن ساوي العبدي.

كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، فأسلم، وكتب المنذر إلى رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم: أما بعد، يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إلي في ذلك أمرك.

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطيع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلم نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية)).

التاسع: بعوث أخرى

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري باليمن، وأمره أن يقرأ عليه سورة البينة، ففعل.

فقال الحارث: سأنظر في أمري، ثم بعث بإسلامه، وكتب بذلك هو وجميع ملوك حمير مع مالك بن مرارة.

وقيل: بأن الحارث وفد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك هو وأصحابه مسلمين، فأكرمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفرش له ردآءه.

وبعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن بعد تبوك في ربيع الأول سنة عشر، داعيين إلى الإسلام، فأسلم غالب أهل اليمن، ملوكهم وعامتهم.

وبعث الأقرع بن عبد الله الحميري حين رجع من تبوك إلى عمر ذي مران الهمداني أحد أقيال اليمن، وإلى طائفة من أهل اليمن، وكتب لهم معه كتاباً، فبلغه إسلامه وإسلام قومه.

وبعث عتبة بن نيار إلى زرعة بن سيف بن ذي يزن وكتب له كتاباً بالفضة.

وبعث محصة بن مسعود الأنصاري إلى أهل فدك يدعوهم إلى الإسلام.

وبعث ضرار بن الأزور الأسدي إلى بني الصيداء وهم بطن من أسد من العدنانية، وإلى بعض بني الديل.

وبعث حنظلة بن الربيع إلى أهل الطائف.

وبعث مرثد بن ظبيان السدوسي إلى بكر بن وائل وكتب لهم كتاباً.

وبعث عمار بن ياسر إلى حي من قيس يعلمهم شرائع الإسلام.

المرحلة الرابعة: استقبال الوفود

لم تزل الوفود آحاداً وجماعات يفدون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ أظهر الله دينه، ولكن انبعث الأكثر، ووفد الجم الأوفر، بعد فتح مكة، في عام الوفود وهو السنة التاسعة، واستمر الوفود في السنة العاشرة وفي السنة الحادية عشرة، حتى بلغ عدد الوفود إلى أكثر من سبعين وفداً من شتى أنحاء الجزيرة العربية.

لأن العرب كانت متربصة بالإسلام وأهله، منتظرين ما يكون من قريش تجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأن قريشاً هم الذين نصبوا الحرب لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهم قادة العرب لأنهم أهل البيت والحرم، والعرب تبع لهم.

فلما فتحت مكة علمت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله وعداوته، فدخلوا في دين الله أفواجاً، كما قال الله تعالى في سورة النصر {إذا جاء نصر الله والفتح،}، فجعلت وفود العرب تفد عليه صلى الله عليه وآله فيبشرهم ويقيمون عنده أياماً يعلمهم دينهم، ويسألونه عن ما يحتاجون إليه من أمر دينهم ودنياهم، ويكرمهم ويضيفهم ويجيزهم ويزودهم.

مع أن بعض القبائل كانت قد وفدت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الفتح، إلا أن عامة الوفود كان بعد الفتح.

وتتابع الوفود يدل على أمور هامة:

الأول: أن الدعوة الإسلامية قد نالت قبولاً واسعاً، وامتداداً بسيطاً، ونفوذاً وامتداداً في أنحاء الجزيرة العربية.

الثاني: أن المدينة قد صارت عاصمة الجزيرة العربية، فلا يمكن الإغضاء عنها، أو صرف النظر إلى غيرها، فقد أصبح العرب ينظرون إلى المدينة بنظر التقدير والإجلال، فلم تكن ترى محيصاً عن الاستسلام أمامها، والانضواء تحت لوائها، إما ترغيباً أو ترهيباً، عن قناعة تامة أو توصلاً إلى منفعة أو دفعاً للضرر.

الثالث: ليس كل الوفود كانوا ممن قد تمكن الدين في أنفسهم؛ بل كان في أوساطهم كثير من الأعراب الجفاة الذين استسلموا خوفاً أو طمعاً، أو تبعاً لسادتهم، ولم تكن أنفسهم قد قبلت تعاليم الإسلام قبولاً يؤثر فيها، ويصلح خللها.

وقد وصف القرآن بعضهم في آيات كثيرة، كقوله تعالى في سورة التوبة: {الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دآئرة السوء والله سميع عليم}[التوبة/٩٧، ٩٨].

وكما يقول تعالى {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم}، إلى غيرها من الآيات.

وأثنى على آخرين منهم فقال تعالى: {ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم}[التوبة:٩٩].

ويمكن أن نقسم الوفود إلى قسمين:

القسم الأول: الوفود قبل الفتح.

والقسم الثاني: الوفود بعد الفتح.

وسنذكر من القسمين أهم الوفود الذين وفدوا:

القسم الأول: الوفود قبل الفتح

١- وفد مزينة من مضر

كان أول من وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفد مزينة من مضر، وذلك في رجب من السنة الخامسة.

فوفد بلال بن الحارث المزني والنعمان بن هلال المزني في أربعمائة من قومهم، فأسلموا وجعل لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهجرة في دارهم وقال لهم ((أنتم مهاجرون حيث كنتم فارجعوا)).

٢- ضمام بن ثعلبة السعدي

قدم في السنة الخامسة، وقيل بعدها:

قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضمام بن ثعلبة السعدي أرسله قومه بنو سعد بن بكر، فأناخ بعيره على باب المسجد، وكان ضمام رجلاً جعداً ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو في المسجد مع أصحابه، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنا ابن عبد المطلب)).

قال: أمحمدٌ؟، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((نعم)).

قال ضمام: يا ابن عبد المطلب، إني سائلك ومشدد ومغلظ عليك في المسألة فلا تجدنّ علي في نفسك: قال: ((لا أجد في نفسي، فسل عمَّا بدا لك)).

قال: أنشدك الله -إلهك وإله من كان قبلك وإله من كان بعدك- آلله بعثك إلينا رسولاً؟.

قال: ((اللهم، نعم))، إلى أن قال:

فإني أشهدك أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وسأودي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص، ثم انصرف إلى بعيره راجعاً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة))، فلما قدم على قومه كان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى،

قالوا: مه يا ضمام، اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون.

قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جيئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه.

قال: فوالله ما أمسى ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً.

قال ابن عباس: ما سمعنا بوافد كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

٣- وفد عبد القيس من ربيعة

وفدت هذه القبيلة مرتين:

الأولى: قبل الفتح سنة خمس من الهجرة، وقيل سنة سبع، كان رجل منهم يقال له منقذ بن حيان، يرد المدينة للتجارة، فجاء المدينة بتجارته بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأسلم، وذهب بكتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قومه فأسلموا، فوفد منهم ثلاثة أو أربعة عشر رجلاً، وكان فيهم الأشج، فذكروا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كبيرهم وسيدهم، واسمه عبد الله بن عوف، وقيل: المنذر بن عائذ، فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة))، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان وعن الأشربة.

والثانية: كانت في عام الوفود، وكان عددهم فيها أربعين رجلاً، وكان فيهم الجارود بن عمرو بن العلاء العبدي، وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه.

٤- وفود رفاعة بن زيد الجذامي

وفد رفاعة بن زيد الجذامي في هدنة الحديبية قبل خيبر في عشرة من قومه، وقيل: في مائتين من قومه، وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غلاماً يسمى مدعماً، وأسلم رفاعة ومن معه وحسن إسلامه، وكتب له كتاباً قومه إلى الله وإلى رسوله، وجعل لهم أماناً مدة شهرين، فأجابوا وأسلموا.

٥- وفد دوس

كانت وفادتهم بعد الخندق في سنة سبع من الهجرة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خيبر، فنزلوا المدينة، ثم لحقوا به.

وقد تقدم ذكرهم عند ذكر إسلام الطفيل، ونلخصه هنا:

وكان الطفيل بن عمرو الدوسي رجلاً شريفاً، شاعراً لبيباً، وكان رئيس قبيلة دوس، قدم مكة في عام ١١ من البعثة، فأسلم، ورجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، وجعل الله له آية، وكانت آيته أنه لما دنا من قومه جعل الله نوراً في وجهه مثل المصباح، فقال: اللهم في غير وجهي، أخشى أن يقولوا: هذه مُثلة، فتحول النور إلى سوطه، فدعا أباه وزوجته إلى الإسلام فأسلما، وأبطأ عليه قومه في الإسلام، لكن لم يزل بهم حتى هاجر بعد الخندق، ومعه سبعون أو ثمانون بيتاً من قومه، وقد أبلى في الإسلام بلاءً حسناً، وقتل شهيداً يوم اليمامة.

٦- وفد الحبشة

وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعون رجلاً من الحبشة، جاؤا مع جعفر بن أبي طالب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خيبر.

٧- رسول فروة بن عمرو الجذامي

كان فروة قائداً من قواد الرومان، عاملاً لهم على من يليهم من العرب، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام.

قيل: بعث إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعوه إلى الإسلام، فأسلم.

وقيل: بل أسلم رغبة، لما رأى من جلاد المسلمين وشجاعتهم، في معركة مؤتة سنة ٨هـ، ولما أسلم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً من عنده يقال له مسعود بن سعد، يخبره بإسلامه.س

وأهدى له بغلة بيضاء يقال لها فضة.

وفرساً يقال له الظرب.

وحماراً يقال له يعفور.

وبعث أثواباً وقباء سندسياً مذهباً.

ولما علم قيصر الروم بإسلامه أخذه وأمر بحبسه، ووعده أن يرد ملكه إن رجع عن الإسلام، فأبى، فصلبوه بفلسطين على ماء يقال له: عفراء، وضربوا عنقه.

٨- وفد بني عبس من غطفان

وكانوا تسعة، فيهم حذيفة بن اليمان العبسي وأبوه اليمان، وسألهم عن خالد بن سنان أله عقب فيهم، وقال: ((ذاك نبي ضيعه قومه)).

٩- قيس بن شيبة السلمي

قدم قيس سنة ثمان، قبيل الفتح، فأسلم ورجع إلى قومه، فأسلموا، فلما كان الفتح خرجت بنو سليم في سبعمائة رجل، وقيل: في ألف رجل، فشهدوا الفتح وحنيناً والطائف.

١٠- وفد هوازن

قدم عليه وفد هوازن في ذي القعدة سنة (٨)هـ، وهو بالجعرانة، مرجعه من حصار الطائف، وكانوا أربعة وعشرين بيتاً، فيهم أبو برقان السعدي عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة، فأسلموا وبايعوا، وكلموه في رد سبيهم، فرده عليهم.

١١- وفد صُدَاء

وفدوا بعد انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة سنة (٨)هـ:

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هيأ بعثاً من أربعمائة من المسلمين، وأمرهم أن يطأوا ناحية من اليمن فيها صداء، وبينما ذلك البعث معسكر بصدر قناة علم به زياد بن الحارث الصدائي، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: جئتك وافداً على من ورائي، فاردد الجيش وأنا لك بقومي، فرد الجيش من صدر قناة، وجاء الصدائي إلى قومه فرغبهم في القدوم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقدم عليه خمسة عشر رجلاً منهم، وبايعوه على الإسلام، ثم رجعوا إلى قومهم، فدعوهم ففشا فيهم الإسلام، فوافا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم مائة رجل في حجة الوداع.

القسم الثاني: الوفود عام الفتح

وأما الوفود بعد فتح مكة، فقد كثرت أعدادهم، وتواترت أمدادهم، فقد أصبح مأوى الأفئدة تحت سيطرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد خضعت قريش وذلت، وأسلم بعض أهل مكة واستسلم بعض طوعاً وكرعاً، وطمعاً وخوفاً.

ولهذا فإن الله تعالى فضل من آمن وهاجر قبل الفتح على من آمن وهاجر بعد الفتح، فقبل الفتح كانت المشقة والصعوبات أشد وأشق، وأما بعد الفتح فقد لانت الصعوبات، وخفت الشدائد.

ونعني بالوفود بعد الفتح وفود بقية السنة الثامنة، والسنة التاسعة، والعاشرة، والحادية عشرة، ونذكر هنا بعضاً من الوفود بعد الفتح:

فمن الوفود في أثناء السنة الثامنة بعد الفتح:

١- قدوم كعب بن زهير بن أبي سلمى :

كان من بيت الشعراء، ومن أشعر العرب، وكان يهجو النبي صلى الله عليه ،آله وسلم، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة الطائف سنة (٨)هـ، كتب إلى كعب بن زهير أخوه بجير بن زهير كتاباً يخبره فيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهدر دماء عدد من الشعراء الذين كانوا يؤذونه ويهجونه، وقد قتل منهم رجال بمكة ممن قبض عليهم، وهرب البقية منهم في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه لا يقتل أحداً جاء تائباً، وإلا فانج إلى نجاتك.

فضاقت الأرض على كعب، وخاف على نفسه، فقدم إلى المدينة، ونزل على رجل من جهينة، وصلى معه الصبح، فلما انصرف أشار عليه الجهني، فقام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعرفه فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((نعم)).

قال: أنا كعب بن زهير، فوثب عليه رجل من الصحابة يستأذن في ضرب عنقه.

فقال: ((دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً نازعاً عما كان عليه)).

وحينئذ أنشد كعب قصيدة البردة المشهورة التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول — متيم إثرها لم يفد مكبولُ

إلى أن قال يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويمدحه:

نبئت أن رسول الله أوعدني — والعفو عند رسول الله مأمولُ

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ — ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيلُ

لا تأخذنِّي بأقوال الوشاة ولم — أذنب ولو كثرت فيّ الأقاويلُ

لقد أقوم مقاماً لو يقوم به — أرى وأسمع ما لو يسمع الفيلُ

إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به — مهند من سيوف الله مسلول

إلى آخر القصيدة وهي مشهورة، حتى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجازه بجائزة فخمة، حين ألقى عليه بردته التي تسمى (البراء)، واشتهرت بقصيدة البردة، ولم تزل البردة مع كعب بن زهير حتى مات.

الوفود في السنة التاسعة

١- وفد عذرة

قدموا في صفر سنة (٩)هـ، وهم اثنا عشر رجلاً فيهم حمزة بن النعمان.

وحين سئلوا من القوم؟

قالوا: نحن بنو عذرة، إخوة قصي لأمه، نحن الذين عضدوا قصياً، وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبني بكر، لنا قرابات وأرحام.

فرحب بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأسلموا، وسألوه عن هرقل فقال لهم ((أبشروا ستفتح عليكم الشام، ويهرب هرقل إلى ممتنع بلاده))، ونهاهم عن سؤال الكاهنة، وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها، وأقاموا أياماً ثم رجعوا.

٢- وفد بَلِي

قدموا في ربيع الأول سنة (٩)هـ، نزلوا على رويفع بن ثابت، وأسلموا وأقاموا بالمدينة ثلاثاً، وقد سأل رئيسهم أبو الضبيب عن الضيافة هل فيها أجر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((نعم، وكل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة))، وسأل عن وقت الضيافة، فقال: ((ثلاثة أيام))، وسأل عن ضالة الغنم، فقال: ((هي لك أو لأخيك أو للذنب))، وسأل عن ضالة البعير، فقال: ((مالك وله ؟ دعه حتى يجده صاحبه)).

٣- وفد ثقيف

وفدوا في رمضان سنة (٩)هـ، بعد قدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك.

وكان عروة بن مسعود الثقفي قد جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم عروة، ورجع إلى قومه، ودعاهم إلى الإسلام -وكان سيداً مطاعاً في قومه، وكان أحب إليهم من أبكارهم- فلما دعاهم إلى الإسلام رموه بالنبل من كل وجه حتى قتلوه، ثم أقاموا بعد قتله أشهراً، ثم ائتمروا بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب الذين قد بايعوا وأسلموا، فأجمعوا أن يرسلوا رجلاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكلموا عبد ياليل بن عمرو، -وكان من وجوههم-، وعرضوا

فأبى، وخاف أن يصنعوا به إذا رجع مثل ما صنعوا بعروة، وقال: لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً، فبعثوا معه خمسة -رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك-، فصاروا ستة فيهم عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكان أحدثهم سناً.

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرب عليهم قبة في ناحية المسجد، لكي يسمعوا القرآن، ويروا الناس إذا صلوا، ومكثوا يختلفون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يدعوهم إلى الإسلام، حتى سأل رئيسهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأذن لهم الزنا وشرب الخمور وأكل الربا، ويترك لهم طاغيتهم اللات، وأن يعفيهم من الصلاة، وألا يكسروا أصنامهم بأيديهم، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقبل شيئاً من ذلك، فتشاوروا فلم يجدوا محيصاً عن الاستسلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاستسلموا وأسلموا، واشترطوا أن يتولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هدم اللات، وأن ثقيفاً لا يهدمونها بأيديهم أبداً، فقبل ذلك، وكتب لهم كتاباً، وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص الثقفي.

فلما رجع الوفد إلى قومه كتموهم الحقيقة، وخوفوهم بالحرب والقتال، وأظهروا الحزن والكآبة، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألهم الإسلام وترك الزنا والخمر والربا وغيرها وإلا قاتلهم، فأخذت ثقيفاً نخوة الجاهلية، فمكثوا يومين أو ثلاثة يريدون القتال، ثم ألقي الله في قلوبهم الرعب، وقالوا للوفد: ارجعوا إليه فأعطوه ما سأل، فأبدى الوفد حقيقة الأمر، وأظهروا ما صالحوا عليه، فأسلمت ثقيف.

٤- مالك بن مرة رسول ملوك اليمن:

وقدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرجعه من تبوك رسول ملوك حمير باليمن، -وهم الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان، وقيل ذي رعين وهمدان ومعافر-، ورسولهم إليه صلى الله عليه وآله وسلم مالك بن مرة الرهاوي، بعثوه بإسلامهم وكتابهم، وكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً قال فيه: ((من محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحرث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان، قيل: ذي رعين، ومعافر، وهمدان، أما بعد ذلكم:

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وقد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين))، ثم كتب لهم فرائض الزكاة وسائر الفرائض، وقال: ((فمن زاد فهو خيرٌ له)).

وكتب إلى زرعة بن ذي يزن: (إذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً، معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة بن نمير، ومالك بن مرارة، وأصحابهم)) إلى آخره.

وقال النبي صلى الله عليه وآله لمعاذ حين بعثه إليهم بعدما أوصاه وعهد إليه: ((يسر ولا تعسر، وبشر ولا تنفر، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب، وسيسألونك ما مفتاح الجنة؟ فقل: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له))، إلى آخر القصة.

٥- وفد همدان

قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفد همدان من مخلاف يام وشاكر، مرجعه من تبوك سنة (٩)هـ، عليهم الحَبَرَات والعمائم العدنية، على الرواحل المهرية والأرحبية، برحال الميسن، وهم يرتجزون:

همدان خير سوقة وأقيال ليس لهم في العالمين أمثال

لهم عطايا جمة وأكال

ومالك بن النمط يرتجز ويقول:

إليك جاوزن سواد الريف في هفوات الصيف والخريف

ومخطمات بحبال الليف

فقال رسول الله صلى الله وآله وسلم: ((يا حبذا همدان ما أسرعها للنصرة، وأصبرها على الجبهة))، وقال: ((أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً، وأرق أفئدة، الإيمان يمان، والحكمة يمانية)).

فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه، وأمر عليهم مالك بن النمط الهمداني الخارفي، ويقال له: الوافد ذو المشعار، واستعمله على من أسلم من قومه.

وكان قد بعث إلى اليمن خالد بن الوليد يدعوهم إلى الإسلام، فأقام ستة أشهر يدعوهم فلم

يجيبوه، ثم بعث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأمره أن يقفل خالداً، فجاء علي إلى همدان، وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا جميعاً في يوم واحد، وكتب علي بإسلامهم إلى رسول صلى الله عليه وآله وسلم، فلما قرأ الكتاب خر ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: ((السلام على همدان، السلام على همدان)).

٧ـ وفد بني فزارة :

قدم هذا الوفد سنة ٩هـ بعد مرجعه صلى الله عليه وسلم من تبوك، قدم في بضعة عشر رجلا جاءوا مقرين بالإسلام، وشكوا جدب بلادهم، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، فرفع يديه واستسقي، وقال: (اللهم اسق بلادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، مريئاً مريعاً، طبقاً واسعاً، عاجلاً غير آجل، نافعاً غير ضار، اللهم سقيا رحمة، لا سقيا عذاب، ولا هدم ولا غرق ولا محق، اللهم اسقنا الغيث، وانصرنا على الأعداء).

٨- قدوم فروة بن مسيك المرادي

وقدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة (٩)هـ، مفارقاً لملوك كندة، ومباعداً لهم، وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة، أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا، حتى أثخنوهم في يوم يقال له: يوم الردم، ولما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا فروة، هل سآءك ما أصاب قومك يوم الردم؟)) قال: يا رسول الله، من الذي يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم ولا يسوؤه ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً))، واستعمله صلى الله عليه وآله وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، وكان معه في بلاده إلى أن توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٩- وفد تجيب من حضرموت

وقدم في السنة (٩)هـ، وهم بطن من كندة وكان الوفد منهم ثلاثة عشر رجلاً.

وقدموا معهم بصدقات قومهم التي فرض الله عليهم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ردوها فاقسموها على فقرائكم))، فقالوا: (ما قدمنا عليك إلا بما فضل عنهم)، وسألوه عن القرآن والسنن، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أشياء فكتب لهم بها، فسُرَّ بهم النبي صلى الله عليه وآله وازداد فيهم رغبة، وأكرم منزلتهم، وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم، ولم يطيلوا اللبث، وأجازهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأرفع مما كان يجيز به الوفود، وبعثوا إليه غلاماً كانوا خلفوه في رحالهم، فجاء الغلام، وطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يسأل الله عز وجل أن يغفر له ويرحمه، وأن يجعل غناه في قلبه، فدعا له بذلك، فكان أقنع الناس، وثبت في الردة على الإسلام، وذكر قومه ووعظهم فثبتوا عليه، والتقي الوفد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مرة أخرى في حجة الوداع سنة (١٠)هـ.

١٠- وفد طيئ

وقدم في السنة التاسعة أيضاً: وفد طيء، وكانوا خمسة عشر رجلاً، وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم، فأسلموا وحسن إسلامهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد : (ما ذكر لي رجل من العرب بفضل، ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل، فإنه لم يبلغ كل ما فيه))، وسماه زيد الخير.

١٣ ـ وفد كندة

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأشعث بن قيس في وفد كندة، ثمانين راكباً وقد رجلوا جممهم، ولبسوا جياد الحَبَرات مكففة بالحرير فقال لهم: ((ألم تسلموا)). قالوا: بلى. قال: ((فما بال هذا الحرير)) فنزعوه، ثم قال الأشعث: يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار، وأنت ابن آكل المرار، فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: ((ناسبوا بهذا النسب ربيعة بن الحارث، والعباس بن عبد المطلب))، وكانا تاجرين، وكانا إذا سارا في أرض العرب فسئلا ممن أنتما؟ قالوا: بنو آكل المرار، ليتعززا بذلك في العرب؛ لأن بني آكل المرار من كندة، كانوا ملوكاً، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم: ((لا نحن بنو النضر بن كنانة لا تنتفوا منا ولا ننتفي من أبينا)).

١٤- وفد بني حنيفة

وفي السنة (٩)هـ قدم وفد بني حنيفة، وكانوا سبعة عشر رجلاً فيهم مسيلمة بن ثمامة، المعروف بمسيلمة الكذاب، ونزلوا في بيت رجل من الأنصار، ثم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلموا، وأما مسيلمة الكذاب، فلم يحضر مع الوفد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي يده قطعة من جريد، ومعه خطيبه ثابت بن قيس بن شماس، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فكلمه، فقال له مسيلمة: إن شئت خلينا بينك وبين الأمر، ثم جعلته لنا بعدك، فقال صلى الله عليه وآله: (لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، والله إني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عني)، ثم انصرف، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى في المنام أنه أتي بخزائن الأرض، فوقع في يديه سواران من ذهب، فكبرا عليه وأهماه، فأوحي إليه أن انفخهما فنفخهما فذهبا، فأولهما كذابين يخرجان من بعده.

ولما رجع مسيلمة إلى اليمامة ادعى أنه أشرك في الأمر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فادعى النبوة، وجعل يسجع السجعات، وأحل لقومه الخمر والزنا، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نبي، وافتتن به قومه فتبعوه، حتى تفاقم أمره، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً قال فيه: إني أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأمر، ولقريش نصف الأمر، فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكتاب قال فيه: ((إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين)).

وكان ادعاء مسيلمة النبوة سنة عشر، وقتل في حرب اليمامة في جروب الردة في ربيع الأول سنة (١٢)هـ، قتله وحشي قاتل حمزة.

١٥- وفد بني عامر بن صعصعة :

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفد بني عامر، وفيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس، وكان عامر يريد الغدر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال له قومه: إن الناس قد أسلموا، قال: والله، لقد كنت آليت لا أنتهي حتى يتبع العرب عقبي، فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش، ثم قال لأربد: إن قدمنا على هذا الرجل فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعلِه بالسيف، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال عامر: يا محمد، خالني.

قال: ((لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له)).

قال: يا محمد، خالِني.

قال: وجعل يكلمه ينتظر من أربد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يحيل شيئاً، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال: يا محمد خالني، قال: ((لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له)) فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: والله لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((اللهم، اكفني عامر بن الطفيل)).

فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال عامر لأربد: ويلك يا أربد أينما كنت أمرتك به، والله ما كان على وجه الأرض رجل أخوف عندي على نفسي منك، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً، قال: لا أباً لك!! لا تعجل علي، والله ما هممت بالذي أمرتني به إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف، وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يقول: يا بني عامرُ، أغدة كغدة البكر في بيت امرأة من بني سلول، ثم خرج أصحابه حتى واروه، حتى قدموا أرض بني عامر، فأتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أربد، قال: لا شيء والله، لقد دعانا إلى عبادة شيءٍ لو وددت أنه الآن عندي فأرميه بالنبل حتى أقتله، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.

وروي أن عامراً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

أخيرك بين خصال ثلاث:

يكون لك أهل السهل ولي أهل المدر، أو أكون خليفتك من بعدك، أو أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء، فطعن في بيت امرأة، فقال : أغدة كغدة البعير، في بيت امرأة من بني فلان ! ايتوني بفرسي، فركب، فمات على فرسه.

١٦- وفد نجران

قدم وفد نجران بعد الفتح، في شهر ذي الحجة الحرام، من السنة التاسعة:

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب كتاباً إلى أهل نجران يدعوهم فيه إلى الإسلام، وكانوا يدينون بدين النصرانية، فكتب إلى كبيرهم وهو أُسْقفُ نجران، المسمى أبا حارثة، وكان هو القائم بشؤون الكنيسة في الحجاز بأكمله.

فلما وصل سفيرُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى نجران، سلَّم إليهم كتاب رسول الله فقرأه الأُسْقف وتأمله، فاستدعى كبار الشخصيات البارزة في نجران وما جاورها من المناطق للمشورة في هذا الأمر، واتخاذ قرار متفق عليه من جميع الأطراف.

فلما حضروا عنده استشار رجلاً يقال له شرحبيل وهو من أهل الرأي والحكمة والعقل والتدبير عندهم، فقال له الأسقف: ما تقول في هذا الأمر يا شرحبيل؟

فقال له: قد علمتَ ما وعدَ الله به إبراهيم الخليل في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمنك أن يكون هذا الرجل هو النبي الموعود.

فتشاوروا في الأمر، فاتفق رأيهم على أن يبعثوا وفداً من ذوي الرأي والحكمة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنورة، لينظروا في دلائل وبينات نبوته صلى الله عليه وآله وسلم، ويبحثوا في الموضوع بجدٍّ وعزم، فاختاروا من علمائهم وعقالهم وكبارهم وأهل الرأي فيهم، وحملوا معهم الهدايا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكانوا أربعة عشر راكباً من نصارى نجران، وسبعين راكباً من أشراف بني الحارث بن كعب.

فلما قدِمَ الوفد إلى المدينة، دخلوا مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهم يلبسون الديباج والحرير، وفي أيديهم خواتيم الذهب، ويحملون الصليب في أعناقهم، فلما رآهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على تلك الهيئة انزعج منهم، وساءه منظرهم وهيئتهم، ولا

سيما في المسجد، وانزعج المسلمون لذلك أيضاً.

فشعر الوفد وأحسوا بذلك، فسألوا عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانت بينهم صداقة قديمة، فسألا أمير المؤمنين علياً عليه السلام عن سبب انزعاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقالا له: يا أبا الحسن ما ترى في هؤلاء القوم؟.

فقال علي عليه السلام: أرى أن يضعوا حللهم وحليهم وخواتيم الذهب، ثم يعودون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ففعلوا ما أمرهم به فنزعوا ما عليهم من الحلي والحلل، ثم رجعوا فدخلوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسلموا عليه، فرد عليهم السلام واحترمهم، وقدموا إليه هداياهم، فقبل بعضها، ورد البعض الآخر منها.

فعرض عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدخولَ في الإسلام، وتلى عليهم القرآن، فامتنعوا من القبول، وقالوا: قد كنا مسلمين قبلك.

فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كذبتم، يمنعكم من الإسلام ثلاث خلال: عبادتُكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن لله ولداً.

فقالوا: المسيح هو الله، لأنه أحيا الموتى، وأخبر بالغيوب، وأبرأ من الأدواء كلها، وخلق من الطين طيراً.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هو عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم.

فقال أحدهم: المسيح ابن الله، لأنه لا أب له.

فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأنزل الله عليه قوله تعالى: **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}**.

فطلبوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم المباهلة وقالوا: هلمّ فلْنلاعنْكَ أيّنا أولى بالحق، فنجعل لعنة الله على الكاذب منا.

فأذن الله لنبيه في المباهلة وأنزل عليه آية المباهلة، فدعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها فقبلوا ذلك، واتفقوا على أن تكون في اليوم الثاني، وعلى أن تكون المباهلةُ خارج المدينة في الصحراء.

فلما كان اليوم الثاني أقبل الناس من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم من الناس،

في قبائلهم وعشائرهم وشعاراتهم، وهم في أحسن هيئة، وخرج وفد نجران إلى مكان المباهلة، ينتظرون قدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أهل نجران قد اشتوروا فيما بينهم في أمر المباهلة، وقال بعضهم لبعض: انظروا محمداً فإن جاء غداً بولده وأهله وخاصته فاحذروا مباهلته، فإنه نبيء، وإن جاء بأصحابه وأتباعه فباهلوه فإنه ليس على شيء.

فطلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي صحبته أربعة نفر، وهو يحتضن الحسين، وآخذ للحسن عليه السلام في يده، وإذا علي وفاطمة يمشيان خلفه، وهو يقول لهم: إذا دعوت فأمِّنوا.

فلما رأى وفد نجران ذلك الوفد، وتلك الوجوه المشرقة، قال كبيرهم وهو أُسْقف نجران: يا معشر النصارى، إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني.

فتسارعوا متسابقين يستترون بالأشجار والأحجار والجدران مخافة أن يبدأهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بالمباهلة، وهم يصيحون وينادون بأعلى صوتهم:

يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نباهلك، يا أبا القاسم أقلنا أقالك الله.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أقيلكم على أن تجيبوني إلى واحدة من ثلاث:

فقالوا: وما هي؟.

فقال: أدعوكم إلى الإسلام، فتكونون إخواننا لكم مالنا وعليكم ما علينا.

قالوا: لا سبيل إلى هذه.

قال: جزية نفرضها عليكم تؤدونها إلينا كل سنة، وأنتم صاغرون.

قالوا: لا سبيل إلى هذه، فهات الثالثة.

قال: الحرب.

قالوا: لا طاقة لنا بك، فصالحوه على ألفي حلة ألف في رجب، وألف في صفر، وعلى عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين رمحاً، وثلاثين فرساً إن كان باليمن كيد، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضامن بها حتى يؤديها إليهم.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((والذي نفسي بيده لقد تدلّى العذاب على أهل

نجران، ولو لاعنوني لمسخوا قردة وخنازير، ولو باهلتهم ما بقي على وجه الأرض منهم أحد، ولأضرم الله عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله، حتى الطير في رؤوس الشجر، ولقد حُشِرَ علي بالطير والعصافير من رؤوس الشجر لمباهلتهم))، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علياً عليه السلام أن يكتب لهم كتاب الصلح، ويضمن لهم الأمان، فلما رجع وفد نجران عاد منهم السيد وهو صاحب رحلتهم، والعاقب وهو أميرهم وصاحب مشورتهم وعن رأيه يصدرون، إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسلما، وأهدى له العاقب حلةً وعصاً وقدحاً ونعلين.

١٧- وافدة النساء

وقدم عليه صلى الله عليه وآله وسلم وافدة النساء، عن عبد الله بن عمر قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأتته أسماء بنت سهل فقالت: بأبي أنت وأمي، أنا وافدة النساء إليك، ما من امرأة في شرق ولا غرب إلا ورأيها رأيي، إن الله بعثك إلينا فآمنا بك وبالإله الذي بعثك، وإنا معاشر النساء عوان، مقصورات بيوتكم، مقضيات شهواتكم، حاملات أولادكم، والله فضلكم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المريض، وشهادة الجنازة، والحج والعمرة والجهاد، وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو مجاهداً جمعنا له الطعام، وحفظنا المال، وعزلنا الثوب، فما أجرنا في ذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم والتفت إلى أصحابه: ((هل سمعتم مقالةً أحسن من مقالتها))، ثم قال: ((ارجعي وراءَكِ وأخبري من خلفكِ من النساء: أن متابعة إحداكن زوجها وطلبها مرضاته يعدل ذلك كله)) ففرحت استبشاراً بما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الوفود في السنة العاشرة

ومن الوفود الذين قدموا في السنة العاشرة:

١- وفد الأزد

قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صرد بن عبد الله الأزدي، في وفد بني الأزد فحسن إسلامه، فأمره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهله الشرك من قبائل اليمن، فخرج حتى نزل بـ(جرش) وهو يومئذٍ مدينة مغلقة، فحاصرهم قريباً من شهر فامتنعوا منه فرجع عنهم قافلاً حتى انتهى إلى جبل لهم يقال له: كشر فظنوا أنه ولى منهزماً، فخرجوا في طلبه، فعطف عليهم فقتلهم قتلاً شديداً، وقد كانوا بعثوا رجلين منهم يرتادان وينظران فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشية بعد العصر إذا قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((بأي بلاد شكر؟)).

فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له: كشر.

فقال: ((إنه ليس بكشر، ولكنه شكر)).

قالا: فما شأنه يا رسول الله؟

فقال: ((إن بدن الله لتنحر عنده الآن))، فجلس الرجلان إلى أبي بكر وإلى عثمان، فقالا لهما: ويحكما إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لينعي لكما قومكما فقوما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فقاما إليه فسألاه ذلك، فقال: ((اللهم، ارفع عنهم)) فخرجا من عند رسول الله صلى الله وآله وسلم راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما أصيبوا في ذلك اليوم، في تلك الساعة.

فخرج وفد (جرش) حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأسلموا.

٢- وفد بني الحارث بن كعب

وشهر جماد الأولى أو ربيع الثاني، في السنة العاشرة: أقبل وفد بني الحارث، وفيهم قيس بن الحصين الحارثي، ويقال له ذو الغصة، فأسلموا، وكتب له كتاباً إلى قومه.

٣- وفد خولان

ذكر أنهم كانوا عشرة، وأنهم قدموا في شعبان سنة عشر، وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنمهم الذي كان يقال له عم أنس، فقالوا: أبدلناه خيراً منه، ولو قد رجعنا لهدمناه، وتعلموا القرآن والسنن، فلما رجعوا هدموا الصنم، وأحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله.

٤- وفد بني محارب

قدم وفد محارب سنة عشر في حجة الوداع وهم عشرة نفر فيهم سواء بن الحارث، وابنه خزيمة بن سواء، فأنزلوا دار رملة بنت الحارث، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء فأسلموا، وقالوا: نحن على من وراءنا.

ولم يكن أحد في تلك المواسم أفظ ولا أغلظ على رسول الله منهم وكان في الوفد رجل منهم فعرفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: الحمد لله الذي أبقاني حتى صدقت بك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن هذه القلوب بيد الله عز وجل))، ومسح رسول الله وجه خزيمة بن سواء فصارت غرة بيضاء، وأجازهم كما يجيز الوفد وانصرفوا إلى بلادهم.

٤- وفد سلامان

وفي شوال من السنة العاشرة قدم عليه صلى الله عليه وآله وسلم وفد سلامان من قضاعة، وهم سبعة نفر، فأسلموا، وشكوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم جدب بلادهم، فدعا لهم، فلما انصرفو إلى بلادهم وجدوها قد مطرت في اليوم الذي دع لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٥- وفد غامد

وفي السنة العاشرة أيضاً قدم وفد غامد من عرب اليمن وهم عشرة، فأسلموا، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً في الشرائع، وعلمهم أبي بن كعب القرآن.

٦- وفد الرهاويين

وفي السنة العاشرة أيضاً: وفد الرهاويون، وهم حي من مذحج، وكانوا خمسة عشر رجلاً، فأسلموا، وتعلموا القرآن والفرائض، ثم انصرفوا.

وكان فيهم عمرو بن سبيع الرهاوي فعقد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لواء، إلا أنه كان مع القاسطين في يوم صفين.

٧- وفد زبيد

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن معدي كرب الزبيدي، في أناس من زبيد فأسلم، وأقام عمرو بن معدي كرب الزبيدي في قومه في بني زبيد، وعليهم فروة بن مسيك فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارتد عمرو بن معدي كرب، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان له مواقف مشهورة في قتال الفرس، وقتل في نهاوند.

وممن وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

وفد تغلب، والصدف، وحضرموت، وباهلة، وجعدة، وبنو عقيل، وجيشان من اليمن، وكلب، وأسلم، وبارق من الكوفة، وأزد عمان، ومهرة من قضاعة باليمن، وجرم، وجهينة، وبني هلال بن عامر، وكنانة، ورؤاس، وسعد العشيرة، وبني نهد من اليمن.

وآخر الوفود: وفد النخع، وكان قدومهم في نصف المحرم في السنة الحادية عشرة في مائتي رجل، فنزلوا دار الأضياف، وجاؤا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقرين بالإسلام.

وفود الجن المسلمين

وقد وفدت الجن أفراداً وقبائل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسلمين ومؤمنين كما وفد الإنس، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله إلى كافة الثقلين، ونذكر بعضاً مما حكاه المؤرخون وأهل السير:

١- وفد نصيبين

وقد تقدم ذكر خبرهم بعد عودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطائف.

٢- عرفطة بن سراج وافد بني لجاج

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال:

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مسجده في يوم مطير ذي سحائب ورياح ونحن ملتفون حوله، فسمعنا صوتاً لا نرى شخصه وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله، فرد عليه السلام وقال: ((ردوا على أخيكم السلام))، قال فرددنا عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من أنت؟)).

قال: أنا عرفطة بن سراج أحد بني لجاج، أتيتك يا رسول الله مسلماً.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((مرحباً بك يا عرفطة، اظهر لنا رحمك الله في صورتك)).

قال سلمان: فظهر لنا شيخ أزب أشعر، قد لبس وجهه شعراً غليظاً متكاثفاً قد واراه، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً، وله فم في صدره فيه أنياب بادية طوال، وإذا له في موضع الأظفار من يديه مخاليب كمخاليب السباع، فلما رأيناه اقشعرت جلودنا ودنونا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الشيخ: يا نبي الله ابعث معي من يدعو جماعة قومي إلى الإسلام، وأنا أرده إليك سالماً إن شاء الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه ((أيكم يقوم معه فيبلغ الجن عني وله على الله الجنة))، فما قام أحد، وقال الثانية وثالثة فما قام أحد.

فقال علي: أنا يا رسول الله، فالتفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشيخ فقال ((وافِنِي إلى الحرة في هذه الليلة أبعث معك رجلاً يفصل بحكمي، وينطق بلساني، ويبلغ الجن عني)).

قال سلمان: فغاب الشيخ وأقمنا يومنا، فلما صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم العشاء الآخرة وانصرف الناس من مسجده، قال ((يا سلمان سر معي))، فخرجت معه وعلي بين يديه حتى أتيت الحرة، فإذا الشيخ على بعير كالشاة، وإذا بعير آخر على ارتفاع الفرس، فجعل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً، وحملني خلفه وشد وسطي إلى وسطه بعمامة، وعصب عيني، وقال: ((يا سلمان: لا تفتحن عينك حتى تسمع علياً يؤذن، ولا يرعك ما تسمع، وإنك آمن إن شاء الله)).

ثم أوصى علياً بما أحب أن يوصيه ثم قال: ((سيروا، ولا قوة إلا بالله)).

فثار البعير ثم رفع سائراً يدف كدفيف النعام، وعلي يتلو القران، فسرنا ليلتنا حتى إذا طلع الفجر أذن علي وأناخ البعير وقال: (انزل يا سلمان)، فحللت عيني ونزلت، فإذا أرض قوراء لا ماء ولا شجر ولا عود ولا حجر، فلما بان الفجر أقام علي الصلاة وتقدم وصلى بنا أنا والشيخ ولا أزال أسمع الحس، حتى إذا سلم علي التفت فإذا خلق عظيم لا يُسمِعُهم إلا الخطيب الصيت الجهير، فأقام علي يسبح ربه حتى طلعت الشمس ثم قام بينهم خطيباً، فخطبهم واعترضه منهم مردة، فأقبل علي عليهم فقال: (أفبالحق تكذبون، وعن القرآن تصدفون، وبآيات الله تجحدون).

ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: بالكلمة العظمى، والأسماء الحسنى، والعزائم الكبرى، والحي القيوم محيي الموتى، ورب الأرض والسماء، يا حرسة الجن، ورصدة الشياطين، خدام الله الشراهاليين، ذوي الأرواح الطاهرة، اهبطوا بالجمرة التي لا تطفأ، والشهاب الثاقب، والشواظ المحرق، والنحاس القاتل، بـ(المص، والذاريات، وكهيعص، والطواسين، ويس، ونون والقلم ومايسطرون، والنجم إذا هوى، والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور، والأقسام والأحكام، ومواضع النجوم لما أسرعتم الانحدار إلى المردة المتولعين المتكبرين الجاحدين لآيات رب العالمين).

قال سلمان: فحسست بالأرض من تحتي ترتعد، وسمعت في الهواء دوياً شديداً، ثم نزلت نار من السماء صعق لها كل من رآها من الجن، وخرت على وجوهها مغشياً عليها، وخررت أنا على وجهي ثم أفقت، فإذا دخان يفور من الأرض يحول بيني وبين النظر إلى عبثة المردة من الجن، فأقام الدخان طويلاً بالأرض.

قال سلمان: فصاح بهم علي ارفعوا رؤوسكم فقد أهلك الله الظالمين، ثم عاد إلى خطبته فقال:

يا معشر الجن والشياطين والغيلان، وبني شمراج وبني لجاج، وسكان الآجام والرمال والأقعار، وجميع شياطين البلدان، اعملوا أن الأرض قد ملئت عدلاً، كما كانت مملوءة جوراً، هذا هو الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون.

قال سلمان: فعجبت الجن لعلمه وانقادوا مذعنين له وقالوا: آمنا بالله وبرسوله وبرسول رسوله لا نكذب وأنت الصادق.

قال سلمان: وانصرفنا في الليل على البعير الذي كنا عليه وشد علي وسطي إلى وسطه وقال: (اعصب عينيك واذكر الله في نفسك)، وسرنا يدف بنا البعير دفيفاً، والشيخ الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمامنا حتى قدمنا الحرة وذلك قبل طلوع الفجر، فنزل علي ونزلت وسرح البعير فمضى، ودخلنا المدينة فصلينا الغداة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما سلم رآنا فقال لعلي: ((كيف رأيت القوم)).

قال: أجابوا وأذعنوا، وقص عليه خبرهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أما إنهم لا يزالون لك هائبين إلى يوم القيامة)).

المرحلة الخامسة: الإكمال للدين وخاتمة التبليغ

بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل ما أوحي إليه، وكل ما أمره به ربه تبارك وتعالى، من التشريعات، من تحليل وتحريم، وأمر ونهي، وصلاة وصيام وزكاة وغيرها، وبقي من التشريعات الإسلامية فريضة كبرى، وركن من أركان الإسلام العظمى، وهي فريضة الحج.

فقد نزلت فريضة الحج على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة السادسة للهجرة، وأخره إلى السنة العاشرة لأسباب:

منها: أن الأوقات كانت قد اختلت وتغيرت وحصل فيها تقديم وتأخير، بسبب ما كان يعمله أهل الجاهلية من النسيء، فكان الحج فيما مضى في غير وقته.

ومنها: انشغاله صلى الله عليه وآله وسلم بالجهاد وإصلاح شؤون الأمة، واستقبال الوفود، وبعث البعوث وغيرها.

ومنها: أن المشركين لم يكونوا قد منعوا من البيت الحرام، فكانوا يحجون، وهناك بعض الأعمال التي كانوا يمارسونها أثناء الحج والطواف بالبيت، كالطواف بالبيت عراة والتصفيق وغيرهما من العادات السيئة والقبيحة، بل والمحرمة شرعاً.

فقبل أن يحج صلوات الله عليه وآله، نزلت سورة برآءة، وفيها تعليمات عظيمة، وتصريحات قوية ضد المشركين، فبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم سرية التبليغ لبرآءة في السنة التاسعة توطئة وتمهيداً لذلك، وقد قدمنا في السرية الثالثة والخمسين في السنة التاسعة تفصيل ذلك.

١- حجة الوداع

ولما كان في السنة العاشرة وبعد عام من تبليغ برآءة أعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى كافة المسلمين داخل المدينة وخارجها، أنه سيحج في هذا العام، وأرسل إلى كثير من المناطق النائية من يبلغهم ويعلمهم بحج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كي يجتمع أكبر عدد من المسلمين.

ليعرفهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مناسك الحج من أولها إلى آخرها، كما قال

صلى الله عليه وآله وسلم ((خذوا عني مناسككم، فلعلي لا أحج بعد عامي هذا))، لكي تتغير عندهم بعض العادات التي كانوا قد ألفوها من قبل في أيام الجاهلية، وليكون موضحاً بقوله وفعله صلوات الله عليه وآله المناسك التي لا يتم الحج إلا بها، ويعرفهم الأماكن بحدودها، وما يجب أو يسن أن يعمل أو يترك في كل موضع ومكان من تلك الأماكن المقدسة، والبقاع الطاهرة، ويبطل غيرها مما ليس من التشريع في شيء.

ومن ناحية أخرى: أن يرى المسلمون ما تحقق بفضل هذه الدعوة من الألفة والاجتماع والاتحاد بين الشعوب المتنافرة، والقبائل التي كانت متناحرة، وأنهم صاروا بعد العداوة إخواناً متحابين، وبعد الفرقة مجتمعين متوادين، إلههم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد، ودينهم واحد، قد ذهبت عنهم نخوة الجاهلية وعصبيتها وكبرياؤها، فحكم الله وأمره وتشريعه واحد على العربي والعجمي، والأحمر والأسود، والرفيع والوضيع، والغني والفقير، والرئيس والمرؤوس.

فقد كفل هذا الدين وهذه الدعوة تحقق الوحدة الإنسانية، والعدالة الاجتماعية، والسعادة البشرية من خلال حل كافة القضايا والمشاكل الدنيوية، ونيل الفوز بالسعادة الأخروية.

واستطاعت الدعوة تأهيل أتباعها للقيام بكافة مقومات الحياة، المبنية على أسس من المعرفة واليقين، والثقة والإيمان، والعدالة والكرامة، والعفة والنزاهة، والنظام والحرية، وإعطاء كل ذي حق حقه.

وخلصت البشر من أوحال الأوهام والخرافات، وأغلال الرق والعبودية لغير الله، وأدناس الفساد والانحلال الأخلاقي، وخلصت المجتمع الإنساني من الظلم والطغيان، وحمته من التفكك والانهيار، واستبداد الحكام، واستذلال الكهان.

وبهذا تم بناء المجتمع الإسلامي الجديد، على الأسس المتينة، المتمثلة في توحيد الله وعدله، وتفرده بالألوهية والعبودية، ونفي كل الآلهة المدعاة ورفضها بل وقلعها من جذورها.

وها هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقوم بوضع آخر اللبنات في ذلك البناء المحكم الرصين، الذي قاسى من أجله الصعاب، وتجرع المرارات والغصص، وعانى أنواعاً من المتاعب.

وها هو يرى ثمار شجرة تلك الدعوة التي غرسها بيده، وسقاها بدمه ودماء الصادقين

الأوفياء معه، وحماها عن أيدي العابثين بيده ولسانه وسيفه، برهة الزمن، قرابة ثلاث وعشرين عاماً، فقد أينعت الثمار، واخضر الجناب، والحمد لله رب الأرباب.

فما هو إلا أن أعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقصده للحج، حتى قَدِم المدينة بشر كثير، يلتمسون المرافقة النبوية، ويتبركون بالمصاحبة المحمدية، ويأتمون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة تهيأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم للرحيل، فترجل وادهن ولبس إزاره ورداءه وقلد بدنه، فلما أصبح قال لأصحابه : ((أتاني الليلة آت من ربي فقال : صل في هذا الوادي المبارك وقل : عمرة في حجة).

ففي يوم السبت الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة تهيأ الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم للخروج للحج، فخرج معه صلى الله عليه وآله وسلم مائة ألف من المسلمين من الرجال والنساء، وقيل أكثر، وساق معه بعضاً من الهدي، وانطلق بعد الظهر، حتى بلغ ذا الحليفة قبل أن يصلي العصر، فصلاها ركعتين، وبات هناك حتى أصبح.

قال جابر بن عبد الله: فخرجنا حتى أتينا ذا الحليفة، فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد، ثم ركب ناقته القصوى، حتى إذا استوت به ناقته في البيداء نظرتُ مُدّ بصري من بين يديه مِن ماشٍ، وعن يمينه مثلُ ذلك، وعن يساره مثلُ ذلك، ومن خلفه مثلُ ذلك، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين أظهرنا عليه يتنزل القرآن وهو يعرف تأويله، وما عمل من شيءٍ عملناه، فأهللنا بالتوحيد: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك)، وأَهَلَّ الناسُ بهذا الذي يهلون به اليوم، فلم يَرُدَّ عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً منه، ولزم رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تلبيته، وبقي ملبياً حتى دخل مكة المكرمة، وطاف بعدها بالبيت سبعة أشواط، واستلم الحجر الأسود وصلّى ركعتين عند مقام إبراهيم وشرب من ماء زمزم، ثم سعى بين الصفا والمروة.

وقدم علي عليه السلام من اليمن فأهل بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم، وكان معه بقية الهدي، فكان عدد الهدي مائة من الإبل.

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة توجه إلى منى فبات فيها، وفي اليوم التاسع توجه إلى عرفة فصلى فيها الظهر والعصر جمع تقديم في وقت الظهر، ثم خطب خطبته الشريفة التي سميت فيما بعد بخُطبةِ الوداع، وبعد غروب شمس يوم عرفة نزل الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم والمسلمون إلى مزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير، بأذانٍ واحدٍ وإقامتين، ولم يَسبُح بينهما، ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له الصبح، ثم ركب القصوى حتى أتى المشعر الحرام، فقام عليه واستقبل القبلة، فدعا الله عز وجل وهلله وكبره ووحده، ولم يزل واقفاً حتى أسفر جدًا، ثم دفع قبل أن تطلع الشمس، ثم نزل إلى مِنى، حتى أتى الجمرة الكبرى جمرة العقبة فرماها بسبع حصياتٍ، يكبر مع كل حصاةٍ، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بدنةً بيده، ثم أعطى علياً فنحر ما بقي من البدن وأشركه في هديه، ثم أمر ببضعة من كل بدنةٍ فجعلت فى قدرٍ، فطبخت فأكلا من لحومها وشربا من مرقها.

ثم أفاض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى البيت فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزمٍ، فقال: ((انزعوا يا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم)) فناولوه دلوًا فشرب منه، ثم عاد إلى منى وبات بها وظل أيام منى ولياليها، ثم عاد إلى مكة وطاف طواف الوداع، ثم عاد إلى المدينة المنورة.

وعندما كان الصحابة يسألون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن بعض أعمال الحج لا يجدون منه إلا التيسير والتخفيف عليهم، وهو يقول لمن سأله: افعل ولا حرج.

خطبة يوم عرفة

وفي اليوم التاسع من ذي الحجة يوم عرفة وكان يومَ الجمعة، خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطبة الوداع في موقف عرفة في جبل الرحمة، الخطبة العصماء التي أرسى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها قواعد الإسلام، وهدم مبادئ الجاهلية، وعظَّم حرمات المسلمين، فخطب الناس وودعهم بعد أن استقرَّ التشريع، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها:

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

أما بعد أيها الناس: اسمعوا مني أُبَيِّنْ لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا.

أيها الناس: إن دماءكم وأعراضكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها.

وإن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، وقضى الله أنه لا ربا.

وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب.

وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمدَ قَوَدٌ وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية – ألا هل بلغت اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تُحَقِّرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس: إنما النسيئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليوطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان – ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حق، لكم أن لا يواطئن فُرُشَهُم غيرَكم، ولا يُدخِلْنَ أحداً تكرهونه بيوتَكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن، وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عَوَانٌ، لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله،

فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً – ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

فَأوصِيكُم بِمَن مَلَكتْ أَيْمَانِكُم، فَأطعِمُوهُمْ مِمَّا تَأكُلُون، وَأَلبِسُوهُم مِمَّا تَلبِسُون، وإِنْ أَذْنَبوا فَكَالُوا عُقوبَاتِهِم إِلى شِرَارِكُم.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، إِنَّ المسلمَ أخو المسلم، لا يَغُشُّهُ، ولا يَخُونُه، ولا يَغْتَابُه، ولا يَحُلُّ لَهُ دَمُهُ، ولا شَيءٌ من مَالِهِ إِلاَّ بِطِيبِ نَفسِه، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، فلا تَرْجِعُنَّ بعدى كافراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعض.

فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى – ألا هل بلغت....اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من ثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، مَن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبلُ منه صرفٌ ولا عدلٌ.

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، قالوا: نعم – فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إنكم مسؤولون، فليبلغ الشاهدُ الغائبَ.

أيها الناس: إنه لا نبي بعدي، ولا أمة بعدكم، ألا فاعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، طيبة بها أنفسكم، وتحجون بيت ربكم، وأطيعوا ولاة أمركم، تدخلوا جنة ربكم.

وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟.

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت .

فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء: اللهم اشهد –ثلاث مرات –.

وكان الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بعرفة ربيعة بن أمية ابن خلف.

فهذه الكلمات الجامعة الموجزة تحكي المبادئ الكبرى لهذا الدين، وتُثَبِّتُ في نفوس

المسلمين أصول الديانة، وقواعد الشريعة، ونبَّه فيها بالقضايا الكبرى على الجزئيات الصغرى.

خطبة يوم النحر العاشر من الحجة

وخطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم النحر – عاشر ذي الحجة- حين ارتفع الضحى، وهو على بغلة شهباء، وعلي عليه السلام يعبر عنه، والناس بين قائم وقاعد، وأعاد في خطبته هذه بعض ما كان ألقاه أمس.

فمما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم النحر: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان.

وقال: أي شهر هذا ؟

فقالوا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: ((أليس ذا الحجة؟)) قلنا: بلى يا رسول الله؟.

قال: ((أي بلد هذا؟))، فقالوا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: (أليست البلدة ؟) قلنا: بلي.

قال: ((فأي يوم هذا؟))، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: ((أليس يوم النحر؟))، قلنا: بلي، قال: ((فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا.

وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت ؟)).

قالوا: نعم، قال: ((اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلّغ أوعى من سامع)).

وفي رواية أخرى: ((ألا لا يجني جان إلا على نفسه، ألا لا يجني جان على ولده، ولا مولود على والده، ألا إن الشيطان قد يئس أن يعبد في بلدكم هذا أبداً، ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم، فسيرضى به)).

٢- إكمال الدين وإتمام النعمة بتبليغ ولاية علي عليه السلام وخلافته

لما أكمل الله دينه، وأظهر شريعته، ولم يبق شيء من الأوامر والتشريعات إلا وبلغها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهو صلى الله عليه وآله وسلم أطوع الناس لربه، وأقومهم بأمر خالقه، لم يكتم مما أمره الله بتبليغه حرفاً، ولم ينقص منه شيئاً، ولم يزد فيه، بل بلغ كما أمر، وجاهد في الله حق جهاده وصبر.

كان ذلك التبليغ كله، يتوقف على أمر عظيم، ويرتبط بتكليف جسيم، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء، وأمته خاتمة الأمم، وقد بدأت تلوح في الأفق مؤشرات الوداع، وتقترب لحظات الفراق، والأمة بحاجة إلى من يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما تحتاج إليها من أمرها.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نبه على ذلك في مقامات عديدة، منذ بداية الدعوة وإلى أن جاء الأمر الختامي، والتبليغ النهائي.

فلما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع هبط عليه جبرئيل الأمين بالأمر الإلهي الذي هو من أصعب وأشق الأوامر.

فقد أمر الله محمداً أن ينصب علياً عليه السلام للناس ليخبرهم بولايته وخلافته على الأمة، ولكن الأمر كان قابلاً للترّوي والتأني، أو فهم منه النبي صلى الله عليه عليه وآله وسلم أن وقت التبليغ موكول إلى نظره الشريف، بأن يتحين الفرصة المناسبة، والوقت المناسب فيبلغ ذلك، فتخوف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التبليغ في الحج أن يقولوا حابا ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك عليه.

فلما أقبل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم من مكة متوجهاً إلى المدينة بعد حجة الوداع هبط عليه جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تدل أمتك على وليهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجهم ليلزمهم الحجة في جميع ذلك.

فقال رسول الله: يا رب إن قومي قريبوا عهد بالجاهلية وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلا وقد وتره وليهم وإني أخاف، فأنزل الله تعالى **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ**

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ – يريد فما بلغتها تامة – **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}**(المائدة:٦٧)، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خم.

فعن ابن عباس قال: هبط رسول الله فكره أن يحدث الناس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية حتى مضى من ذلك ستة أيام، فأنزل الله تعالى: **{فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ}**(هود/١٢)، فاحتمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى كان يوم الثامن عشر، أنزل الله عليه: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}** ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر بلالاً حتى يؤذن في الناس أن لا يبقى غداً أحد إلا خرج إلى غدير خم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس من الغد فقال: ((يا أيها الناس إن الله أرسلني إليكم برسالة، وإني ضقت بها ذرعاً، مخافة أن تتهموني وتكذبوني، حتى عاتبني ربي فيها بوعيد أنزله علي بعد وعيد))، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فرفعها حتى رأى الناس بياض إبطيهما ثم قال: ((أيها الناس الله مولاي وأنا مولاكم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأنزل الله **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}**(المائدة/٣). انتهى.

خطبة يوم الغدير

فلما نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة، أمر بالدوحات فقمَّ ما تحتهن من شوك؛ ثم أمر بلالاً فنادى ((الصلاة جامعة)).

فخرج المسلمون إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم في يوم شديد الحر؛ إن مِنَّهم من يضع رداءه على رأسه وبعضه تحت قدمه من شدة الحر، حتى انتهوا إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وآله وسَلَّم فصلى بهم الظهر؛ ثم انصرف إليهم فقال:

((الحمد لله، نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى؛ وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: أيها الناس، فإنه لم يكن لنبي من العمر إلا نصف ما عُمِّر مَنْ قبله، وإن

عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة، وإني قد أشرعت في العشرين؛ ألا وإني يوشك أن أفارقكم، ألا وإني مسؤول، وأنتم مسؤولون؛ فهل بلغتكم؟ فماذا أنتم قائلون؟

فقام من كل ناحية من القوم مجيب يقولون: نشهد أنك عبدالله ورسوله، قد بلغت رسالاته وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره، وعبدته حتى أتاك اليقين؛ جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

فقال: ((ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، والنار حق، وتؤمنون بالكتاب كله؟)). قالوا: بلى.

قال: ((أشهد أن قد صدقتم وصدقتموني؛ ألا وإني فرطكم وأنتم تبعي، توشكون أن تردوا عليّ الحوض، فأسألكم حين تلقوني عن ثَقَليَّ، كيف خلفتموني فيهما؟)).

قال: فأُعيل علينا ما ندري ما الثقلان، حتى قام رجل من المهاجرين فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله: ما الثقلان؟

قال: ((الأكبر منهما كتاب الله، سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فتمسكوا به ولا تولوا ولا تضلوا؛ والأصغر منهما عترتي، من استقبل قبلتي، وأجاب دعوتي، فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تَقْصُرُوا عنهم؛ فإني قد سألت لهما اللطيف الخبير فأعطاني، ناصرهما لي ناصر، وخاذلهما لي خاذل، ووليهما لي ولي، وعدوّهما لي عدوّ؛ ألا فإنها لم تهلك أمة قبلكم حتى تدين بأهوائها، وتظاهر على أهل نبوتها، وتقتل من قام بالقسط منها)).

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فرفعها؛ وقال: ((من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه - قالها ثلاثاً -)).

فهذه خطبة الغدير، التي رواه الجم الغفير، والعدد الكثير، من علماء الإسلام، ممن لا يمكن حصرهم، ويتعذر ضبطهم، فلا يكاد يخلو كتاب من الكتب المعتمدة المشهورة لدى الموالف والمخالف من ذكره، فقد رواها جماعة وافرة من المحدثين عن جماعة من الصحابة، وقد ظهرت ظهور الشمس، واشتهرت اشتهار الصلوات الخمس، فليس يقدر أحد على ردها أو إنكارها، فقد قامت بها الحجة، واتضحت بها المحجة.

ومن رواياتها عند المخالفين:

ما روى أحمد بن حنبل في كتابه فضائل الصحابة في الجزء الثاني ما يأتي:.

الحديث رقم (١٠١٦) حدثنا عبد الله قال: ثنا أبي، نا عفان قال: ثنا حماد بن سلمة قال: أنبأنا علي بن زيد، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فنزلنا **بغدير خم** فنودي فينا الصلاة جامعة، وكُسِحَ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر، وأخذ بيد علي فقال ((ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟))، قالوا: بلى، قال ((ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟)) قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال ((اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه)) قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

ورواه أحمد في مسنده (٥/٣٥٥) رقم (١٨٠١١) [طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت–لبنان، الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٤م، ١٤١٥هـ]وفي الطبعة الأخرى بتحقيق حمزة أحمد الزين(١٤/١٨٥)رقم(١٨٣٩١) [طبعة دار الحديث، القاهرة–مصر. الطبعة الأولى/١٤١٦هـ–١٩٩٥م]وقال المحقق: إسناده حسن.

وروى هذا الخبر بلفظه ابن أبي شيبة في مصنفه(٤/١١٥)رقم(٣٢١١٣)في باب فضائل علي بن أبي طالب، وغيره.

والحديث رقم(١٠١٧) حدثنا عبد الله قال: حدثني أبي قال: ثنا عفان، نا أبو عوانة، عن المغيرة، عن أبي عبيدة، عن ميمون أبي عبد الله قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوادٍ يقال له وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها بِهجِّيرَاء قال: فخطبنا وظلل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثوب على شجرة سمرة من الشمس فقال ((ألستم تعلمون –أو ألستم تشهدون– أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟)) قالوا: بلى، قال ((فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم عاد من عاداه، ووال من والاه)).

ورواه أحمد في المسند أيضاً (٥٠١/٥) رقم(١٨٨٣٨) [طبعة دار إحياء التراث العربي -بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٤م، ١٤١٥هـ] وفي الطبعة الأخرى بتحقيق حمزة أحمد الزين(٤٤٢/١٤) رقم(١٩٢٢١) [طبعة دار الحديث، القاهرة-مصر. الطبعة الأولى/١٤١٦هـ-١٩٩٥م].

ومما رواه الحاكم في المستدرك:

الحديث رقم(٤٥٧٦) حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن تميم الحنظلي ببغداد، ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، ثنا يحيى بن حماد، وحدثني أبو بكر محمد بن بالويه، وأبو بكر أحمد بن جعفر البزار قالا: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، ثنا يحيى بن حماد، وثنا أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه ببخارا، ثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادي، ثنا خلف بن سالم المخرمي، ثنا يحيى بن حماد، ثنا أبو عوانة، عن سليمان الأعمش قال: ثنا حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع **ونزل غدير خم** أمر بدوحات فقممن فقال: ((كأني قد دُعِيْتُ فأجبتُ، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟! فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)) ثم قال: ((إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن)) ثم أخذ بيد علي رضى الله تعالى عنه فقال: ((من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه)) وذكر الحديث بطوله، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله، شاهده حديث سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل أيضاً صحيح على شرطهما.

الحديث رقم(٤٥٧٧) حدثناه أبو بكر بن إسحاق ودعلج بن أحمد السجزي قالا: أنبأ محمد بن أيوب، ثنا الأزرق بن علي، ثنا حسان بن إبراهيم الكرماني، ثنا محمد بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن أبي الطفيل، عن ابن واثلة، أنه سمع زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه يقول: نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **بين مكة والمدينة** عند شجرات خمس دوحات عظام فكنس الناس ما تحت الشجرات، ثم راح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عشية فصلى، ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذَكَّرَ ووَعَظَ فقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: ((أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي)) ثم قال: ((أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم –ثلاث مرات–)) قالوا: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((من كنت مولاه فعلي مولاه)).

ولم تم التبليغ، وأكمل الله الدين، فرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عظيماً، فحمد الله تعالى على ذلك وعبر عنه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم ((الحمد لله على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي والولاية لعلي من بعدي))، ثم رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة قرير العين، مستقر النفس.

الباب الخامس: الانتقال إلى الرفيق الأعلى

لما دخل الناس في دين الله أفواجاً، وتوافدوا إلى المدينة أفراداً وأزواجاً، أنزل الله عليه سورة النصر وهي قوله تعالى {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}، علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم باقتراب الرحيل.

فكان مما فعله صلى الله عليه وآله وسلم استعداداً لذلك:

١- كان صلى الله عليه وآله وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان في كل عام، منذ قدم المدينة، فلما كانت السنة العاشرة اعتكف عشرين يوماً.

٢- أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام — بمعنى يتدارس- في رمضان مرة، وفي السنة العاشرة عارضه جبريل بالقرآن مرتين.

٣- في أثناء الحج كان يقول لأصحابه ((خذوا عني مناسككم فلعلي لا أحج بعد عامي هذا)).

٤- كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشير إشارات في خطبة الوداع بعرفة، وفي خطبة يوم الغدير بالجحفة، فهم منها الكثير من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قرب لقاؤه بربه، وحان وقت فراقه للدنيا.

فلما عاد إلى المدينة المنورة لبث أياماً ثم وجه بسرية أسامة بن زيد للأخذ بثأر أبيه زيد بن حارثة والشهداء الذين استشهدوا في مؤتة،كما تقدم ذكرها ف آخر السرايا والبعوث التي بعثها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حريصاً على إنفاذ تلك السرية التي فيها وجوه المهاجرين والأنصار قبل وفاته، وهو يعلم أنه سيموت في تلك المدة، لكي تخلو الأجواء لخليفته ووصيه، فلا يكون في المدينة من ينازعه أمره، أو يحاول أخذ الخلافة منه، والله أعلم.

ولما رجع إلى المدينة أقام بها بقية ذي الحجة والمحرم والنصف من صفر لا يشتكي شيئاً، ثم ابتدأ به الوجع الذي توفي منه صلى الله عليه وآله وسلم في أواخر شهر صفر.

إخبار النبي صلى الله عليه وآله لابنته باقتراب أجله

فعن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عن أبيه عن جده عن أبيه عبد الله بن الحسن عليه السلام قال:

لما نزلت سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ...﴾، قال رسول الله: ((نُعِيَت إليّ نفسي))، وعرف اقتراب أجله، فدخل منزله، ودعا فاطمة عليها السلام فوضع رأسه في حجرها ساعة، ثم رفع رأسه وقال: ((يا فاطمة، يا بنية، أُشعرتُ أن نفسي قد نعيت إليّ))، فبكت فاطمة عند ذلك حتى قطرت دموعها على خد رسول الله، فرفع رأسه ونظر إليها، فقال: ((أما إنكم المستضعفون المقهورون بعدي، فلا تبكين يا بنية، فإني قد سألت ربي أن يجعلك أول من يلحق بي من أهلي، وأن يجعلك سيدة نساء أمتي، ومعي في الجنة، فأُجِبْت إلى ذلك))، فتبسمت فاطمة عليها السلام عند ذلك، ونساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظرنَ إليها حين بكت وتبسمت.

فقال بعضهن: ما شأنك يا فاطمة، تبكين مرة وتبتسمين مرة؟

فقال رسول الله: ((دعن ابنتي)).

بداية المرض

فلما مضى النصف من صفر سنة إحدى عشرة، جعل رسول الله يجد الوجع والثقل في جسده حتى اشتد به الوجع في أول شهر ربيع الأول، واجتمع إليه أهل بيته ونساؤه، فلما رأت فاطمة أباها قد ثقل دعت الحسن والحسين، فجلسا معها إلى رسول الله، ووضعت خدّها على خد رسول الله، وجعلت تبكي حتى أخضلت لحيته ووجهه بدموعها، فأفاق صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كان أغميَ عليه، فقال لها: ((يا بنية لقد شققت على أبيك))، ثم نظر إلى الحسن والحسين عليهما السلام فاستعبر بالبكاء، وقال: ((اللهم إني أستودعكهما وصالح المؤمنين، اللهم إن هؤلاء ذريتي أستودعكهم وصالح المؤمنين))، ثم أعاد الثالثة، ووضع رأسه.

فقالت فاطمة: واكرباه لكربك يا أبتاه.

فقال لها صلى الله عليه وآله وسلم : ((لا كرب على أبيك بعد اليوم))، ثم أمر أن

يصب عليه سبع قرب ماء من سبع آبار، فَفُعِل به فوجد خفة.

آخر خطبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

فخرج فصلى بالناس، ثم قام يريد المنبر، وعلي والفضل بن عباس قد احتضناه حتى جلس على المنبر، فخطبهم واستغفر للشهداء، ثم أوصى بالأنصار، وقال: ((إنهم لا يرتدون عن منهاجها، ولا آمن منكم يا معشر المهاجرين الارتداد))، ثم رفع صوته حتى سمع من في المسجد ووراءه، وهو يقول: ((يا أيها الناس، سُعِّرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، إنكم والله لا تتعلقون عليّ غداً بشيء، ألا وإني قد تركت الثقلين، فمن اعتصم بهما فقد نجا، ومن خالفهما هلك)).

فقال عمر بن الخطاب: وما الثقلان يا رسول الله؟

فقال: ((أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله طرف منه بيد الله وطرف بأيديكم، وعترتي أهل بيتي فتمسكوا بهما لا تضلوا ولا تذلوا أبداً، فإن اللطيف الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وإني سألت الله ذلك فأعطانيه، ألا فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تقصروا عنهم فتضلوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم بالكتاب.

أيها الناس: احفظوا قولي، تنتفعوا به بعدي، وافهموا عني حتى تنتعشوا، لئلا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض، فإن أنتم فعلتم ذلك – وستفعلون – لتجدن من يضرب وجوهكم بالسيف))، ثم التفت عن يمينه، ثم قال: ((ألا وعلي بن أبي طالب ألا وإني قد تركته فيكم، ألا هل بلغت؟)).

فقال الناس: نعم يا رسول الله صلوات الله عليك.

فقال: ((اللهم اشهد)).

ثم قال: ((ألا وإنه سيَرِد عليّ الحوض منكم رجالٌ فيدفعون عني، فأقول: يا رب أصحابي أصحابي فيقول: يا محمد، إنهم أحدثوا بعدك وغيروا سنتك، فأقول سحقاً سحقاً)).

ثم قام ودخل منزله فلبث أياماً يجد الوجع، والناس يأتونه ويخرج إلى الصلاة، فلما كان آخر ذلك ثقل، فأتاه بلال ليؤذنه بالصلاة، وهو مُلق ثوبه على وجهه قد تغطى به،

فقال: الصلاة يا رسول الله، فكشف الثوب وقال: ((قد أبلغت يا بلال فمن شاء فليصل))، فخرج بلال، ثم رجع الثانية والثالثة وهو يقول: الصلاة يا رسول الله.

فقال: ((قد أبلغت يا بلال، فمن شاء أن يصلي فليصل))، فخرج بلال وكان رأس رسول الله في حجر علي بن أبي طالب عليه السلام، والفضل بن عباس بين يديه يُرَوِّحه، وأسامة بن زيد بالباب يحجب عنه زحمة الناس، ونساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ناحية البيت يبكين فقال: ((اغربن عني يا صويحبات يوسف)).

صلاة أبي بكر بالناس وخروج النبي صلى الله عليه وآله حين علم

فلما رجع بلال ولم يقم رسول الله بعثته عائشة بنت أبي بكر فقالت: يا بلال مر أبا بكر فليصل بالناس، ووجد رسول الله خفّة فقام فتمسح وتوضأ، وخرج معه علي والفضل بن عباس وقد أقيمت الصلاة وتقدم أبو بكر ليصلي، وكان جبريل عليه السلام الذي أمره بالخروج ليصلي بهم، وعلم ما يقع من الفتنة إن صلى بهم أبو بكر، وخرج رسول الله يمشي بين علي والفضل وقدماه يخطان في الأرض حتى دخل المسجد، فلما رآه أبو بكر تأخر، وتقدم رسول الله وصلى بالناس، فلما سلم أمر علياً والفضل فقال: ((ضعاني على المنبر))، فوضعاه على منبره، فسكت ساعة فقال: ((يا أمة أحمد، إن وصيتي فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، اعتصموا بهما تردوا على نبيكم حوضه، ألا ليُذَادنّ عنه رجال منكم، فأقول سحقاً سحقاً)) ثم أمر علياً والفضل أن يدخلاه منزله، وأمر بباب الحجرة ففتح ودخل الناس عليه، فقال: ((إن الله لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)).

النبي صلى الله عليه وآله يأمر بدواة وصحيفة

ثم قال: ((ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لاتضلون بعدي أبداً)).

فقال عمر بن الخطاب: إن رسول الله ليهجر، كتاباً غير كتاب الله يريد.

فسمع رسول الله قوله فغضب، ثم قال لهم: ((اخرجوا عني وأستودعكم كتاب الله وأهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، وأنفذوا جيش أسامة، لا يتخلف عن بعثته إلّا عاصٍ لله ولرسوله))، ثم جعل يقول: ((اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم))، وخرج الناس وأغلق

الباب الذي كان على الحجرة.

النبي صلى الله عليه وآله يوصي إلى علي ويناجيه

فلما طلعت الشمس وانبسطت، ثقل رسول الله ورأسه في حجر علي عليه السلام والفضل يذب عنه بين يديه، وأقبل رسول الله على علي يساره يناجيه، وتنحى الفضل، فطالت مناجاته، فكان علي عليه السلام يقول: إنه أوصاني وعلمني بما هو كائن بعده.

وقال له: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي، بلغ عني تأويل القرآن، وأنت وصيي، وخليفتي في أهلي وأمتي، من والاك فقد والاني، ومن عصاك فقد عصاني))، فلما فرغ من وصيته إياه أغمي عليه، ثم أفاق وهو يقول: ((بالكأس الأوفى، وفي الرفيق الأعلى)) يقولها ثلاثاً.

ثم رجع الناس واجتمعوا على باب حجرة رسول الله وفيهم عمر بن الخطاب في يده درة يضرب بها الناس، ويقول: إن رسول الله لا يموت، ورجل آخر من بني فهر يقول: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**﴾[آل عمران:١٤٤].

قال: والناس يبكون وأرادوا الدخول على رسول الله فأبى عليٌّ أن يأذن لهم.

وجعل رسول الله يقول أحياناً: ((أين أنت يا جبريل؟ ادن مني)).

وجبريل يجيبه، وهو يقول: يا محمد، أبشر فإنك قادم على ربك.

فاطمة تنادي أباها

ودنت منه فاطمة عليها السلام وهو مغمض العين فنادته: يا أبتاه تفديك نفسي، انظر إلي نظرة عسى كرب الموت تغشاني، ولا أراني إلّا مفارقة الدنيا بعدك عن قريب أو معك.

فسمع رسول الله صوتها ففتح عينيه، ثم رفع يده فمسح خدها من الدموع، ثم غمض عينيه ساعة فقالت فاطمة: يا أبتاه نفسي لنفسك الفداء، قد ذاب قلبي، ورقت كبدي، ولوددت أن نفسي خرجت قبل نفسك، ها أنا ذا بين يديك لا أراك تكلمني، اللهم صبرني، فسمع رسول الله قولها، ففاضت عيناه، ثم قال: ((ادني مني))، فدنت منه وانكبت عليه قد وضعت خدها على خده، فقال لها علي عليه السلام: تنحي عن

رسول الله لا تؤذيه، فتنحت وجلست ناحية تسترجع وتدعوه.

وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنسائه

ودنت عائشة وقالت: يا رسول الله، بأبي وأمي أنت، انظر إليّ نظرة وكلمني كلمةً واحدة، وأوصني بأمرك فإني أرى آخر العهد منك ومن كلامك.

ففتح عينيه، فلما نظر إليها قال: ((ادني مني، فدنت منه، فقال: قد أوصيتك قبل اليوم فاحفظي وصيتي، واحفظي أمري لك في لزوم بيتك ولا تبدلي، يا عائشة تأخري عني)).

قال: ثم دنت منه حفصة فقالت: بأبي أنت وأمي، اجعل لي نصيباً من كلامك، ولا تجعلني من أهون نسائك عليك، وأكرمني بكلمة تطيب بها نفسي طول حياتي.

ففتح رسول الله عينيه ونظر إليها وقال: ((يا حفصة، قالت: لبيك يا رسول، فقال لها: قد أوصيتك قبل اليوم، فاحفظي وصيتي، ولا تبدلي أمري، واحفظي أمري لك في لزوم بيتك، قومي عني)).

وكلم نساءه امرأةً امرأةً مثلما كلمها.

الحسن والحسين بين يدي النبي صلى الله عليه وآله

ثم إن فاطمة عليها السلام جاءت بالحسن والحسين عليهما السلام وقالت لهما: ادنوا من جدكما فسلما عليه.

فدنوا منه وقالا: ياجداه، ثلاثاً، ثم بكيا وقال له الحسن عليه السلام: ألا تكلمنا كلمة وتنظر إلينا نظرة، فبكى علي عليه السلام والفضل وجميع من في البيت من النساء، وارتفعت أصواتهم بالبكاء ففتح رسول الله عينيه وقال: ((ما هذا الصوت))؟

فقالت فاطمة: يا رسول الله، هذان ابناك الحسن والحسين، كلماك فلم تجبهما فبكيا وبكى من في البيت لبكائهما.

فقال رسول الله: ((ادنوَا مني))، فدنا منه الحسن عليه السلام فضمه إليه وقبله، ودنا الحسين منه، ففعل به مثل ذلك، فبكيا ورفعا أصواتهما بالبكاء، فزجرهما علي عليه السلام وقال: لا ترفعا أصواتكما.

فقال له رسول الله: ((مه يا علي))، ثم قال: ((اللهم إني أستودعكهما وجميع المؤمنين من أمتي)) وغمض عينيه فلم يدع علي عليه السلام أحداً يدنو منه.

وفي رواية: عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه والبيت غاص بمن فيه قال: ((ادعوا لي الحسن والحسين))، فدعوتهما، فجعل يلثمهما حتى أغمي عليه، قال: فجعل علي عليه السلام يرفعهما عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: ففتح عينيه فقال: ((دعهما يتمتعان مني وأتمتع منهما، فإنه سيصيبهما بعدي أثرة))، ثم قال: ((يا أيها الناس إني خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي أهل بيتي فالمضيع لكتاب الله كالمضيع لسنتي، والمضيع لسنتي كالمضيع لعترتي، أما إن ذلك لن يفترقا حتى ألقاه على الحوض)).

فلما ارتفع النهار يوم الإثنين، شخص رسول الله بنظره فقال: ((اللهم الرفيق الأعلى)).

وقال الفضل لعلي: يا أبا الحسن، أَغمِض عين رسول الله وضُمّ فاه، فوضع علي يده على فم رسول الله وقد خرجت نفسه من كف علي، فردها إلى لحيته وأراد أن يغمض عينيه، فأبصر عينيه قد غُمضتا، وضُم فوه، ويداه ورجلاه مبسوطتان، فإذا جبريل عليه السلام قد ولي ذلك منه، وهو في وسط البيت يسمعون حسَّه ولا يرونه.

فقبضه الله إليه يوم الإثنين من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة، ودفن ليلة الأربعاء، وقيل: ليلة الثلاثاء، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين.

وغسله علي عليه السلام والعباس وابناه الفضل وقثم، وأسامة بن زيد، وشقران مولاه.

وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية منسوبة إلى السحول وهي بلدة باليمن.

وصلى عليه الناس فرادى لا يؤمهم أحد بأمره، لأن الصلاة عليه كانت فرض عين على من حضر، ودفن حيث توفي حول فراشه وألحد له.

وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي أن يغسله ويكفنه

عن ابن عباس، أن رسول الله لما اشتدت عليه علته وحُجِب عنه الرجال ثلاثاً، وخلا به النساء، فلما كان في اليوم الرابع فتح عينيه، وقال: ((ويحكن ادعون لي حبيبي وثمرة فؤادي)).

فقالت حفصة: ادعوا عمر، فدعي، ثم قال: ((ويحكن ادعونّ لي حبيبي وثمرة فؤادي)).

فقالت عائشة: ادعوا له أبا بكر، فدعي له.

فقال: ((ويحكن ادعونَّ لي حبيبي وثمرة فؤادي)).

فقالت فاطمة عليها السلام: ادعوا له زوجي علي بن أبي طالب، ما أراه يدعو غيره.

فدعي، فلما نظر إلى علي جَذبه، فاعتنقه وقبله، بين عينيه ثم قال: ((السلام عليك يا أبا الحسن فإنك لا تراني بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة))، ثم قال: ((أفتقبل وصيتي وتقضي دَيني وتنجز عداتي))؟ قال: نعم.

قال له: ((يا أبا الحسن، إذا أنا مت فاغسلني أنت، فإنه لا ينظر أحد إلى جسد محمد غيرك إلاّ ذهب بصره، وليكن من ينقل إليك الماء من أهل بيتي مشدود العين فإذا فرغت من غسلي فكفني بثوبين أبيضين وبحبرة يمانية)).

قال علي عليه السلام: فإذا فرغنا من غسلك وتكفينك فمن يصلي عليك؟

قال: ((يا سبحان الله إذا فرغتم من شأني فأمهلوني على شفير قبري ساعة، فأول من يصلي علي رب السماوات والأرض، والصّلاة من الله الرحمة، ثم جبريل، ثم ميكائيل، وملائكة سماء سماء، فإذا فرغتم من ذلك فأمهلوني قليلاً، ثم يتقدم أهل بيتي فليصل عليّ الأقرب فالأقرب بغير إمام، ثم ألحدوني في لحدي، واحثوا عليّ التراب، وأوصيكم بالوصية العظمى بفاطمة والحسن والحسين خيراً)).

فجعل علي عليه السلام يغسل رسول الله في قميصه ولم ينزع عنه القميص، والفضل بن العباس مشدود العين ينقل عليه الماء، وعلي يقول: أرحني أرحني قطعت وتيني إني أجد شيئاً، فيقول علي عليه السلام: فوالذي بعثه بالحق نبياً ماهممت أن أقلبه إلا قُلب لي، فعلمت أن الملائكة تعينني على غسله، فلما غسله كفنه بثوبين أبيضين، وحُفِر لرسول الله قبر فألحد لحداً، وأتى ثوبان مولى رسول الله بقطيفة حمراء كانت أُهديت لرسول الله من الإسكندرية، ففرشها في قبر رسول الله.

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

بطيبـــــة قبـــــر للنبـــــي ومعهـــــد منيـــر وقـــد تعفـــو الرســـوم وتهمـــدُ

فبوركـــت يـــا قبـــر النبـــي وبوركـــت بـــلاد ثـــوى فيهـــا الرشـــيد المُســـدَّدُ

لقـــد غيبـــوا حلمـــاً وعلمـــاً ورحمـــة عشـــية يعلـــوه التـــراب يوسَّـــدُ

وراحـــوا بحـــزن لـــيس فـــيهم نبـــيهم وقـــد وهنـــت مـــنهم ظهـــور وأعضـــدُ

يبكـــون مـــن أبكـــى الســـماوات يومـــه ومـــن قـــد بكتـــه الأرض فالنـــاس أكمـــدُ

وهـــل عـــدلت يومـــاً رزيـــة هالـــك رزيـــة يـــوم مـــات فيـــه محمـــدُ

وبهذا نكون قد أنجزنا الغرض في هذه المباحث التي تعرفنا القليل، عن رسول الملك الجليل، صلى الله وسلم عليه وآله وسلم، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم، ومقرباً إلى نبيه العظيم، وأن يجعلنا من المنضوين تحت لوائه في الدنيا والآخرة، ومن الحائزين لشفاعته، والمرافقين له في مقاماته، بحق نبيه الشفيع صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

وأقدم هذه السيرة إلى روحه صلى الله عليه وآله، وأهديها في يوم مولده ومبعثه وهجرته إلى عظيم جنابه، ورفيع مقامه، عسى أن يمدني الله بعون وتأييد، ومدد مديد، وتوفيق ومزيد، وإرشاد وتسديد، ولطف يتجدد ويزيد، وهداية دائمة لا تبيد، ويجعلني عنده من صفوة العبيد، ويبلغني في الدارين ما أريد، ويصرف عني كل شيطان مريد، ومترف حفيد، وسلطان عتيد، وجبار عنيد، وشر كل ضعيف وشديد، وقريب وبعيد، ومنافس وحسود، ومتغيظ وحقود، وماكر يكيد، وساحر يُجيد، وعائن حديد، وشريف وحقير، وصغير وكبير، وغني وفقير، ومن كل ما استعاذ منه نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إنه رحيم ودود، حميد مجيد.

وصلوات الله وسلامه على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الهداة الميامين، يوم ولد، ويوم بعث، ويوم هاجر، ويوم مات، ويوم يبعث حياً، وجزاه الله عنا خير الجزاء، وحشرنا في زمرته، ورزقنا شفاعته، وأوردنا حوضه، وسقانا بكأسه.

وصلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على سيدنا محمد وعلة آله وعليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته.

كان الفراغ من جمعه ليلة الأربعاء، المسفرة عن صباح يوم الخميس، الموافق ١٩/ من ربيع الأول/ سنة ١٤٤٢هـ، الموافق /٥/١١/ ٢٠٢٠م.

الفقير الحقير، خادم البشير النذير، الراجي عفو الملك القدير

إبراهيم يحيى عبد الله الدرسي الحمزي وفقه الله وأرشده وثبته وسدده

الفهرس